الإمام البخاري محدثاً وفقيهاً

تأليف
الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية
ومقرر لجنة السنة بالمجمع بالازهر الشريف

الناشرون
مصر العربية للنشر والتوزيع
ص ٠ ب : ٥٤٧٠ هليوبوليس غرب
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين الذى أرسله الله الى الناس كافة شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ٠

ومكن لرسالته الخلود بوحى يتلى وهو القرآن الكريم وبوحى مبين ومفصل للكتاب الخالد وهو السنة النبوية وفى كلتا الحالين أمده الله بالعناية وعصمه من اتباع الهوى قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، أن هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى » ٠

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ٠

أما بعد ٠٠

فأقدم الى العالم الاسلامى هذا الكتاب « الامام البخارى محدثا وفقيها » بدأته بمقدمة اجمالية عن مكانة السنة فى الاسلام ٠٠ وعن تاريخ تدوين السنة الى عصر البخارى ثم بدراسة نشأة الامام البخارى ومنهجه فى حياته العلمية وذكرت بعض شيوخه الاعلام كنماذج لمصادر ثقافته النقية ، ثم بمنهجه فى حياته العامة حتى أكون على علم بمكانته التى لها أثرها فى القاء الأضواء الكاشفة لخطواته العلمية ثم ، كتبت عن منهجه فى جامعة الصحيح ٠ ولكى أبين مدى تأثر منهجه بالسابقين وأحدد مميزاته ، قارنت بين كتابه وبين أعظم كتاب ألف فى

القرن الثانى • « موطأ الامام مالك رضى الله عنه » ولبيــان أثر منهجه فيمن بعده قارنت بينه وبين أعظم كتــاب ألف بعد كتاب البخــارى وهو الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج رضى الله عنه •

ثم كتبت عن اجتهاد البخارى وفقهه •

ثم عن النقد القديم فى صحيحه وبينت قيمته • ثم النقد الحديث وبينت قيمه موازينه ومقاييسه •

ثم قارنت بين منهج المحدثين والبخارى ، وبين المنهج التــاريخى الأوربى الحديث •

ثم تعرضت لمؤلفاته الموجودة بما يؤكد قوته العلمية فى معرفة تاريخ الرواة حيث أن لها الصلة الوثيقة بأحاديثه والله ولى التوفيق •

المقدمة

مكانة السنة فى الدين الإسلامى

اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وأعده اعدادا كاملا ليتحمل أسمى رسالة يعطر بأريجها الدنيا : تزكيه للنفوس وتطهيرا للقلوب وتثبيتا للعقيدة الصحيحة وسيرا نحو النور فى الطريق المستقيم فى ميدان العقيدة والشريعة •

فأنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (١) » •

وأشرق ذلك الكتاب المبين يحمل فى نفسه دليل صدقه ذاتيا وهو الدليل الخالد على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به • وكان المعجزة الكبرى الذى تحدى الانس والجن « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٢) » •

وعرف أرباب الفصاحة والبلاغة حلاوته وطلاوته وبلاغته وفصاحته وأيقنوا أنه ليس من كلام البشر وأن الذى جاء به انما هو رسول رب العالمين • وحمل القرآن الأسس الكاملة للرسالة العامة الخالدة • « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا (٣) » •

---

(١) سورة البقرة الآية ٢ •
(٢) الاسراء الآية ٨٨ •
(٣) الأعراف الآية ١٥٨ •

وأمره الله بتبليغه :

« يا أيها الرســـول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعــل فمــا بلغت رســالته والله يعصــمك من النــاس ان الله لا يهــدى القــوم الكافرين (١) » .

ولكن هل كل العقول مستعدة لفهم كل ما جاء به القرآن ؟ .

واذا فهمته من سبيل الى تفصيل اجمــاله وبيــان ابهــامه ؟ اذن لابد من البيان والتفصيل والتوضــيح فأمر الله نبيـــه فى كتابه ان يبين للناس ما نزل اليهم بسنته .

قال تعــالى : « وأنزلنا اليك الــذكر لتبين للنـــاس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون (٢) » . « وما أنزلنا عليك الكتــاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) » .

وتكفل الله بعصمة الرسول وإمداده بالوحى وعصمته عن الخطــأ والهوى فى كل ما يأتى به من قرآن وسنة فيها بيان للقــرآن أو تشريع مستقل « وما ينطــق عن الهــوى ان هو الا وحى يوحى علمه شـــديد القوى (٤) » .

« فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (٥) » .

ومهد له الطريق وعبـــده لتذليل مهمته فأمر الناس بطاعة الرســول ونص فى قرآنه على أنها طاعة لله كما نص على أنه لا خيرة فى الأمر بعد كلام الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظــا (٦) » . وقال تعالى : « يأيها الــذين آمنــوا أطيعــوا الله ورســوله ولا تولوا عنــه وأنتم تسمعون (٧) » . وقال تعـــالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحــكموك

---

(١) المائدة الآية ٦٧ .

(٢) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٣) النحل الآية ٦٤ .

(٤) النجم الآية ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٥) سورة القيامة الآية ١٨ ، ١٩ .

(٦) سورة النساء الآية ٨٠ .

(٧) الانفال الآية ٢٠ .

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (1) » .

قال ابن القيم (2) : أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله فى كل ما شجر بينهم من الدقيق والجلى ولم يكتف فى ايمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا .أ . هـ .

وقال الامام الشافعى (3) : نزلت هذه الآية فيما بلغنا والله أعلم فى رجل خاصم الزبير فى أرض فقضى النبى صلى الله عليه وسلم بها للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حكم منصوص فى القرآن أ . هـ .

فكل ما جاء به الرسول وأثر عنه من السنة فاتباعه انما هو واجب لصريح أمر الله فى قرآنه باتباعه وهو بالتالى اتباع لله وقرآنه وهذا صريح فيما تقدم وفى قوله تعالى : « (4) وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وأخبر تعالى ان الرسول أوتى القرآن والحكمة وهما مصدرا التشريع فقال : « (5) لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحكمة هى السنة وجزم بهذا الامام الشافعى لتغايرهما بالعطف وهى فى مقام المنة ولم يوجب علينا الا اتباع الرسول فلا يمكن أن تكون شيئا آخر غير السنة . « من يطع الرسول فقد أطاع الله (6) » .

وحب الله فى اتباع الرسول وسنته .

« قل (7) ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

---

(1) النساء الآية ٦٥ .
(2) اعلام الموقعين ج ١ ص ٥٧ لابن قتيبه
(3) الرسالة ص ٨٣ للشافعى .
(4) سورة الحشرة الآية ٧ .
(5) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .
(6) سورة النساء الآية ٨٠ .
(7) سورة آل عمران الآية ٣١ .

فالقرآن هو الأصل الأول فى الدين الداعى الى السنة ، والسنة هى الأصل الثانى فى الدين ، وهى المبينة للقرآن المفصلة لاجماله والمستقلة بالتشريع ، فيها يعرف مثلا أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وسجداتها وما يقيمها أو يبطلها مما لم يفصله القرآن ، بل أجمله فى الأمر بالصلاة . كما انفردت السنة ببعض الأحكام مما لم يذكره القرآن مثل تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وتحريم الحمر الأهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، الا آن مثل هذه الأمور يمكن ان يقال بأنها ليست مستقلة استقلالا تاما عن القرآن حيث ان الأخذ بها مندرج تحت أمر القرآن باتباع الرسول وسنته . وأخرج أبو داود والترمذى عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : « يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله . زاد أبو داود — الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه » والمماثلة للكتاب هى السنة .

ومن رياض السنة تفجرت ينابيع التفسير بالمأثور ، ومن رياض القرآن والسنة تكونت ثروة الفقه الاسلامى ، وهما أصل مصادر التشريع ، وهما ميزان العدل الالهى الصادق ، وعلى هديهما يستطيع المصلحون فى كل وقت أن يقيسوا أعمال الأفراد والجماعات والأمم ، ولا يكون الاعتدال الكامل فى الأخلاق والمعاملات والعبادات الا بالكتاب والسنة .

وقد توفى الرسول بعد أن ظل يعلم الناس بمكة والمدينة مركزى أشعاع الدعوة الى الدنيا ثلاثا وعشرين سنة يقيم للناس معالم الدين على منهاج الحق بالكتاب والسنة ، وتوفى وهو مطمئن الى أنه تركهما لنا ميزان حق وصدق لن نضل ما تمسكنا بهما ، قال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى — كتاب الله وسنتى » .



مسجد الامام البخارى فى قرية خرتنك قرب سمر قند

جمع السنة وتدوينها
من عصر الصحابة إلى عصر البخاري

بعث الله فى الأميين رســولا منهم يتلــو عليهم آيــاته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وببعثة الرسول وتلاوته الكتــاب والحكمــة النبوية وهى السنة زكت وطهرت قلوب وعمرت صدور بالايمان فأقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون الكتــاب والحكمة وأزكى فيهم ذلك الاقبال قدوة حسنة متمثلة فى الرسول وبلاغة نادرة متمثلة فى الكتاب والسنة وذوق عربى أصيل فى الصــحابة حبب اليهم الكتــاب والحكمة ، وذاكرة واعية ضربوا بها المثل الأعلى فى قوة الحفظ اسعفتهم بتسجيل ما يلقى عليهم من الرسول ووضعوه فى صدورهم الأمينة التى طهرها الاسلام ٠

والقرآن يدفعهم ويوجههم الى العناية بالسنة واتبــاع الرسول ، والرسول يفسر ويشرع بالسنة وهم يحفظون ٠ ومعلوم أن القرآن نزل فى خلال ثلاثة وعشرين عاما فكان الرسول يبلغ الآيات ويفسرها وتطبق عمليا وفى ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمى (١) : حدثنا الذين كــانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مســعود — انهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمــل ٠٠٠ قالوا فتعلمنا القــرآن والعلم والعمل جميعا ونهج النبى معهم المنهج التربوى فكان يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة وفى ذلك تثبيت للمعلومات ٠

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٤ ٠

روى البخارى بالسند المتصل عن ابن مسعود قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا (١) » .

والقرآن يدعوهم الى العلم « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (٢) » والسنة تدعوهم الى العلم روى البخارى بالسند المتصل قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفهمه » وانما العلم بالتعلم « وفى رواية » من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، « ويأمرهم النبى بالتبليغ ويقول لهم بعد المقالة بعض الأحيان .

« هذا فليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه (٣) ودعا لمن أدى مقالته كما حفظها فقال : نضر الله امرءا سمع مقالتى فحفظها ووعاها حتى يبلغها « وقد التزموا أوامر رسولهم وتفانوا فى الحرص على تبليغ العلم روى البخارى قال أبو ذر رضى الله عنه « لو وضعتم الصمصامة « السيف » على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت أنى أنفذ كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على « تقطعوا رأسى » لأنفذتها (٤) « وقال ابن عباس » : « كونوا ربانيين حكما فقهاء ، ويقال الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره » وكان من عناية الصحابة بحديث النبى أنهم كان الواحد منهم اذا شغله عمل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول فكانوا يتناوبون فى السماع ويبلغ الشاهد الغائب ويسأل الشاهد وسطروا السنة على صفحات قلوبهم ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا وحرصوا على نشره وتبليغه وتعاون ثقات المجتمع الاسلامى من الصحابة فى حياة الرسول وبعد وفاته على حراسة سنة نبيهم وهل يشق على الآلاف الثقات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ؟ وعدتهم فى ذلك ايمان عميق بنبيهم وبسمو سنته وذاكرتهم الواعية التى فاقوا فيها جميع الأمم وشعورهم الفياض

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .
(٢) سورة الزمر الآية ٩ .
(٣) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .
(٤) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

بأن السنة هى سنة رسول رب العالمين ، فلو تخصص عشرة من الصحابة وحفظ كل واحد منهم فى صدره ما يساوى كمية نصف القرآن الكريم الذى حفظوه لكانوا جديرين بحراستها فما بالك وقد جند لها آلاف الثقات الحفاظ أنفسهم ؟ .

هذا فضلا عن ان منهم من بدأ يكتب الحديث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وان لم يكن التدوين عاما فقد كانت هناك صحائف خاصة . كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنه كاتبا محسنا اشتهرت صحيفته التى دون فيها الحديث (بالصحيفة الصادقة) لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة فهى أصدق ما يروى عنه ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد (١) وكانت عزيزة عليه للغاية حتى كان يقول ابن عمرو « ما يرغبنى فى الحياة الا الصادقة والوهط (٢) وكان لجابر بن عبد الله الانصارى صحيفة (٣) وكان لأنس ابن مالك صحيفة كان يبرزها اذا اجتمع الناس (٤) واشتهر ابن عباس بطلب العلم ودأبه عليه وكان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا له كما فى صحيح البخارى فى باب العلم بالسند المتصل عن ابن عباس قال :

ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الكتاب وفى الكفاية (٥) اللهم علمه الحكمة وعلمه التأويل ولهمام بن منبه صحيفة وتسمى الصحيفة الصحيحة وهو أحد أعلام التابعين رواها عن أبى هريرة (٦) ويقول الأستاذ الندوى أن تأليف هذه الصحيفة يرجع الى أواسط القرن الأول ، لأن أبا هريرة توفى سنة ٥٨ هجرية وهى من أملاء

(١) المحدث الفاصل للرامهرمزى ـ تقييد العلم ص ٨٤ وجامع بيان العلم وفضله .
(٢) سنن الدارمى جـ ١ ص ١٢٧ والوهط أرض لعمرو بن العاص تصدق بها ووقفها .
(٣) جامع بيان العلم جـ ١ ص ٧٤ تدوين السنة ص ٣٤٨ .
(٤) تقييد العلم ص ٥ .
(٥) الكفاية ص ٢١٣ .
(٦) قال مؤلف السنة قبل التدوين ص ٣٥٦ قد وصلتنا صحيفة همام كاملة كما دونها عن أبى هريرة عثر عليها الدكتور محمد حميد الله فى مخطوطتين متماثلتين .

أبى هريرة ويقرر الأستاذ أبو الحسن الندوى (١) متفقـا مع صـاحب تدوين الحديث : العلامة مناظر أحسن الكيلانى (٢) رئيس القسم الدينى العلمى بالجامعة العثمانية بحيدر آباد بأنه اذا جمعت هـذه الصـحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنن فى القرن الثالث وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسـجيله من غـير نظام وترتيب فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم وقد شاع فى النـاس — حتى المثقفين والمـؤلفين — أن الحديث لم يكتب ولم يسجل الا فى القرن الثالث الهجرى وأحسـنهم حالا من يرى أنه قـد كتب ودون فى القرن الثانى وما نشأ هذا الغلط الا عن طريقتين •

الأولى : ان عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحـديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هـذه الصـحف والمجـاميع التى كتبت فى القرن الأول لأن عامتها فقـدت وضـاعت مع أنهـا اندمجت وذابت فى المؤلفات المتـأخرة •

الثانية : انهم لا يتصورون سـعة هذه الصـحف لكثرة الأحاديث الموجودة ويقول الكيلانى قد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال أن أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث وكذلك يقال عن أبى زرعة ويروى عن الامام البخـارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصـحيحة ويروى عن مسـلم أنه قال جمعت كتـابى من ثلاثمائة ألف حـديث ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلا عن العامة أن الذى يكون هذا العـدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد فحديث (انما الأعمال بالنيات ٠٠)

---

(١) رجال الفكر والدعوة لابى الحسن الندوى ص ٨٢ وهو عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ومن أعلام الهند •

(٢) تدوين الحديث للعلامة مناظر أحسن الكيلانى « فى اللغة اردو » طبع المجلس العلمى بباكسـتان •

يروى من سبع مائة طريق فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث : وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذى يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف •

ومعظم هذه الثروة الحديثية قد كتبت ودونت بأقلام رواة العصر الأول ، وقد يزيد ما حفظ فى الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا فى العصر النبوى وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم على عشرة آلاف حديث اذا جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعلى بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهم فيمكن أن يقال أن ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون فى عصر النبوة وفى عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ والصحاح بكثير [1] أ هـ • وهكذا تعاون الحفظ والتدوين على حفظ سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى عصر الصحابة وعضوا عليها بالنواجز وعرفوا قدرها ، ولا نغفل ما حصل من أمر الوضع فى الحديث منذ أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنه وحرب الامام على ومعاوية والخلافات سياسية ومذهبية والحادية •

ولكن من الطبيعى ان ذلك لا يصدر الا عمن لا معرفة ولا عناية لهم بالسنة ولا ثقة للناس بهم ولا صحبة لهم حقيقية مع الرسول • ومن يحاول تقليد شىء لا علم له به يكون أمره مفضوحا واهيا وماذا يفعلون أمام التيار الجارف من الحرص على السنة وقد أحس الثقات بهم فحصروهم فى قوائم سوداء وحصروا معهم الضعفاء هى قوائم الكذابين والوضاعين والضعفاء • وحصروا أحاديثهم فى قوائم الموضوعات •

وقوبلت حركة الوضع الهزيلة من الذين لا عناية لهم بالسنة ولا معرفة لهم بها بحركة قوية جبارة من علماء السنة ووضعوا المقاييس الفريدة والمنهج القويم يساند ذلك الحق والالهام والذوق والملكة

---

(١) تدوين الحديث للعلامة مناظر أحسن الكيلانى فى اللغة أردو طبع المجلس العلمى بباكستان •

ومعرفة أبطال السنة وحرصهم عليها فالتزموا الاسناد يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسـناد فلمـا وقعت الفتنـة قالوا سموا لنارجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حـديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم (١) ويقول ابو العالية : « كنـا نسـمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رضينا حتى رحلنا اليهم فسمعنا عن أفواههم (٢) » ويقول عبد الله بن المبارك : الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وعنه أنه قـال : بيننا وبين القوم القوائم يعنى الاسناد (٣) » ويقول سفيان الثورى : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ (٤) ورحلوا من أجل الحديث » — يقول سعيد بن المسيب : « ان كنت لأسير الليالى والايام فى طلب الحديث الواحد (٥) » ووضعوا قواعد الاسناد والمتن وقضوا على حركة الوضاعين » .

ولا يعارض كتابة الحديث فى عصر النبوة والصحابة ما روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عنى غير القـرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا ولا حرج ومن كـذب على متعمـدا فليتبوأ مقعده من النار . فـان ذلك كان فى بدء الدعـوة حتى لا يختلط القرآن بالسنة ولم يستقر الاسلوب القرآنى بعـد فى النفـوس ، أو كان ذلك النهى بالنسبة لكتاب الوحى خاصة حتى يتفرغوا لمهمـة القـرآن ، أو النهى كان خاصا لكتابة الحديث مع القرآن فى صـحيفة واحدة ، فـأنه يدل على الكتابة ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنـه أنه قال : لما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكـة قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله حبس عن مكـة الفيـل

---

(١) مقدمة صحيح مسلم النووى ج ١ ص ٨٤ .
(٢) المحدث الفاصل ص ٢٠ .
(٣) الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ .
(٤) الكامل لابن عدى ج ٣ ص ٤ .
(٥) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٩٤ .

وسلط عليها رسوله والمؤمنين فقام أبو شاه « رجل من اليمن » فقال : اكتبوا لى يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لأبى شاه .. وما روى البخارى فى كتاب العلم عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده « الحديث » وهكذا كان عصر الصحابة الذين شهدوا الوحى والتنزيل واختارهم الله لصحبة نبيه وجعلهم أعلاما وقدوة ونفى عنهم الشك والكذب والريبة وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره فى محكم كتابه : « وكذلك[1] جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » وفسر النبى صلى الله عليه وسلم وسطا — عدلا — [2] فكانوا أئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة والحراس عليها ومعهم التابعون اختارهم الله لاقامة دينه وفقهوا فيه فأخذوا السنة عن الصحابة . « والذين [3] اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » يقول ابن أبى حاتم [4] : ندبهم الله عز وجل لاثبات دينه واقامة سننه وسبيله المستقيم . فلم يكن لاشتغالنا بالتمييز بينهم معنى اذ كنا لا نجد منهم الا اماما مبرزا — مقدما فى الفضل والعلم وفى السنن واثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها رحمة الله ومغفرته عليهم أجمعين — الا ما كان ممن ألحق نفسه بهم ودسها بينهم ممن ليس يلحقهم ولا هو فى مثل حالهم لا فى فقه ولا حفظ ولا اتقان ولا تثبيت أ — هـ .

على أنه قبل أن ينقضى عصر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز بتدوين الحديث فكان التدوين الرسمى بأمر الخليفة على رأس المائة حينما رأى اتساع الفتوحات الاسلامية وانتشار الصحابة فى الأقطار وموت أكثرهم .

روى البخارى فى كتاب العلم من صحيحه . وكتب عمر ابن عبد العزيز الى أبى بكر بن حزم : أنظر ما كان من حديث رسول

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) كما فى صحيح البخارى من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٠ .

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص ٩ لابن ابى حاتم .

الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه • فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم • فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا •

وابو بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة :

وأوصاه (1) أن يكتب ما عند عمره بنت عبد الرحمن الأنصارى والقاسم بن محمد بن ابى بكر المتوفى (١٢٠) ه •

وكذلك كتب الى عماله فى امهات المدن الاسلامية بجمع الحديث فقد أخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل الآفاق : أنظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه • وأمر خليفة للمسلمين كعمر بنعبد العزيز كفيل بأن يشعل الهمم ويصادف القبول فى النفوس المستعدة فتسرع للاستجابة لتنفيذ آمره على خير وجه وقد لبى الأمر الامام الكبير محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى (١٢٤ ه) وللزهرى مكانته وامامته •

ثم شاع التدوين فى الجيل الذى يلى جيل الزهرى •

وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج (١٥٠) وابن اسحاق (١٥١ ه) ومالك (١٧٩) بالمدينة وسعيد بن أبى عروبة (١٥٦ ه) والربيع ابن صبيح (١٦٠ ه) وحماد بن سلمة (١٧٦) بالبصرة وبالكوفة سفيان الثورى (١٦١ ه) وبالشام ابو عمرو الاوزاعى (١٥٦ ه) وبواسط هشيم بن بشير (١٨٨ ه) وشعبة بن الحجاج (١٦٠) وبخراسان ابن المبارك (١٨١ ه) وباليمن معمر (١٥٣) وبالرى جرير (١٧٥ ه) وبمصر عبد الله بن وهب (١٩٧) •

وهؤلاء كانوا فى عصر واحد لايدرى أيهم أسبق فى التدوين • ومنهجهم فى التدوين جمع حديث رسول الله مختلطا بأقوال الصحابة ، والتابعين مع ضم الابواب بعضها الى بعض ثم تلاهم كثير من أهل

---

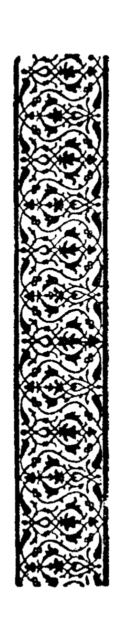
(1) فنون الحديث للخولى والسنة ومكانتها ص ١٢٢ للسباعى •

عصرهم تسجا على منوالهم الى أن رأى بعض الأئمة أن يفرد حـــديث النبى صلى الله عليه وسلم خاصة على رأس المائتين فى أوائل القــرن الثالث فألفت المسانيد : ومنهج المسانيد أن يجمع أحاديث كل صـــحابى على حدة وان تعدد الموضوع ٠

ومن هذه المسانيد مسند عبيد الله بن موسى العبسى الكوفى ومسند مسدد بن مسرهد البصرى وأسد بن موسى الأموى ونعيم بن حمـــاد الخزاعى ٠

ثم اقتفى الأئمة أثرهم كالامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وهما من أساتذة الامام البخارى وكان منهج هؤلاء مزج الصحيح وهـو ما ثبت صحته بغيره ٠

ثم جاء أبو عبد الله البخارى ٠٠



الباب الأول

نشأة الإمام البخاري ومنهجه في حياته العلمية

نشــأة (١) أبى عبــد الله البخارى

نسبه : هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن «بردزبه»(٢) الجعفى ولاء . البخارى مولدا شرف الله جده المغيرة بالاســلام على يد اليمان الجعفى والى بخارى فانتمى اليه بولاء الاســلام وسرى منــه **الى ذريته جيلا بعد جيل ومنهم** امامنا **البخارى** وبارك الله فى صلة المغيرة باليمان فكان حفيد اليمان عبد الله المسندى بن محمد بن جعفر بن اليمان شــيخا لحفيــد المغيرة أمــير المــؤمنين فى الحــديث ــ أبى عبد الله البخــارى كمــا كان أحيد بن أبى جعفر الجعفى والى بخــارى راويا **لأبى عبد الله البخارى ومن هنا نعلم** مدى العلاقة الطيبة بين بيت الولاة الأطهار العلماء ببخارى وبيت أبى عبد الله البخارى .

مولد البخارى وأسرته

أراد الله لمدينــة بخارى وهى من أعظم مدن ما وراء النهر « نهر جيحون » على بعد ثمانية أيام من سمرقند من بلاد فــارس (٣) أن يرفع ذكرها ويخلد اسمها وضاء فولد بها أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يوم الجمعة (٤) لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتســعين ومــائة

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادى ج ٢ ص ٦ ، طبقات الشافعية الكبرى لابن الســبكى ج ٢ ص ٤ مقدمة فتح البارى لابن حجر ج ٢ ص ١٦٣ مقدمة شرح البخــارى للنووى ج ١ ص ٤ . تهذيب الاسماء واللغات للنوى ج ١ ص ٦٧ ، تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ ص ١٧٢ سير أعلام النبلاء للذهبى ج ٢ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩٥ لباب الانساب ج ١ ص ٢٣١ تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٧ .

(٢) « بردزبة » فارسى معناه بالعربية الزراع « الفلاح أو البستانى » .

(٣) وبخارى الآن تحت نفوذ الاتحاد السوفيتى بولاية ازبيكستان من المستعمرات الروسية فى آسيا الوسطى .

(٤) قال أبو يعلى الخليلى فى كتابه الارشــاد على ماق الوفيات ان ولادته كانت لاثنتى عشرة من شوال فى السنة المذكورة .

من الهجرة (١٩٤ هـ) فى بيت مبارك عطره والده اسماعيل بالعلم والتقوى فقد كان من العلماء العاملين والنبلاء الورعين ، خرج اسماعيل من وطنه حاجا قبل سنة (١٧٩ هـ) وتقابل مع امام المدينة مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد وصالح عبد الله بن المبارك بكلتا يديه (١) •

وحدث عن ابى معاوية بن صالح وجماعة وروى عنه أحمد بن حفص وغيره من العراقيين •

واذا كانت مكانة اسماعيل تسمو برواية الحديث وطلبه من منابعه الصافية منذ تتلمذ على أقطاب المحدثين وبتصدره شيخا محدثا يؤخذ عنه الحديث فأن هذا السمو يبلغ درجة عالية من الكمال حينما نعلم أنه اتسم بأشرف الأوسمة اذ كان ثقة •• ترجم له ابن حبان فى كتاب الثقات كما ترجم له ولده (٢) فى التاريخ الكبير •

وهل الثقة الا لفظ موجز عميق الدلالة ؟ •• يضم فى دائرته أجل الصفات وأعظمها غريزية ومكتسبة من ذكاء لماح وحفظ تام الى عدالة كاملة وأمانة عالية • وقد بلغ اسماعيل درجة فى الورع تدعو الى الاجلال والاكبار ، اذ كان يبتعد عن الشبهات • أنعم الله عليه بثروة طائلة طهرها حتى من الشبهات واستثمرها فى الخيرات فكان قرير العين عند الممات روى عنه احمد بن حفص : قال دخلت عليه عند موته فقال : لا أعلم فى جميع مالى درهما من شبهة فتصاغرت الى نفسى (٣) بعد ذلك ، واستقبل منزل الحديث والتقوى والثراء العريض محمد بن اسماعيل وقرت به عين والديه ــ طفلا صغيرا ثم ما لبث الوالد ان توفى وترك ابنه محمدا فى مرحلة الطفولة مع أمه التقية (٤) النابهة تحبوه بعطفها وتركز فيه آمالها •

---

(١) رواية عن البخارى فى سير أعلام النبلاء ٢ ـ ٨ ص ٢٣٤ مخطوط •

(٢) تاريخ البخارى جـ ١ قسم ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ طبع الهند ١٣٧٠ هـ •

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٢٣٤ وطبقات ابن السبكى الكبرى جـ ٢ ص ٢ وغيرها من المراجع المتقدمة •

(٤) انظر الخطيب البغدادى ٢ ـ ١٠ ذكرها غنجار فى تاريخ بخارى واللالكائى فى شرح السنة من أصحاب الكرامات فى باب كرامة الاولياء دعت لابنها البخارى فرد الله عليه بصره

والى أى وجهة تتجه به غير نهج والده الذى ترك لها مع ثراء المال ثراء العلم يفوح أريجه فى أرجاء البيت مثلا تطبيقية زاكيـــة ممـــا تركه مسطورا فى كتبه الجامعة ذخيرة هادية .

فلتتجه به الى التعليم لينتفع بكتب والده ويسير على نهجـــه عله يحيى سيرته وذكره فالوالد سر أبيه فوجهتـــــه الى الكتاب ليدرس مع أقرانه الكتابة والقراءة والقرآن الكريم والحديث الشريف .

نبوغه العلمى المبكر :

وما أن شب الوليد وبلغ العاشرة حتىظهرت مخايل الذكاء والنجابة فيه بصورة واضحة نادرة فى هذا الوقت المبكر فى سنى حياته فى المكتب سنة ٢٠٥ هـ وييسره الله الى ما خلق له .

فألهمه حفظ الحديث على حد تعبيره الدقيق يحدث محمد بن أبى حاتم الـــوراق النحـــوى قال : قلت لأبى عبد الله محمد بن اســـماعيل البخارى : كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث ؟ .

قالت : ألهمت حفظ الحـــديث وأنا فى الكتـــاب قال : كم أتى عليك اذ ذاك ؟ قال : عشر سنين أو أقل (١) .

ويلاحظ أن هذا النبوغ المبكر والنمو العلمى الجارف فى الحديث ــ كان الصفة السائدة « على حد تعبير علماء النفس » التى برزت فى حياة البخارى منذ النشأة الأولى .. فاعيت الباحثين فى حياة البخـــارى عن التقديم لحياته العلمية بمقدمات ضافية فى تربيته وخلاله قبـــل اكتمـــال عوده وهو غلام على حد تعبير الداخلى حتى يجد حياته العلمية متمرقـــة فيه . تجبر الباحث على الاهتمام بها والسير فى مضمارها . مراحـــل متسلسلة مترابطة باهرة السابقة مقدمة للاحقة .

=

بعد أن ذهب وفى البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٥ لابن كثير ذكر انه عمى فى صغره فرأت والدته سيدنا ابراهيم عليه السلام فى المنام فقال لها : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو لكثرة دعائك وفى طبقات الشافعية للسبكى جـ ٢ ص ٣ . فأصبح وقد رد الله عليه بصره .

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٦ .

فهو حينما يبلغ سن الحادية عشرة تكبر همته فلا يسعها رحاب الكتاب فيطلب لها أفقا أوسع وأرحب ، جغرافيته وطنه •

يتردد على أئمة الحديث أينما وجدوا فى دائرة وطنه لينهل من مواردهم حاملا عقلا نقادا وذاكرة واعية وخلقا كريما وعرف نفسه فاكتسب بذلك ثقة دفعته الى أن يقف وهو ملء السمع والبصر بقوته العلمية المبكرة يصحح ما يخطىء فيه أستاذ من عمالقة الحديث وهو أستاذه الداخلى ويدخل معه فى مناقشة علمية بريئة تهدف الى الحق وتنتهى بتسليم أستاذه الداخلى له وكتابة ما أرشده البخارى الى تصحيحه • ويحدثنا البخارى رضى الله عنه عن هذه المرحلة : « ثم خرجت من الكتاب بعد العشر اختلف الى الداخلى وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ على الناس : « سفيان عن أبى الزبير « المكى » عن ابراهيم « النخعى » فقلت له : يا ابا فلان ان ابا الزبير لم يرو عن ابراهيم فانتهرنى فقلت له : ارجع الى الاصل أن كان عندك • فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير بن عدى عن ابراهيم فأخذ القلم منى وأحكم كتابه فقال : صدقت فقال : له بعض أصحابه ابن كم كنت اذ رددت عليه ؟

فقال : ابن احدى عشرة (١) •

واستمر البخارى حركة دائبة فى تلقى الحديث من أهل بلده فسمع من محمد ابن سلام البيكندى وعبد الله بن محمد المسندى (٢) وابراهيم ابن الأشعث ومحمد بن يوسف البيكندى •

أفادته من كتب والده

وتحققت أمنية أمه فكانت كتب والدمربية له وعونا • أقبل عليها دراسة وتمحيصا ومراجعة يقول ابو بكر بن منير : سمعت محمد بن

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٦ وغيره من المراجع السابقة • الطبقات الكبرى لابن السبكى جـ ٢ ص ٤ •

(٢) الطبقات الكبرى لابن السبكى ص ٢٥٦ جـ ١ وتهذيب الاسماء واللغات للنووى جـ ١ المسند من حداثته •

اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفى يقول : كنت عند أبى حفص احمد بن حفص اسمع كتاب الجامع — جامع سفيان — فى كتــاب والدى فمر أبو حفص على حرف لم يكن عندى فراجعته فقال الثانية كــذلك فراجعته الثانية فقال كذلك فراجعته الثالثة فسكت سويعة ثم قال : من هــذا ؟ .

قالوا : هذا محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبة فقــال أبو حفص : هو كما قال احفظوا عنه فان هذا يوما يصير رجلا .

وظل يحفظ الكتب ويناقش أساتذته وتظهر عبقريته والهامه حتى امتلأت الأسماع بذكره وتعجب منه مشايخه .

الغلام العالم ومنهجه الدراسى

وأصبح الغلام عالما فذا تهابه الشيوخ ويتندرون بذكره .. جمــع ما عندهم جميعا من الأحاديث وعنى بالاسناد فعرف الرجــال ومولدهم وتاريخ وفاتهم ومساكنهم وشيوخهم حتى أدرك حقيقة ارتباط الرجال بالأحوال والسند والمتن فأصبح لا يشتبه عليه شيء ، وبهذا فاضلوا بينه وبين شيوخه فقال [1] جعفر بن محمد المستغفرى فى تاريخ نســف وذكر البخارى لو جاز لفضلته على من بقى من مشــايخه وروى عن شــيخه محمد بن سلام البيكندى قــوله فى محمد بن اسماعيل كلمــا دخل على هذا الصبى تحيرت والتبس على أمر الحديث ولا أزال خائفا [2] » .

ويقول سليم بن مجاهد كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال : لو جئت قبل لرأيت صــبيا يحفظ ســبعين ألف حــديث فخرجت حتى لحقته فقلت له أنت تحفظ سبعين ألف حديث ؟

قال : نعم وأكثر ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد اكثرهم ووفاتهم ومســاكنهم ولســت أروى حديثــا من حــديث

---

(١) الطبقات جـ ٢ ص ٢ .
(٢) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٨ .

الصحابة والتابعين الاولى من ذلك أصل أحفظه حفظا من الكتاب أو السنة (1) •

وفى هذا النص يتجلى لنا منهجه الدراسى فى الحديث وهو العناية بالسند وأحواله والمتن وأصوله وهو حينما يروى الموقوف (المروى عن الصحابى) أو المقطوع (الموقوف على التابعى) فله فى ذلك المعنى المروى أصل من كتاب الله أو من السنة الصحيحة المسندة ولهذا المنهج فى الدراسة والرواية الذى لا يتيسر الا لمن وهبه الا الاستعداد والالهام • كانت الثقة فى مرويات البخارى متوفرة مسندة ، أو موقوفة أو مقطوعة فهو رجل الحديث والقرآن والمنهج الفريد منذ نعومة أظفاره •

وفى كل يوم يزداد فتى بخارى علما ويزداد تقدير مشايخه له يتنبئون له بالمستقبل الزاهر كل ذلك ولم يبلغ السادسة عشرة سنة ، فلما بلغها حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وهما المحدثان المشهوران بمكانتهما العلمية •

رحلته فى طلب العلم

كان من الممكن أن يكون البخارى من أئمة الحديث كغيره من الأفذاذ الذين اقتصروا على ما جمعوه من أمصارهم وهو مجهود لا يستهان به وثروة مطمئنة وشرف عظيم •

لكنه رأى فى نفسه نهما علميا لا حد له يزكيه استعداد فطرى منقطع النظير ، وروح دينية عالية • وتوجيه • من أم صالحة تربت فى بيت كريم — وانتماء الى محدث ثقة نقى وفوق كل ذلك الهام الله وعنايته الذى هداه الصراط المستقيم فطار على أجنحة همة عالية يطوف فى أرجاء الدنيا طالبا الحديث ورجاله • وبدأ الرحلة المباركة بمكة المكرمة مهبط الوحى ومنبت الرسالة وفى موسم الحج •• لتأدية فريضة الحج أخذ معه المربية الفاضلة أمه •• وأخاه أحمد الذى يكبره سنا •• وكان

---

(1) الطبقات جـ ٢ ص ٨ لابن السبكى •

ذلك سنة ٢١٦ هـ وعمره ستة عشرة سنة ومعنى ذلك أنه خرج فى نفس السنة التى حفظ فيها كتب ابن المبارك ووكيع .

يقول : « البخارى (١) خرجت مع أمى وأخى أحمد الى مكة فلما حججت رجع بها أخى وتخلفت فى طلب الحديث وهناك سمع على أئمة مكة أمثـــال أبى الوليد أحمد بن محمد الأزرقى واسماعيل بن ســـالم الصـــايغ .

ثم رحل الى المدينة المنورة دار الهجرة ومثوى صـــاحب الرسالة ومشرق النور . ليزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع العلم من أهلـــه .

أحفاد الصحابة الذين حرســـوا الســـنة وســـلموها الى أولادهم التابعين وتوارثوها جيلا جيلا وطبقوها عمليا فأصبح عملهم الاجتماعى حجة عند امام دارهم الطيبة المحـــدث الامام مالك بن أنس رضى الله عنه الذى ترك للاسلام زخيرة ضافية من الحديث وفقهه .

مبدأ تأليف الامــــام البخارى

وفى جوار الرسول فى رحاب المســـجد النبـــوى بين القبر والمنبر حيث الروحانية الصافية أفاض الله على البخارى فكان دخـــوله عنـــد قبر صاحب السنة دخولا فى دور جديد مبارك هو بدء حياته التأليفية . فصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ثم صنف التـــاريخ الكبير جمع فيه بين الثقات والضعفاء من رواة الحديث يقول البخارى : « فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ فى المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وكتبه فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول الكتـــاب » (٢) .

---

(١) مقدمة هدى السارى جـ ٢ ص ١٩٣ لابن حجر .
(٢) تاريخ بغداد ٢ ـ ٧ تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٢٢ .

وأن تأليفه للكتابين المذكورين ليعطى لنا صورة مجلوة المعالم وضاءة المحيا على مدى معرفة البخارى لرجال الحديث وأحوالهم كأنه شهد القوم على حد تعبير أستاذه المحدث اسحاق بن راهويه .

ويبين لنا قيمة التاريخ وأثره العلمى : ماقاله أبو أحمد الحاكم الكبير ، وكتاب (1) محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن ألف بعده شيئا فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه فمنهم من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهممن حكاه عنه (2) فالله يرحمه فانه الذى أصل الأصول « ويقول أبو سهل محمود الشافعى سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون حاجتنا فى الدنيا النظر فى تاريخ محمد بن اسماعيل وهو الكتاب الذى سماه اسحاق بن راهويه سحرا .

واذا كانت طلائع تأليف البخارى لها هذه المكانة من تأصيل الأصول فانها من غير شك تضفى الثقة على ما يتلوها من مؤلفات كانت هذه الطلائع بمنزلة المقدمة لها .

ومكث بالمدينة سنة (3) . ثم واصل الرحلة فى عصر لم تظهر فيه المواصلات السريعة فتراه يرحل على ظهر المطى من بلد الى آخر طالبا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم باحثا عن رجاله أينما كانوا تحلق به قوة علوية فى سماوات أرجاء العالم الاسلامى المتسع الرقعة فى ذلك العصر . راويا وحافظا . ومصنفا ومحدثا راجيا من الله أن يضع له البركة والقبول للمسلمين فى مصنفاته فرحل الى البصرة ليسمع الحديث ويصنف وتردد منها على مكة أيام الحج والتقى فى مواسمه بمحدثى الأمصار الاسلامية وكانت اقامته بالبصرة خمس سنين .

يقول : « وأقمت بالبصرة خمس سنين مع كتبى أصنف وأحج وأرجع من مكة الى البصرة وأنا أرجو الله أن يبارك للمسلمين فى هذه

---

(1) الطبقات ج ٢ ص ١٠ .

(2) سير الاعلام النبلاء للذهبى ج ٢ ص ٨ مخطوط بدار الكتب المصرية .

(3) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠ مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٤ تاريخ بغداد .

المصنفات ويقول دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة اربع مرات وأقمت بالحجاز أعوام ولا أحصى كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين .

فالبخارى رحالة الحديث تجذبه السنة بما لها من تأثير وحيثما كانت اتجه البخارى ووضع رحاله واستوطن حتى حصلها . والمدن كلها فى نظره سواء قربت أم بعدت .

مكة .. المدينة .. الشـــام .. بغداد .. واسط .. البصرة . الكوفة .. مصر .. بخـــارى .. مرو .. هراء .. نيســـابور (١) قيسارية .. عسقلان . حمص .. خراسان .. الجبال ..

وكان يكفى لشد الرحال الى بلدة مجرد وجود محدث فيها وليس له مقصد غير تحصيله الحديث .

أدرك عبد الرزاق وأراد أن يرحل اليه وكان يمكنه ذلك فقيل له : انه قد مات فتأخر عن التوجه الى اليمن (٢) .

ازاء هذا المجهود الضخم فى الرحلات الواسعة لا نستغرب قوله : « كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث (٣) وقوله : كتبت عن ألف شيخ أو أكثر ما عندى حديث لا أذكر اسناده .

فالبخارى فى حله وترحاله رجل الحديث وباحثه الذى حصر أنظار العلماء عليه وملئت مجالس شيوخه فى كل مكان بالتقدير والتكريم له .

يقول أبو سهل محمود بن النصر : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة . ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم (٤) . وبهذا المجهود الضخم فى رحلاته كانت الثقة به . فلا غرابة أن تكون مروياته لها مكانتها والوثوق بها ، فعلى من كان يتلقى الحـــديث ؟ .

---

(١) شرح البخارى للنووى ص ٦ .. الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣ .

(٢) المقدمة لابن حجر ج ٢ ص ١٩٣ .

(٣) شرح النووى للبخارى ص ٧ ج ١ والخطيب البغدادى ج ٢ ص ٦٠ .

(٤) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩ .

طوف البخارى فى آفاق المعمورة • باحثا عن أئمة الحديث الهداة وهم كثرة وفيرة تلقى عنهم فأصبحوا شيوخه •

وقد وضع لنفسه نهجا فى اختياره لشيوخه فلا يأخذ الا عن الثقات يقول : كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندى حديث لا أذكر اســـــناده (١) •

ومن أجل ذلك كان اهتمامه البالغ بمعرفة حال الرواه وكيفية تلقيهم للحديث حتى يطمئن الى أخذه عنهم •

يقول (٢) : لم يكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء •

كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمـــل الحديث ان كان الرجل فهما • فان لم يكن • سألته أن يخرج الى أصـــله ونسخته • أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون (٣) •

ونشأ عن اهتمامه بالثقات ترك كل من فيه نظر مهما كان عنده من كثرة فى الحديث ــ يقول محمد بن أبى حاتم :

سئل محمد بن اسماعيل عن خبر حديث فقال :

« يا أبا فلان أترانى أدلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثله أو أكثر لغيره لى فيه نظر » (٤) •

ويتراءى من النص أن البخارى كان يترك أحاديث من لم يكن محل ثقة كاملة فى نظر المحدثين • وأبعد من ذلك فان له نظرته التى يزن بها شيوخه المحدثين فمن لم يكن راجحا ثبتا تركه وحديثه ولا اعتبار به عنـــده •

(١) مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٨ ج١ •
(٢) تاريخ بغداد ج٢ ص ٢٥ •
(٣) سير أعلام النبلاء مخطوط ج ٨ ص ٢٣٨ •
(٤) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ •

ولا يعارض ذلك ما روى أنه يحفظ أحاديث غير صـــحيحة فانه يحفظها كما يحفظ أسماء الضعفاء من الرجال لتجنبهم وهذه طريقـــة المحدثين فى تصفية ثروتهم من الشوائب بمعرفة غشها ــ لتركه وحراسة كريمها منـــــه •

ويستوثق فى التحرى من الرواة بما لم يسبق اليه فلا يكتب الا عن الورع الذى يقول الايمان قول وعمل : يقول :

لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان الى أن قال : ما رأيت واحدا منهم يختلف فى هذه الاشياء (١)•

« ان الدين قول وعمل وان القرآن كلام الله » وهذا المنهج فى التحرى فى رجال الاسناد هو المنهج العام فى كل روايات البخـــــارى فى جامعه الصحيح وغيره من مصنفاته واذا كان شيوخ البخارى بلغوا كثرة فانه أشار اليها فى وقت ما بأنها بلغت أزيد من الالف ثقــــة كما ورد فى النص • فالاستيعاب لمشايخه أمر يطول ويصعب فيكفى أن أذكر نماذج حية من كبار شيوخه الذين تقدم سماعهم وعلا اسنادهم ليستدل بهم على أعالى اسناده كما ذكره الحاكم النيسابورى » •

فممن سمع منه البخارى رحمه الله •

بمكـــــة :

أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقى وعبد الله بن يزيد المقـــــرى واسماعيل بن سالم الصائغ وأبو بكر الحميدى عبد الله بن الزبـــير القرشى الأسدى أجل أصحاب الشافعى ، وأقرانهم •

بالمدينة :

ابراهيم بن المنذر الحزامى ومطرف بن عبد الله بن حمزة وأبو ثابت محمد بن عبد الله وعبد العزيز بن عبد الله الاويسى ويحيى بن قزعة وأقرانهم •

---

(١) المقدسى فى كتابه الكمال فى أسماء الرجال ج ١ ص ٨٢ سير أعلام النبـــلاء ٢/٨ ص٢٣٥ مخطوط وشرح البخارى للنووى ص ٦ وتهذيب الاسماء واللغات ص ٧١ للنووى •

وبالشام : محمد بن يوسف الفريابى من أوائل من صـــنف على المســـانيد وأبو نصر اسحاق بن ابراهيم ، وآدم بن أبى اليـــاس وأبو اليمان ابن نافع (١) وحيوه بن شريح وخطاب بن عثمان وسليمان ابن عبد الرحمن • وأبو المغيرة عبد القدوس وأقرانهم •

وببخارى :

محمد بن سلام البيكندى ومحمد بن يوسف وعبد الله بن محمد المسندى وهارون بن الأشعث وأقرانهم •

وبمرو :

على بن الحسن بن شقيق وعبدان بن عبد الله بن عثمان ومحمد ابن مقاتل وعبده بن الحكيم ومحمد بن يحيى الصائغ وحبان بن مـوسى وأقرانهم •

وببلخ :

مكى بن ابراهيم ويحيى بن بشر ومحمد بن أبان والحسن بن شجاع ويحيى بن موسى وقتيبة بن سعيد وأقرانهم وقد أكثر بها •

ومن هراه :

احمد بن الوليد الحنفى •

ومن نيسابور :

يحيى بن يحيى التميمى وبشر بن الحكم واسحاق بن ابراهيم الحنظلى « ابن راهوية » ومحمد بن رافع وأحمد بن حفص ومحمـــد ابن يحيى الذهلى وأقرانهم •

ومن أهل الرى :

ابراهيم بن موسى •

---

(١) مقدمة شرح البخارى للنوى ج ١ ص ٦ •

ومن بغداد :

محمد بن عيسى الطباع ومحمد بن سابق وسريج وأحمد بن حنبل وأبو بكر بن الاسود واسماعيل بن الخليل وأبو مسـلم عبد الرحمن ابن أبى يونس والمستملى وأقرانهم .

ومن واسط :

حسان بن عبد الله وسعيد بن عبد الله بن سليمان وأقرانهم .

وبالبصرة :

أبو عاصم النبيل وحسان بن حسان وصفوان بن عيسى وبدل ابن المحرب وحرمى بن حفص و (عفان) بن مسلم ومحمد عرعرة وسليمان ابن حرب وأبو حذيفة النهدى وأبو الوليد الطيالسى وعارم (محمد بن الفضل) ومحمد بن سنان وأقرانهم .

وبالكوفـة :

عبيد الله بن موسى وأبو نعيم وأحمد بن يعقوب واسـماعيل ابن ابان والحسن بن الربيع وخالد بن مخلد وسعد بن حفص وطلق ابن غنام وعمر بن حفص . وعروة بن أبى المغراء وقبيصة بن عقبـة وأبو غسان وأقرانهم .

وبمصر :

عثمان بن صالح وسعيد بن أبى مريم وعبد الله بن صالح وأحمد ابن صالح وأحمد بن شبيب واصبغ بن الفرج وسعيد بن عيسى وسعيد ابن كثير بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير وأقرانهم .

وبالجزيرة :

أحمد بن عبد الملك الحرانى وأحمد بن (يزيد) الحرانى وعمرو ابن خلف واسماعيل بن عبد الله الرقى وأقرانهم .

قال الحاكم :

فقد دخل البخارى رحمه الله هذه البلاد المذكورة فى طلب العلم وأقام فى كل مدينة منها على مشايخها وانما سميت من كل ناحيـــة من المتقدمين ليستدل على عالى اسناده وبالله التوفيق •

أذكر ذلك وان كان قد عقب عليه ابن السبكى باستدراكه عـــلى بعض الاسماء الا أن ذلك ثم يرق الى رتبة الترجيع فبقى المعنى الذى يريده الحاكم من كثرة شيوخه على اسنادهم •

طبقات شـــيوخ البخارى

استقبل امامنا البخارى حياته العلمية الزاهرة فى مقتبل القـــرن الثالث الهجرى وكان استقبالا حارا جارفا فحصل حديث أهل بلـــده وحفظه • وعرف كلام أهل الرأى •

وابتدأ الرحلة المباركة سنة ٢١٠ هـ يافعا فى مكانته العلمية وكان بين نهضته فى اشتغاله بالحديث وبين وفاة صاحب الحديث صلى الله عليه وسلم الذى توفى سنة ١١ هـ قرنان من الزمان هذا بالنسبة للمقياس الزمنى •

أما بالنسبة لمقياس طبقات رجال الحديث فالبخارى من أتباع أتباع التابعين بينه وبين صاحب الهداية والسنة ثلاثة رجال فقط فى اسناده العالى كما فى (ثلاثيات البخارى) وهذه المسافة قصيرة للغاية • بالنسبة للثقافة الانسانية وتاريخها ونظرياتها ويعبر المؤرخون عن مثل هـــذه المسافة حينما يوجدون على طرفها •

« بالتاريخ الحديث » وفى عصرنا الحالى يدرس من الثقـــافات ونصوصها ما يضرب فى أعماق الزمن قبل الرسالة المحمدية بعشرات السنين ، بل اننا نسلم بحقائق بشرية كتعليمات مسلمة لاشية فيها منذ عشرات السنين قبل الميلاد كأقوال (أنيكسمندر) وسقراط وأرسطو وغيرهم ، رغم أننا لم نعرف سندها وأحوال نقلها وظروفهم • فما بالك اذا كانت المسافة الزمنية قصيرة • وكانت ثقافة وحى يوحى وسعادة دنيا

وآخرى وحملتها أصحاب القرون الأولى الخيرة الذين جندوا أنفسهم لحفظ السنة •

ومنهم من قصر حياته على احيائها وقيض الله لها العدول الذين ينفون عنها تحريف الغالين وخبث الوضاعين فظلت ناضرة بحيويتها • التى لبستها يوم أن خرجت من فم صاحب الرسالة ، حفظها الصحابة وأسلموها للتابعين فأدوها بدورهم لأتباع التابعين وأتباع أتباع التابعين وطبقات مثالية حارسة للسنة وكلما تقدم الاسناد علا •• وأعلا اسناد البخارى •

كما أشرت لذلك ثلاثياته التى فيها بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال فالمحدثون للبخارى أتباع التابعين الذين بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم التابعون فالصحابة مباشرة الذين تلقـــوا السنة عن الرسول المتلقى عن الوحى الذى لا ينطق عن الهوى •

فما على البخارى الا أن يتعرف بنظرته الثاقبة الصادقة ثقة شيخه ودقته ويتعرف من شيخه أحوال من أخذ عنه شيخه من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة المعدلين بالقرآن •

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » • والذين قال الرسول فيهم :

«أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وهم طليعة القرون الخيرة • ينص حديث الرسول خير القرون قرنى • ثم الذين يلونهم • الخ • سيرتهم ناصعة كالصباح • وسيماهم فى وجوههم من أثر الصلاح فهذا الاسناد العالى للبخارى يسكب فى نفوسنا تأكيدا للثقـــة برواية السنة عند البخارى فى هذه الطبقة وفى غيرها من الطبقات التالية لأن البخارى كما يأخذ عن هذه الطبقة يسترشد بها عن الســـنة وأماكنها ورجالها الحافظين لها الموثوق بهم من بعد هذه الطبقة من طبقـــات شـــيوخه ••

فلو فرض فرضا ، أن السنة لم تدون الا فى عصر درة ــ المحدثين• البخــــارى •

لما كان هناك ما يدعو الى القلق والقول بتأخر تدوين السنة ، كما يدعى بعض المتجنين ومقلدوهم فضلا عن أنها دونت فى عصر الرســول صلى الله عليه وسلم والخلفاء تدوينا فرديا وحفظت الحفظ اللائق بها • كوحى الهى فى اذهان سياله مؤمنة وجند آلاف الابطال أنفسهم لحفظ السنة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الله جل شأنه ثم كان التدوين الرسمى بأمر خليفة المسلمين (عمر بن عبد العزيز) على رأس المائة الثانية قبل ان يجفف الزمن الدماء الزكية للصــحابة الذين شهدوا الوحى وقد وضعت السنة فى اطار مكين فى كل زمن فوضعوا لها القواعد الدقيقة وفتشوا عن تاريخ الرواة وبلادهم ومذاهبهم وقربهم من مشايخهم وطرق أدائهم ومدى حفظهم وثقتهم وبذلك حصروا الدخلاء والوضاعية والمغفلين فى قائمة سوداء ومعهم ما جاءوا به من بضاعة غثة وسارت السنة متدفقة صافية بفضل منهجهم الفريد الــذى لم تعرفه الانسانية فى تاريخ أرقى مراحل تقدمها والسر فى ذلك « أن السنة بعــد القرآن هى أعلى وأسمى ما عرفته البشرية فكانت جديرة بهذه العناية التى هدى الله لها عباده حفظا للسنة الحارسة لكتابه المبينة له تحقيقا لوعده الحق » •

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) •

فمن السنة البيان الذى يكفل به لنبيه « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » •

وقد رتب النووى طبقات شيوخ البخارى فى مقدمة شرح البخارى نقلا عن أبى الفضل المقدسى خمس طبقات •

الطبقة الاولى :

من حدثه عن التابعين •

منهم محمد بن عبد الله الأنصارى حدث البخارى عنه عن حميد التابعى عن أنس الصحابى (١) رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم مكى بن ابراهيم وأبو عاصم النبيل حدث عنهما عن يزيد ابن أبى عبيد التابعى عن سلمة بن الأكوع (الصحابى) عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم عبيد الله بن موسى حدث عنه عن هشام بن عروة واسماعيل بن خالد وهما تابعيان وحدث عن أبى نعيم عن الاعمش التابعى ومنهم على بن عياش حدث عنه عن جرير بن عثمان (تابعى) • عن عبد الله بن يسر الصحابى • فهؤلاء وأشباههم الطبقة الاولى •

كأن البخارى سمع مالكا والثورى وشعبه وغيرهم فأنهم حدثوا عن هؤلاء وعن طبقتهم •

الطبقة الثانية :

قوم حدثوا عن أئمة حدثوا عن التابعين وهم شيوخه الذين روى عنهم عن ابن جريج ومالك وابن أبى ذئب وأبى عيينه بالحجاز • وشعبة والأوزاعى وطبقتهما بالشام •

والثورى وشعبة وحماد وأبى عوانة وهمام بالعراق والليث ويعقوب بن عبد الرحمن بمصر وفى هذه الطبقة كثرة •

الطبقة الثالثة :

قوم حدثوا عن قوم أدرك زمانهم وأمكنه لقيتهم ولكن لم يسمعهم كيزيد بن هارون وعبد الرزاق •

الطبقة الرابعة :

قوم فى عداد طبقته حدث عنهم عن مشايخه كأبى حاتم ومحمد بن ادريس الرازى •

---

(١) مقدمة النووى ج ٢ ص ٩ وقد نقل العينى تقسيم ابن طاهر وان لم ينسبه اليه وعنون للمسألة بقوله : جملة من حدث عنه البخارى فى صحيحه •

الطبقة الخامسة :

قوم حدث عنهم وهم أصغر منه فى الاسناد والسن والوفاة والمعرفة منهم عبد الله بن حماد الايلى وحسين القبانى وغيرهما •

وقد روى عنهم أشياء يسيرة وعمل فى الرواية عنهم بما روى عن عثمان بن أبى شيبة عن وكيع قال :

لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو قبله وعمن هو دونه واتخذه البخارى منهجا له فى تلقى الحديث ونادى بـــه فعن البخارى انه قال :

لا يكون المحدث كاملا حتى يحدث ويكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعلى ذلك درج البخارى •

ثمرة تفصـــيل الطبقات

ان ثمرة تفصيل الطبقات هى عدم وقوع الابهام والالتباس على من لا معرفة له اذا حدث البخارى بالاسناد عاليا تارة ونازلا تارة حتى يفهم أن الاسنادالعالى قد حذف منه أو أنالاسناد النازل قد زيد فيه• وقد بين ابن طاهر ذلك بقوله : لئلا يظن من لا معـــــرفة له اذا حـــدث البخارى مثلا (١) •

عن مكى ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة •

ثم حدث فى موضع آخر عن قتيبة عن بكر بن مضر عن عمرو بن الحارس عن بكير بن عبد الله الأشج عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة •

ان الاسناد الاول سقط منه شىء وعلى هذا سائر الاحاديث اذ لو لم يعرف ذلك لوقع الالتباس فى كثير من الاحاديث على من لا معرفة له •

---

(١) مقدمة النووى ص ٩ لشرح البخارى •

فقد كان من نهج البخارى رحمه الله . أن يحدث بالحـــديث فى موضع نازلا وفى موضع عاليا .

فقد حدث فى مواضع كثيرة جدا عن رجل عن مالك وحـــدث فى موضع .

عن عبد الله بن محمد المسندى عن معاوية بن عمرو .
عن اسحاق الفزارى ، عن مالك .

وحدث فى مواضع عن رجل عن الثورى وحدث فى موضـــع عن ثلاثة عنه .

فحدث عن أحمد بن عمر عن أبى النضر عبيد الله الاشجعى عن الثورى .

وأعجب من هذا كله أن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أصغر من مالك وسيفان وشعبة ومتأخر الوفاه .

وحدث البخارى عن جماعة من أصحابه عنه وتأخرت وفاتهم ثم حدث عن سعيد بن مروان عن محمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة عن أبى صالح سلمويه عن عبد الله بن المبارك .
فقس على ذلك .

وقد حدث البخارى عن قوم خارج الصحيح وحدث عن رجل عنهم فى الصـــحيح .

منهم أحمد بن منيع وداود بن الرشيد . وحـــدث عن قوم فى الصحيح وحدث عن آخرين عنهم . منهم أبو نعيم وأبو عاصم وأحمد ابن صالح وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وفيهم كثرة .

ويتجلى لنا فى هذا العرض عناية البخارى بالسماع من شـــيوخه ومدى ما بذله من جهد فى لقائهم والأخذ عنهم وعنايته الفائقة بتلقى الحديث فجزاه الله خير الجزاء .

تراجم بعض شـيوخ البخارى

لقد كان البخارى مكثرا فى شيوخه الى درجة تدعو الى صعوبة حصرهم • وقد كان لايروى كما تقدم الا عن ثقات الشيوخ ، وكلهم افاده ثروة علمية مما رواه عنهم وزكى فى استعداده الفطرى صـفات كريمة فى فطرته المستعدة فتكونت شخصيته العلمية الخلقية • وهم فى ذلك كالحلقة المفرغة لا يدرى أحد طرفها فى الشرف والرفعـة • ومن الصعب أن يحدد الانسان شخصا معينا بأنه المؤثر فى البخارى صاحب الرحلات الواسعة فى طلب العلم وهو الذى تنقل كالنحلة على كل روض باسم وزهر نضر • فتلقى عن آلاف الشيوخ ومعه استعداده اللمـاح الفطرى الذى كان ينقل كل ما عندهم من خلال كريمة وثروة علميـة زاخرة فتأثر بهم جميعا وتكونت ملكته العلمية وشخصيته المستقلة وهذا معنى التأثر بشيوخه ، ومهما كان امتياز الشيخ فان أثره الفعـال لا يكون الا فى التلميذ النابه •

وقد يكون صدقا قول علماء النفس فى العصر الحاضر أن نجـاح الطالب يتوقف بنسبة ٢٠٪ عن همة أستاذه ونسبة ٨٠٪ على همتـه واستعداده وهذا هو السر فى نجاح بعض التلاميذ دون بعض مع اتحاد الاستاذ والمنهج والمكان الا انه مع كل ذلك • فقد يكون فى حيـاة الشيخ نواح بارزة تظهر بصورة مشابهة فى حياة تلميذه • على أى حال كانت النسبة مع توفر الصلة القوية بينهما • فهذا يجعل الباحث فى حل لأن يذكر هذه النواحى المشابهة كأثر من آثار شيخه أو بعبـارة أدق بذكرها على أن شيخه كان له أوفر سهم فى تكوينها وقد يكون معـه غيره من الشيوخ أو العوامل الشخصية الذاتية فى التلميذ وقد يرجع الباحث الصفة الواحدة البارزة الى أستاذين اتحدا فى تفوقهما فى هذه الصفة الواضحة فى التلميذ (الراوى) •

وممن له أثره بهذا المعنى من شيوخ البخارى الأئمة عـلى بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين واسحاق بن راهوية •

فهم من الأئمة الذين انتهى العلم اليهم فكانوا أئمة الحديث في عصرهم • وكانت صلتهم بامامنا البخارى صلة قوية • فقد كان منهم من أشار عليه بتأليف كتابه الجامع الصحيح • وهو اسحاق بن راهوية وكان منهم من شهد له بصحته بعد قراءته عليهم حديثا حديثا وهم على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين •

« على بن المدينى » (١٦١ — ٢٣٤ هـ)

هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى ابو الحسن ابن المدينى — الحافظ من أئمة الحديث وممن انعقد الاجماع على جلالته وامامته ولد سنة احدى وستين ومائة سنة ١٦١ هـ فى بيت من بيوت العلم سمع أباه وحماد بن زيد وهشيما وابن عيينه والراوردى وابن وهب وعبد الوارث والوليد بن مسلم وغندر ويحيى القطان وعبد الرحمن ابن المهدى وابن عليه وعبد الرازق وقد شهد له سفيان بن عيينه وهو من شيوخه بقوله : والله لقد كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم منى وكذلك قال : يحيى بن قطان وهو من شيوخه وقال أبو حاتم •

« كان ابن المدينى علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل وما سمعت أحدا أسماه قط وانما يكنيه تبجيلا له وهو أحد الأئمة الأربعة الذين انتهت اليهم مادة العلم فى عصرهم » قال عبد الله بن أبى زياد القطوانى : سمعت أبا عبيد يقول : انتهى العلم الى أربعة : هم أبو بكر بن أبى شيبة أسردهم له • وأحمد بن حنبل أفقههم فيه • وعلى ابن المدينى أعلمهم به ويحيى بن معين أكتبهم له •

تقدير البخارى له وتأثره به

قال السراج : قلت للبخارى :

ما تشتهى ؟ قال :

أن أقدم العراق ، وعلى بن عبد الله حى فأجالسه ، كما يظهر مدى تقديره له بهذه الكلمة الجامعة •

قال البخارى •

ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى •• واذا كان من المعلوم فى قواعد علم النفس المشاهد أن تأثر الانسان بشـــخص ما يذكيه حبه له •• وتقديره اياه فاننا نلمح من النصين السابقين مدى اعجاب البخارى وتقديره لشيخه على : مما يدل على مقدار معرفتـــه له وتأثره به •

تقدير ابن المدينى للبخـــارى

ان تقدير على بن المدينى للامام البخارى تلميذه يفوق كل تقدير نشهد له شهادة ممتازة حينما قال فيه :

« هو ما رأى مثل نفسه »

وتزداد قيمة هذه الشهادة عظمة حينما نعلم أن على بن المدينى حجة الحديث يقول ذلك •

واضعا فى اعتباره أن البخارى هو الرحالة فى طلب الحـــديث الذى جاب الفيافى والقفار والقرى والأمصار راويا عن آلاف الشـــيوخ الأعـــلام •

ولا غرابة فهذا هو المفروض « انما يعرف الفضـــــل من الناس ذووه » •

وحينما تتفق الثقافات وتتحد المشاعر وتتقارب الأفكار يكـــون التقدير ويظهر التأثير والتوجيه •

قال (١) البخارى :

مات على بن المدينى ليومين بقيا من ذى العقـــدة سنة أربـــع وثلاثين ومائتين ٢٣٤ هـ وكان موته بسر من رأى •

---

(١) الطبقات الكبرى لابن السبكى ص ٥٦ ٢ حـ ١ وتهذيب الاسماء واللغات للنووى حـ ١ ص٣٥٠ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ تذكرة الحفاظ للذهبى ص ٣٥٠ حـ ١ •

« الامام أحمد بن حنبل » ١٤٦ ــ ٢٤١ هـ

هو أحمدبن حنبل بن هلال الامام أبو عبد الله الشيباني الذهلي •

نشأته ودراسته :

ولد في ربيع الأول سنة ١٤٦ هـ في مدينة العلم بغداد وتوفى أبوه شابا فوليته أمه (١) • نسبه عربى وهو شيبانى فى نسبه لأبيه وأمه وقبيلته معروفة بالهمة والاباء كان منها المثنى بن حارثة القائد الاسلامى المعروف •

وانتقل جده الى خراسان وكان واليا على سرخس فى العهد الأموى • وناصر الدعوة العباسية عند ظهورها ــ وكان أبوه قائدا كما ذكره الأصمعى (٢) حفظ القرآن فى صباه وتعلم القراءة والكتابة وكانت آثار النبوغ والرشد واضحة فيه منذ النشأة • اتجه أحمد بن حنبل الى الحديث وروى عنه أنه قال :

« أول من كتب عنه الحديث ــ أبو يوسف » وظل يتلقى الحديث ببغداد من سنة ١٧٩ الى ١٨٦ هـ ولزم عالما كبيرا من علماء الحديث والآثار ببغداد أربع سنوات •

هو هشيم بن بشير بن حازم الواسطى ١٨٣ وكان فى طلبه للعلم مثال الجد يقول :

« كنت ربما أود البكور فى الحديث فتأخذ أمى ثيابى حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا » •

واستمر فى حياته الجادة فى العلم وتحصيله حتى أوصلته الى درجة الامامة •

قال عبد اله بن أحمد : سمعت أبا زرعة يقول (٣) :

---

(١) تاريخ الاسلام للذهبى ص ١٠ ترجمة الامام أحمد •
(٢) رجال الفكر والدعوة فى الاسلام لابى الحسن الندوى ص ١٠٥ •
(٣) ترجمة الامام أحمد فى تاريخ الاسلام للذهبى ص ١٢ •

كان أبوك يحفظ ألف حـــديث فقيـــل وما يدريك ؟ قـــال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب • وقال أبو عبيده :

ما رأيت رجلا أعلم بالنسبة من احمد •

وكان أحمد حجة فى علم الحديث والرواية •

وتتجلى مكانته بهذه الشهادة من الشافعى ناصر السنة حينما خرج من العراق وهى مدينة العلم والورع فيقول :

خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أورع ولا أفقه من ابن حنبل (١) ويقول اسحاق بن راهوية •

« أحمد حجة بين الله وبين عبيده فى أرضه » •

ويقول فيه يحيى بن معين « كان فى احمد بن حنبل خصال ما رأيتها فى عالم قط » •

وكان محدثا وكان حافظا وكان عالما وكان ورعا وكان زاهدا وكان عاقلا •

أثر المسند فى صحيح البخارى وباقى الكتب الستة

أن أثر المسند فى صحيح البخارى وباقى الكتب الستة يتضـــح بشهادة الحافظ على بن الحافظ الفقيه محمد اليونينى رحمهما اللـــه تعالى • فقد سئل : أأنت تحفظ الكتب الستة ، فقال : أحفظها وما أحفظها فقيل له كيف هذا ؟ فقال : أنا أحفظ مسند أحمد وما يفوت المسند من الكتب الستة الا قليل فأنا أحفظها بهذا الوجه (٢) •

فهذا القول من امام حافظ للسنة مهما كان فيه من المبـــالغة فانه يصور أهمية المسند وأثره فى الصحيحين ، وباقى الكتب الستة ، مهما فاته من أحاديث كثيرة ، وجدت فى الصحيحين ، ولعل ما فاته من

---

(١) تاريخ ابن كثير ج ١٠ ص ٣٣٥ تدريب الراوى ص ٧٥ •
(٢) مقدمة الفتح الربانى ص ٩ للاستاذ عبد الرحمن الساعاتى •

أحاديث فى الصحيحين كثيرة • ولكن بالنسبة الى ما ذكر فى باقى الكتب الستة أصبحت قليلة جمعا بين رأى ابن كثير وابن اليونينى • لأن رأى ابن كثير أنه قد فات المسند من الصحيحين الكثير •

فالمسند له أثره على أى حال فى الصحيحين صحيح البخـــارى ومسلم وان لم يبلغ درجتهما فى الصحة وغايرهما فى طريقة تصنيفه على المسانيد لا على الابواب كما فى الصحيحين •

تقدير الامام أحمد للامام البخارى وصلته به

قال محمد بن أبى حاتم وراق البخارى ، سمعت البخارى يقول : « دخلت بغداد (١) ثمان مرات كل ذلك أجـــالس أحمد بن حنبل فقـــال لى آخر ما ودعته يا أبا عبد الله • تترك العلم والناس وتصـــير الى خراسان ؟ فأنا الآن أذكر قول أحمد » •

ففى هذه العبارة الموجزة تشرق العاطفـــة القوية الكريمة بين الامامين فالبخارى حريص على مجالسة شيخه فيتردد على مجلســـه ويرحل اليه ولا يبرح بغداد الا مودعا له •• والشيخ يعز عليه فراق تلميذه عاتبا عليه أن يترك بغداد ويرجع الى خراسان متمنيا مقـــامه معه فى بغداد •

وتنطبع كلمات الشيخ فى ذهن البخارى وتظل حية فى ذهنـــه مما يدل على تقديره وحبه واحترامه للامام أحمد بن حنبل •

واذا علمنا من سيرة الامام أحمد الزهد والورع والاهتمـــام بجمع الحديث والرحلة من أجله فقد رحل الى الكوفة والبصرة ومكـــة واليمن والشام والجزيرة •

نجد أن هذه الصفات واضحة فى البخارى ، قد يكـون لابن حنبل

---

(١) تدريب الراوى ص ٥٧ •

أثر فى ازكائها أو على الأقل قد يكون هذا التجانس فى الحياة الخلقية والعلمية •

هو السبب فى توطيد الصلة القوية بينهما مصداقا لقول الرسول عليه السلام فى حديثه « الأرواح جنــود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وبهذا الحديث وبغيره وضع الرســـــول القواعد الصادقة وسبق المفسرين للظواهر النفسية من علماء النفس وغيرهم فيما جاءوا به من نظريات زاعمين بأنهم اكتشفوها من البحث والجهد والدراسة ولو جاءوا الى رياض الاسلام لوجدوها زهـــرات متفتحة سهلة منظمة غير معقدة تمتاز بأنها لا تقبل الخطأ مستقاه ممن خلق الأرض والسماوات العلا • العالم بأحوال خلقه « (١) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » •

وقد التزم البخارى منهج الامام أحمد وورعه فى الانكار على (٢) من يتكلم فى القرآن كما سيفصل فى موضعه •

الامام (٣) اسحاق بن راهوية (١٦١ ــ ٢٣٨ هـ)

هو الامام أبو يعقوب اســــحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى المروزى ثم النيسابورى الحافظ •

أحد أئمة الدين وأعـــــلام المســــلمين وهداة المؤمنين الجامــع بين الفقه والحــديث والورع والتقــوى ساقه اهتمامه بالحــديث الى الرحلة الى العراق والحجاز واليمن والشام سمع به عبد الله ابن المبارك والنضر بن شميل وسفيان بن عيينه وجرير بن عبد الحميــــد الرازى واسماعيل بن عليه ووكيع بن الجراح وعبد الرزاق بن همام والشافعى

---

(١) سورة تبارك رقم ١٤ •
(٢) طبقات الشافعية ص ١٣ جـ ١ •
(٣) طبقات الشافعية الكبرى جـ١ ص ٢٣٢ وشذرات الذهب جـ٢ ص ٨٩ ووفيات الاعيان ٨٠/١ •

وآخرون وروى عنه امامنا البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين ومحمد ابن يحيى الذهلى •

وحسبه شهادة الامام أحمد بن حنبل « واسحاق عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحاق » •

وكان شديد الورع والتقوى •• يقول محمد بن مسلم « ما أعلم أحدا أخشى لله من اسحاق » وكما ان اسحاق كان محدثا وفقيهــا فقد كان مفسرا عظيما يقول أحمد بن سلمة :

« أملى على اسحاق التفسير عن ظهر قلبـــه » ومن المجهودات الضخمة التى قام بها اسحاق النظر فى الأحاديث ونقدها متنا واسنادا وتصحيحا وترتيب أنواع الحديث •

وهو بهذا العمل الجليل يعتبر قد أفسح الطـريق ومهده أمـام تلميذه البخارى الذى ســار على نهجه فى نقد الحديث وتصحيحه بل كان عمل البخارى الجليل ونهجه القويم فى تأليف أعظم كتبه •

وأعظم كتاب بعد كتاب الله •• صحيح البخارى بمشـــورة (١) من أستاذه اسحاق الذى عرف فى البخارى المقدرة على القيــام بهذا العمل الجليل ، وكان التشابه بين التلميذ والأســتاذ فى المنهج المثل فى تنقية الحديث ونقده متنا واسنادا واستنباط فقه الحديث من غير اسراف فى الرأى •

يقول الدكتور عبد الحميد ســندالجندى فى كتــاب (٢) ابن قتيبيه

---

(١) عن ابراهيم بن معقل النسفى يقول : قال : أبو عبد الله محمـــد بن اســـماعيل البخارى كنت عند اسحاق بن راهوية فقال : لو جمعتم كتابا مختصر الصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع : ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح المقدمة ص ٤٠

(٢) أن ابن راهوية كان يمقت أهل الرأى أشد المقت ويعلل ذلك بقوله لانهم كانوا يؤولون الاحاديث تأويلا لا يقره الفعل ويلقى التبعة فى ذلك على أتباع مذهب أبى حنيفة فمن جاء بعده من أهل النظر والقياس فى أنهم الذين يحملون أوزارا ما أوجدوه ولاشـــك أن رأى الامـام أبى حنيفة برىء من ذلك • وكان ابن قتيبية يطلق على هؤلاء الاتباع اسم العصابة •

ان اسحاق بن راهوية قدم للحديث أكبر صنيع فى أنه قام بتنقية المدسوس وجرده كذلك من مسائل الفقه بعد أن كان مختلطا بها ... ومن التفسير • وقد نفخ فى تلاميذه من روحه فنبغ فيهم أعظم علماء الحديث وهم البخارى ومسلم والترمذى •

توفى اسحاق ليلة نصف شعبان سنة ٢٣٨ .. قال البخارى : وله سبع وسبعون سنة قال الخطيب فهذا يدل على أن مولده سنة احدى وستين (١) •

يحيى بن معين (٢)

يحيى بن معين أبو زكريا البغدادى من العلماء الجهابذة النقاد على حد تعبير ابن أبى حاتم الرازى •

نبغ وبرز فى تمييز صحيح الحديث من سقيمه •

وسمع الحديث من ابن المبارك وابن عيينه وابن مهدى ووكيع وهشيم وغيرهم •

اتفق العلماء على رسوخ قدمه فى الحديث ومعرفته له متنا واسنادا .. روى ابن أبى حاتم الرازى عن محمد بن مسلم بن واره وسئل عن على بن المدينى ويحيى بن معين أيهما أحفظ ؟ — قال كان على أسرد وأتقن وكان يحيى بن معين أفهم بصحيح الحديث وسقيمه وهو أحد أربعة انتهت اليهم زعامة العلم وقد عنى بتدوين الحديث

---

(١) وفى تاريخ بغداد عن أبى بكر بن المدينى يقول : كنا يوما بنيسابور عند اسحاق ابن راهوية ومحمد بن اسماعيل حاضر فى المجلس واسحاق يحدث بحديث من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وكان دون صاحب النبى صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخارانى » فقال له اسحاق : يا أبا عبد الله أين كيخاران فقال : قرية باليمن · كان معاوية بن أبى سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فسمع منه عطاء هذا الحديث فقال له : اسحاق بن راهوية يا أبا عبد الله كأنك قد شهدت القوم ·

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ص ٣١٤ وتهذيب الاسماء واللغات للنووى ج ١ ص ١٥٦ والحديث والمحدثون ص ٣٤٤ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ ·

وتأليفه عناية فائقة ، عن عبد القاسم بن سلام يقول : « وانتهى العلم الى أربعة الى أحمـد بن حنبل والى يحيى بن معين وهـو أكتبهم له والى على بن المدينى والى أبى بكر بن أبى شيبة » .

وحدث عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى قال : « سمعت محمد ابن هارون الغـلاسى المحزمى يقـول : « اذا رأيت الرجـل يقع فى يحيى بن معين فاعلم بأنه كذاب يضع الحـديث وانما يبغضه لمـا تبين أمر الكذابين » .

وكان طلعة واسع الاطلاع مع الدقة يقول :

« لو لم نكتب الحديث عن ثلاثين وجها ما عقلناه » فكان جديرا بتقدير الامام أحمد فى قوله « السـماع من يحيى بن معين شفاء لمـا فى الصدور » .

وقال : يحيى بن معين « رجل خلقه الله لهـذا الشأن يظهر كذب الكذابين وكل حديث لا يعرفه يحيى ليس بحديث » .

وقال فيه على بن المدينى : « ما رأيت فى الناس مثله » وعـده الحاكم فى علوم الحديث من فقهاء المحدثين .

وكما كان يحيى بن معين قمـة فى الحـديث وعلله والجـرح والتعديل كان مثالا رائعا فى الورع والتقوى شـأن تلميـذه البخارى دفعه صـدقه وثقته فى تحريه الحق أن يسـتقبل القبلة ويرفع يديه قائلا : « اللهم ان كنت تكلمت فى رجل ليس هو عندى كذابا فلا تغفر لى» توفى بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع على سرير النبى صـلى الله عليه وسـلم واجتمـع فى جنـازته خلق كثير . واذا رجل يقول : هذه جنازة يحيى بن معين الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم الكذب والناس يبكون وهكذا كان شـيوخ البخارى زعماء العـلم الثقـات النقـاد الأتقياء الذين منحهم الله المقدرة على حفظ التراث النبوى وحراسته والذود عن حياضه فذبوا عنه كذب الكذابين ، ووضع الوضاعين .

وما كان للزبد قدرة على أن يقف أمام ما ينفع الناس فذهب جفاء ومكث علم النبى صلى الله عليه وسلم على يد من اختارهم الله لهـذا الشأن العظيم فأعلى قدرهم ورفع شأنهم ، ذكرت هؤلاء كنمط رائع من شيوخ البخارى الثقات الذين عرفوا جميعا بالمكانة العلمية والسـلوك القويم • وكانوا أكثر من أن يحصروا ، لما لهـؤلاء من صـلة أقوى • وأثر واضح يتمثل فى عرض أسمى مؤلفاته عليهم « وهـو الجـامع الصحيح وشهادته له بالصحة وشهادة ابن راهوية لتاريخه الكبير وهما أسمى مؤلفات البخارى رحمه الله •

نهج البخارى فى الحفظ

وهب الله محمد بن اسماعيل البخارى استعدادا فطريا يتمثل فى قوة الذاكرة وصفاء الذهن •

والانسان مدين لنبوغه فى العلم الى استعداده الطبيعى وفطـرته السليمة ولكن لا يستقيم الاستعداد ولا يؤتى ثماره الا بالعمل والجد•

وهذا ما كان من نهج البخارى • أقبل بكليته على حفظ الحـديث فأزكى استعداده وبلغ فى الحفظ مبلغا أذهل العلمـاء ولما رأى القـوم نبوغه وقوة ذاكرته التى بلغت حـدا غير مألوف ظنـوا أنه شرب دواء للحفظ يقـول وراقة : محمد بن أبى حاتم فقلت له مرة فى خلوة : هل من دواء للحفظ ؟ فقـال لا أعلم ثم أقبل على فقال لا أعلم شـيئا أنفع الحفظ من تهمة الرجل ومداومة النظر (١) وبذلك قد سـبق البخـارى علماء النفس بمنهجه فى ازكاء القـدرات بالعمل فى يقظة والمداومة على التمرين •

كما سبقهم فى الاستعانة على التثبت بربط المعـلومات فقـد كان يربط بين الرجـل وبلده وعصره وشـيوخه وزمان ولادته ووفاته ،

---

(١) تاريخ بغداد ٩/٢ وطبقات السبكى ٧/٢ ومقدمة فتح البارى ٢٠١/٢ •

وأقواله كما يربط بين أقوال الصحابة والتابعين وبين الأصول من الكتاب والسنة حتى يصبح القول واضحا فى ذهنه من كل جوانبه وبهذا المنهج أصبح رأسا فى حفظ الأحاديث وأسانيدها •

وصاحب الملكة القوية فى تمييز صحيحها من سقيمها كمـا كان فى فهم معانيها •

عن سليم بن مجاهد يقول : كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال لى : لو جئت قبل •• لرأيت صـبيا يحفظ سـبعين ألف حـديث فخرجت فى طلبه حتى لقيته فقلت له : أنت الذى تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال نعم وأكثر منه ولا أجيئك بحـديث عن الصـحابة والتابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم •• ولست أروى حديثا من أحاديث الصـحابة والتابعين الا وله أصـل أحفظ ذلك عن كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وظل البخـارى يتهم نفسـه ويديم النظـر حتى أصـبح فريد عصره قال أبو بكـر اللكواذانى : « ما رأيت مثل محمد بن اسماعيل كان يأخـذ الكتـاب من العلم فيطلع عليه اطلاعه • فيحفظ عامة أطراف الحـديث من مـرة واحدة (٢) • وقال اسحاق بن أحمد : سـمعت فى سنة سبع وأربعين ومائتين • محمد بن ادريس الرازى أبا حاتم يقول : يقـدم عليكم رجل من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العـراق أعلم منه فقدم علينا محمد بن اسماعيل بعد شهر • وهكذا كانت مكانة البخـارى فى عصره ينتظر قدومه ويحتفل به قبل شهر من زيارته ، وقد عقد امتحان معضل فى بغداد مدينة العلم والعلماء فاجتازه بمهارة رائعة مذهلة •

عن أحمـد بن الحسن الرازى قال : سمعت أبا أحمد بن عـدى يقول : سمعت عدة مشايخ يحـكون أن محمدا بن اسماعيل البخـارى

---

(١) تاريخ بغداد ــ طبقات السبكى ج ٢ •
(٢) مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ٢٠٠ •

قدم بغداد فسمع به أصحاب الحـــديث فاجتمعوا وعمـــدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر •

ودفعـــوا الى عشرة أنفس الى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخـــارى وأخـــذوا العـــــدة للمجلس فحضر المجلس جمـــاعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهـــل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حـــديث من تلك الأحاديث فقال البخـــارى « لا أعرفه » فسأله عن آخر فقال : « لا أعـــرفه » فما زال يلقى عليه واحـــدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقـــول : لا أعرفه فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقـــولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخـــارى بالعجـــــز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب آخر من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخارى : لا أعرفه فسأله عن آخر فقـــال لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدا بعد الآخـــر حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه ثم انتـــدب اليه الثالث والرابع الى تمـــام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على ألا أعرفه فلما علم البخارى أنهم قد فرغوا التفت الى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول ، فهو كذا والثانى فهو كذا •• والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى اسناده ، وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها الى أسانيدها وأسانيدها الى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنـــوا لهـــ بالفضل (١) قال الحافظ بن حجر : وهنـــا يخضع للبخارى فما العجب من رده الخطأ الى الصـــواب • فانه كان حـــافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه من مرة واحدة واذا علمنا أن الامتحـــان كان

---

(١) طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٦ •

من علماء بغداد فى عصرها الذهبى الزاهر بعلماء الاسلام ازداد تقديرنا لمواهب البخارى العلمية ، ومن هذا الامتحان الذى اجتازه البخـارى يتبين بوضوح أن البخارى كان موسوعة علمية بمعرفة جميع الأحاديث بأسانيدها ومتونها ولهذه المقدرة العلمية حاز ثقة العلماء فالتف حـول مجلسه عشرات الآلاف ينهلون من فيضه وشهدوا له بالحفظ والسبق ، عن صالح بن محمد البغدادى يقول : كان محمد بن اسـماعيل يجلس ببغداد وكنت استملى عليه ويجتمع فى مجلسه أكثر من عشرين ألفـا ، وقال أبو بكر محمد بن حريث : وسألت الفضل ابن العبـاسى الرازى أيهما أحفظ ؟ أبو زرعة أم محمد بن اسماعيل ؟

فقال : لم أكن التقيت مع محمد بن اسماعيل فاستقبلنى بين حلوان وبغداد فرجعت معه مرحلة وجهـدت على أن أجىء بحـديث لا يعرفه فما أمكننى وأنا أغرب على أبى زرعة عدد شعره (١) .

وقال : عمرو بن على : حديث لا يعرفه محمـد بن اسماعيل ليس بحديث . وقال محمد بن أبى حاتم : سـمعت حاشد بن اسماعيل وآخر يقولان : كان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يختلف معنا الى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام وكنا نقـول له : انك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع ؟ فقال لنا بعـد ستة عشر يوما انكما أكثرتما على وألححتما فأعرضـا على ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلهـا عن ظهـر قلب حتى جعلنـا نحكم على حفظه ثم قال : أترون انى أختلف هـدرا وأضيع أيامى ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .

وكان أهل المعرفة من البصرة يعدون خلفه فى طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه ، على نفسه ويجلسوه فى بعض الطـريق فيجتمـع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه . وكان أبو عبد الله عند ذلك شـابا لم يخرج وجهه (٢) .

---

(١) مقدمة فتح البارى لابن حجر جـ ٢ ص ١٩٩ .

(٢) تهذيب الاسماء واللغات للنووى جـ ١ ص ١٠ .

وكما أن البخارى حجة فى الحفظ فهو حجة فى فهم علل الحـــديث ومرجع لكبـــار علماء عصره • وموضع اكبارهم واجلالهم قال ابراهيم الخواص :

رأيت أبا زرعة كالصبى جالسا بين يدى محمد بن اسماعيل يسأله عن علل الحديث (١) • وقال حاشد بن عبد الله : رأيت محمد بن رافع وعمرو بن زرارة عند محمد بن اسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث فلما قاما قالا لمن حضر : لا تخدعوا ان أبا عبد الله أفقه منا وأبصر (٢) • ويقول أبو حامد الأعمش : رأيت محمد بن اسماعيل فى جنازة ومحمـــد ابن يحيى الذهلى « امام نيسابور وشيخ البخارى » يسأله عن الأسماء والكنى وعلل الحديث والبخارى يمر فيها مثل السهم كأنه يقرأ « قل هو الله أحد » (٣) •

وقد شهد للبخارى تلميذان من تلامذته طبقت شهرتهما الآفاق •• هما الامام مسلم بن الحجاج والامام أبو عيسى الترمذى •

قال أحمد بن حمدون : جاء مسلم بن الحجاج الى البخارى فقبل بين عينيه وقال : دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الأساتذة ويا سيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى علله (٤) •

ويقول له : لا يبغضك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك •

قال أبو عيسى الترمذى : « لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل » (٥) •

---

(١) الحديث المعل هو الذى اطلع فيه على علة تقدح فى صحته مع أن الظاهر السلامة منها • مقدمة ابن الصلاح ص ٩٨ وذلك كالارسال فى الموصول والوقف فى المرفوع •
(٢) التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٥٣ •
(٣) البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٦ •
(٤) البداية والنهاية ج ١١ ص ٩٦ •
(٥) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧ •

نهج البخارى فى قراءة القرآن

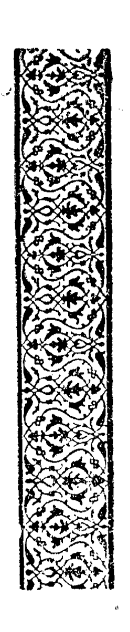
القرآن الكريم هو المعجزة الخـالدة لرسـول الله صلى الله عليه وسلم ودليل رسـالته . والـداعى الى السـنة والتزامها « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

والسنة هى المبينة للقرآن (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) من هذين المصدرين أشرقت الرسالة المحمدية فمن درس القرآن عرف مكانة السنة وشغف بها ومن عرف السنة فهم القـرآن أدق فهم ، فأمير المؤمنين فى الحديث من الطبيعى أن يكـون أعرف النـاس بدلالة القرآن ومعانية وتفسيره فى ضوء السنة ومن هنا نبع شعوره بعظمـة القرآن وجلاله فلم يرتله بلسانه فقط ويقصره على حنجرته وانما يعمل فيه بصره وفكره ويشغل به قلبه وسمعه ويدقق فى أمثاله ويعرف حلاله من حرامه وهذه هى القراءة المجيدة المفيدة . التى جعل الله فيها الشفاء والرحمة .

سئل الدرامى عن حديث وقيل له ان البخارى قـد صححه فقال : محمد بن اسماعيل أبصر منه ، وهو أكيس خلق الله ، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه فى كتابه ، وعلى لسان نبيه اذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر فى أمثاله وعرف حلاله من حرامه [1] .

---

(١) ترجمة البخارى طبع المنيرية ص ٢١ .



الباب الثانى

حياة البخارى العامة

« محمد بن اسماعيل كان أمة من الأمم
دينا فاضلا يحسن كل شىء »

العجلى

مكانة البخارى فى الصلاح والورع

ان سر نبوغ البخارى ووصوله الى المكانة العلمية الفريدة انما هو حبه لله ورســــوله ولو لم يكن محبا لرسول الله صلى الله عليــه وسلم وتعاليمه • لما استطاع أن يصل الى هذه المكـــانة العلمية فى الأحـــاديث فمن المعلوم أن طالب العلم لا ينبغ النبوغ القـــوى الا فيما حبب الى نفسه وانشرح له صدره •

وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم كلها فياضـــة بالدعـــوة الى التقوى ومكارم الأخلاق •

ولا يكون مبالغا من يقول بأن البخارى رحمه الله اتخذ الرســـول قدوته • وطبق تعاليمه على نفسه فاجتمعت فيه كل المعانى الكريمة •

فهو مكثر العبادة ، يصلى فيسلم وجهه وقلبه لله وينصرف بكليتـــه اليه فى خشوع المؤمن السعيد بعبادته وقراءته •

عن محمد بن أبى حاتم الوراق قال : دعى محمد بن اسماعيل الى بستان بعض أصحابه فلما حضرت صـــلاة الظهر صلى القـــوم ثم قام للتطوع فأطال القيام فلما فرغ من صلاته رفع ديل قميصه فاذا زنبور قد أبره فى ستة عشر موضـــعا وقـــد تورم من ذلك الجســـد وكان آثار الزنبور فى جسده ظاهرة • فقال له بعضهم : كيف لم تخرج من الصلاة فى أول ما أبرك ؟

فقال : كنت فى سورة فأحببت أن أتمها وعن نسج بن سعيد قال(١):

---

(١) فى الطبقات وتاريخ بغداد واما فى المقدمة « مقسم » •

كان محمد بن اسماعيل البخارى اذا كان أول ليلـة من رمضان يجتمع اليه أصحابه فيصلى بهم ويقرأ فى كل ركعـة عشرين آية وكذلك الى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ القرآن فى السحر فى كل ثلاث ليال . وكـان يختم بالنهار فى كل يوم ختمة ويكون ختمـه عند الافطـار فى كل ليلة ويقول عند كل ختم دعوة مستجابة (١) ، وهذا الاتصـال الـدائم بالله عن طريق العبادة أضفى عليـه حسن المعاملة مع النـاس فكان شـديد الورع فى معاملته يخاف الشبهات .

قال أبو سعيد « بكر بن منير » : كان حمل الى محمد بن اسماعيل بضاعة انفدها اليه فلان اجتمع بعض التجار اليـه بالعشـية ، فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم : انصرفوا الليلة فجـاءه من الغـد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضـاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال : انى نويت البارحة أن أدفع الى الذين طلبوا منى أمس بما طلبوا أول مرة وقال : لا أحب أن أغـير نيتى (٢) ، وعن عبد الله بن محمـد الصيارفى : كنت عند محمد بن اسـماعيل فى منزلـه فجـاءته وأرادت دخـول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه فقـال لها : كيف تمشـين ؟ قالت : اذا لم يكن طريف كيف أمشى ؟ فبسط يديه وقال : اذهبى فقـد أعتقتك . فقيل له يا أبا عبد الله أغضبتك ؟ فقال : أرضـيت نفسى بمـا فعلت (٣) .

فما أروع هذا السمو فى المعاملة ، شعر احسـاسه الدينى المرهف بأنه أغضب الجـارية باعتراضـه التأنيبى الرقيق اليها ، فكفر عن ذلك باعتاقها حتى يرضى نفسه الطيبة النقية ويقول : وراقه سمعته يقول لأبى معشر الضرير : اجعلنى فى حل يا أبا معشر فقال : من أى شىء ؟ فقال : رويت حديثا يوما عنك . فنظرت اليك وقـد أعجبت بـه وأنت تحـرك

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١١ .
(٢) طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٠ .
(٣) مقدمة الفتح جـ ٢ ص ١٩٥ لابن حجر .

رأسك ويديك فتبسمت من ذلك قال : أنت فى حل ــ يرحمك الله يا أبا عبد الله (١) •

وعن وراقة : سمعته يقول ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام •

قال بكر بن منير : سمعت محمد بن اسماعيل البخارى يقول : انى لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى انى اغتبت أحدا (٢) • وسمعه وراقه يقول : لا يكون لى خصم فى الآخرة فقال له : ان بعض الناس ينقمون عليك التاريخ ويقولون فيه اغتاب الناس فقال : انما روينا ذلك ولم نقله من عند أنفسنا • وقد قال : النبى صلى الله عليه وسلم بئس أخو العشيرة (٣) ويقول ابن حجر : كان البخارى فى كلامه فى الرجل توق زائد وتحر بليغ فمن تأمل كلامه فى الجرح والتعديل فان أكثر ما يقول : سكتوا عنه ، فيه نظر ، تركوه ، ونحو هذا •

وقل أن يقول : كذاب أو وضاع وانما يقول كذبه فلان « ورماه فلان » يعنى بالكذب وهذا من شدة ورعه •

وعن الذهبى : أبلغ تضعيفه فى المجروح منكر الحديث • ويقول البخارى : (٤) كل من قلت عنه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، وأكسبه ورعه التحرى فى الدقة والأمانة العلمية قال وراقة سئل عن خبر حديث فقال : يا أبا فلان ترانى أدلس وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لى فيه نظر ؟

وقد نفى النوم عن عينيه نفس أبيه مشغولة بالعلم والعبادة ومكارم الأخلاق ، قال وراقة : اذا كنت معه فى سفر يجمعنا بيت واحد الا فى القيظ ، فكنت أراه يقوم فى الليلة الواحدة خمسة عشرة مرة الى عشرين

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٣ •
(٢) الطبقات جـ ٢ ص ٩ لابن السبكى •
(٣) البداية والنهاية جـ ١١ ص ١١٩ •
(٤) الطبقات جـ ٢ ص ٩ لابن السبكى •

مرة . وفى كل مرة يأخذ القداحة فيرى نارا فى يـده ويسرج ويخـرج أحاديثه فيعلم عليها ثم يضـع رأسه . فقلت : انك تحمل على نفسـك كل هذا ولا توقظنى ؟ فقال : أنت شاب فلا أحب أن أفسـد عليك نومك وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة . وكـان معه شىء من شعر النبى صلى الله عليه وسلم (١) .

وهذه الحالة النفسية من قيامه مرات بالليل تمثـل مـدى اهتمامه بالعلم وتركيز الذهن فيه فكلما تذكر شيئا سجله وهـذا خلق العلمـاء المنصرفين للتأليف والعلم ، وما أكرم خلقه وشعوره فى معاملته لتابعـه وراقه فى محافظته على راحته فلا يقلقه ويؤثر أن يصلح المصباح لنفسه وما أتقاه وأصفى نفسه فقبل أن يبدأ حياته العلمية فى الليـل يصفى نفسه بركعات تقربا الى ربه فى وقت الصفاء فى السحر وهـذا هو نهج المحدث الذى يعيش مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كرم البخارى وزهده

ورث البخارى عن والده ثروة ضخمة مطهرة فلم يستغلها فى التنعم والتلذذ بالملذات الدنيوية بل عاش متقشفا زاهدا فى الترف الدنيـوى ، أكثر ما ينعم به فى طعامه أن يأكل مع الخبز سكرة ولم يكن هذا التقشف كاذبا وطريقا خداعا الى الشح بالمال وادخاره كما يتوارى فيـه بعض الناس وانما كان التقشف الصادق « ودليله الزهد فى المال وانفـاقه فى أوجه البر والاحسان مؤمنا بقوله تعالى : « وما عند الله خير وأبقى » « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » .

يقول البخارى : كنت أستغل فى كل شهر خمسمائة درهم . فأنفقتها فى الطلب وما عند الله خير وأبقى (٢) .

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٣ .
(٢) الطبقات جـ ٢ ص ١١ .

وقال : وراقه كنا بفربر وكان أبو عبد الله يبنى رباطا (١) مما يلى بخارى فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكـان ينقـل اللبن فكنت أقول : يا أبا عبد الله انك تكفى ذلك ، فيقول هذا الذى ينفعنى ، وكـان ذبح لهم بقرة فلما أدركت القدور دعا الناس الى الطعـام فكان معـه مائة نفس أو أكثر ولم يكن علم انه يجتمع ما اجتمع وكنا آخرجنا معـه من « فربر » خبزاً بثلاثة دراهم وكان الخبز اذ ذاك خمسة أمنان بدرهم فألقيناه بين أيديهم فأكل جميع من حضر وفضلت أرغفة صالحة ، وكان قليل الأكل جدا كثير الاحسان الى الطلبة مفـرط الكرم (٢) ويتبين من بين سطور هذا القول مشاركته فى عمـل الخير بالمحافظـة على ثغـور المسلمين وكرمه المفرط فاستحق اكرام الله له بوضع البركة فى طعامه .

والبخارى دائما لا يؤثر الدنيا على الآخرة ولا يرضى أن يبيع دينه بدنياه فهو بعيد النظر فى خطواته يضحى بالدنيا الفانية من أجل الآخرة الباقية ، يقول وراقة عنه : انه ورث من أبية مالا جليـلا وكان يعطيـه مضاربة (٣) فقطع غريم خمسة وعشرين ألفا فقيل له استعن بكتاب الوالى فقال : ان أخذت منهم كتابا طمعوا ولن أبيع دينى بدنيـاى ثم صـالح غريمه على أن يعطيه كل شـهر عشرة دراهم وذهب ذلك المال كلـه (٤) واستبدل البخارى أمواله أضعافا مضـاعفة فى سـجل الحسنات وكان مصير هذهالثروة الجليلةالتى ورثها أن أقرضها لله ابتغاء وجهه ورضوانه وأصبح غنيا برضاء الله له . وبما هداه اليه من ثروة علمية قال عمر بن حفص الأشقر : كنـا مع محمد بن اسـماعيل بالبصرة نكتب الحـديث ففقدناه أياما : فطلبناه فوجدناه فى بيت وهو عريان وقد نفد ما عنـده ولم يبق شىء فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبا وكسوناه

---

(١) فى مختار الصحاح الرباط ما تشد به الدابة والرباط ايضا ــ المرابطة وهى ملازمة الثغور ضد العدو . ورباط الخيل مرابطتها .

(٢) ترجمة البخارى ص ١٣ ط المنيرية .

(٣) ضاربة فى المال وهى القراض « مختار الصحاح » .

(٤) مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ١٩٤ .

ثم اندفع معنا فى كتابه الحديث (١) • والكريم قريب من الله وهـو معه يرزقه من حيث لا يحتسب تأخرت نفقته حتى جعل يتناول حشيش الأرض فلما كان فى اليوم الثالث يقول : أتانى رجل لا أعرفه فأعطانى صرة فيها دنانير (٢) •

ووطد البخارى نفسه على أن يكون فى ذروة الثقاة الأطهار الأبرار بكل ما تشمله التقوى من المعانى السامية النبيلة حتى يكون ربانيا يدعو فيستجاب له :

وهذا المنهج الذى رسمه لحياته وطبقه أتم تطبيق كان ينادى به ويدعو المسلمين اليه ويريد أن يكون كل مسلم متحليا بالتقوى التى تؤهله لاستجابة الدعاء منه ، ولا ينبغى للمسلم أن يكون غير ذلك يقول وراقة قال البخارى : « ماينبغى للمسلم أن يكون بحالة اذا دعا لم يستجب له » والدعوة الى التقوى والعبادة وتذكر الموت وحسن الخلق كانت طبيعته ودعوته التى دائما يدعو اليها حتى فيما أثر عنه من أشعار قليلة قال الحاكم ابو عبد الله (٣) : قرأت بخط أبى على المستملى وأنشد البخارى :

أغتنم فى الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فلته

قال وأنشد أيضا :

خالق الناس بخلق واسع ... لا تكن كلبا على الناس تهر

وقال :

أن تبق تفجع بالأحبة كلهم ... وفناء نفسك لا أبالك أفجع

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٣ •

(٢) الطبقات جـ ٢ ص ١١ •

(٣) الطبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٥ ومقدمة الفتح جـ ٢ ص ١٩٦ •

فأشعاره (١) تدعو الى لزوم عدم ضياع الوقت بل ينبغى اشـــغاله بالعبادة وأن يكون المسلم صاحب خلق حســـن يســـلم النـــاس من شره وضرره « وينتفعون بخيره وبره » .

مهارته واستعداده للجهاد

والبخارى الذى اهتم بحفظ الحديث وفهمه اهتم بتطبيـــق ما أمر الله به ورسوله فاتخذ هذا منهجا فى سيرته فكانت حميدة للغاية رائعـــة فى كل جوانبها .

عرف قيمة الجهاد فى الاسلام وشجاعة الرسول صلى الله عليـــه وسلم ومهارته فى الحرب فاتخذه القدوة الحسنة فتعلم استعمال آلات الحرب وأتقن الجهاد ونبغ فى أشق أمور الحرب وأرقاها حينئذ رمـــاه الرمى « وكان فيه المتاز على غيره بحيث لا يخطىء الهـــدف اذا رمـــاه مرات عديدة » (٢) واهتم بثغور المسلمين الاهتمـــام البالغ ولم يشـــغله العلم عن ذلك وهكذا النفوس الكبيرة كما يقول ابن سينا : لا يشغلها شىء عن شىء والنفوس النقية يبارك الله لها فى وقتهـــا بفضـــل الاخـــلاص والعمل . قال وراق البخارى : رأيته استلقى ونحن « بفربر » فى تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه فى ذلك اليوم فى التخريج فقلت لـــه : انى سمعتك تقول : ما أتيت شيئا بغير علم فما الفائدة من الاســـتلقاء ؟ قال : أتعبت نفسى اليوم وهذا ثغر خشيت أن يحدث فيه حدث من أمر

العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة وان غافصنا العدو « فاجأنا على غرة » كان بنا حراك وقال : كان ابو عبد اللـــه يركب الى الرمى كثيرا فما أعلم فيما رأيته فى طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف الا مرتين ، بل كان يصيب فى كل ذلك ولا يسبق قال : ركبنا يومـــا الى الرمى ونحن بفربر فخرجنا الى الدرب الذى يؤدى الى الفرضة فجعلنا نرمى فأصاب سهم أبى عبد الله وتد القنطرة التى على النهر فانشق الوتد فلما رأى

---

(١) ترجمة البخارى المطبعة المنيرية ١٦ .
(٢) ترجمة البخارى المنيرية .

ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمى وقال لنا : أرجعوا • فرجعنا • فقال لى وهو يتنفس الصعداء : يا أبا جعفر لى اليك حاجة فقلت نعم • قال : تذهب الى صاحب القنطرة فتقول : انا أخللنا بالوتد ، فنحب أن يأذن لنا فى اقامة بدله ، أو تأخذ ثمنه وتجعلنا فى حل مما كان منا • وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر فقال لى : ابلغ أبا عبدالله السلام وقل له : أنت فى حل مما كان منك ، فان جميع ملكى لك الفداء • فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سرورا كثيرا • وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمائة درهم (١) •

قضية البخارى مع محمد بن يحيى الذهلى

محمد بن يحيى الذهلى شيخ المحدثين بنيسابور ومن تلامذته البخارى ومسلم بن الحجاج ومجلسه فى نيسابور قبلة العلماء ومجمعهم العلمى وعندما قدم البخارى نيسابور كان محمد بن يحيى الذهلى من المرحبين به العارفين قدره فى علمه وصلاحه فأوصى الناس بالاستفادة من علم البخارى — وما كان يدور بخلده : أن مجلس البخارى سيحظى بالاقبال الفائق حتى ينصرف الناس الى مجلسه فيحصل الخلل فى مجلس الذهلى •

قال الحسن بن محمد بن جابر « قال لنا الذهلى لما ورد البخارى نيسابور • اذهبوا الى الرجل الصالح فاسمعوا منه فذهب الناس اليه وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل فى مجلس الذهلى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه » (٢) •

وكان أثر فتنة القول بخلق القرآن كما هو رأى القاضى أحمد بن أبى داود المعتزلى ومن معه من المعتزلة الذين ينكرون الصفات القديمة لله ومنها الكلام خوف تعدد القدماء على زعمهم ، وما دروا أن الممنوع هو تعدد الذوات لا الصفات لذات واحدة وكانت هذه الفتنة قد ظهرت

---

(١) تهذيب الاسماء جـ ١ ص ٧٥ والطبقات جـ ٢ ص ١٠ •
(٢) طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١١ لابن السبكى •

فى عهد المعتصم والواثق وأوائل عهد المتوكل وكانت مثار خلاف المعتزلة فى مقابل أهل السنة القائلين بقدم القرآن ـ كلام الله القديم معناه ومدلوله قديم وهو نوع من أنواع صفة الكلام النفسية القديمة القائمة بذاته تعالى •

وكان مع المعتزلة الحكام المتأثرون بهم وعلى رأسهم المأمون وامتحن فيها كبار أهل السنة ومنهم الامام أحمد بن حنبل واحمد بن نصر الخزاعى وأبو يعقوب البويطى واستعر أوار الفتنة حتى أدت الى مختلف أنواع التعذيب واستمرت من سنة ٢١٨ ـ ٢٣٤ هـ حتى أخمدها المتوكل وانتصر لأهل السنة ونهى عن الكلام فى هذه المسألة والنهى عن الكلام فى مشاكل علم الكلام هو شأن السلف فقد ضرب عمر بن الخطاب من يتكلم فى القدر وطرده وقال مالك للسائل عن معنى الاستواء : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وهذا هو منهج أحمد ابن حنبل كما هو منهج البخارى •

والقرآن كلام الله غير مخلوق كما عليه أهل السنة والحق هو ما ذهب اليه الامام البخارى • وهناك فرق بين القرآن وبين القراءة كما يقول البخارى : يقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة ولا يقال حسن القرآن ولا رديء القرآن فالقديم القرآن وهذا [1] ما قال به السلف وأما التلفظ فمذهب أهل السنة بل جميع الأمة الى أن التلفظ بالقرآن أى حرفية اللفظ وصوته الذى تنطقه ألسنتنا وتتلفظ به وتكتبه أيدينا حادث غير قديم ولا عبرة لما ينسب الى الحنابلة عن طريق جماعة من غلاة الحشوية من أنه قديم أيضا فهى رواية شاذة معارضة لصريح العقل ومنافية لصحيح النقل وما روى عن الامام أحمد رضى الله عنه من رميه من زعم ذلك بالاعتدال والكفر فعلى تسليم صحته وأنه ليس من وضع الحشوية التى انتسبت ظلما اليه وأساءت أبلغ الاساءة لمذهبه ليس محمولا على ظاهره بل المراد منه التنفير من التصريح به والزجر

---

(١) مقتبس عن كلام مقدمة البخارى لفضيلة الشيخ عبد الغنى بتصرف ص ٨٧ •

عن الخوض فيه خشية أن يتأثر ويجره ذلك الى القول بمذهب الاعتزال وانكار صفة الكلام القديمة أو خشية أن يتأول متأول ويحمله على مذهب المعتزلة ويشنع بقائله ويؤكد ذلك قول ابن السبكى فى ترجمة الحسين بن على الكرابيسى صاحب الشافعى (١) ٠

قيل للكرابيسى « ما تقوله فى القرآن قال كلام الله غير مخلوق فقال له السائل فما تقول فى لفظ القرآن ؟ فقال : لفظك به مخلوق فمضى السائل الى أحمد بن حنبل فشرح له ما جرى فقال هذه بدعة والذى عندنا أن أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه أشار بقوله هذه بدعة الى الجواب عن مسألة التلفظ اذ ليست مما يعنى المرء وخوض المرء فيما لا يعنيه من الكلام بدعة فكان السكوت عن الكلام فيه أجمل وأولى ٠ ولا يظن بأحمد رضى الله عنه أنه يدعى أن اللفظ الخارج من بين الشفتين قديم ٠ ومقالة الحسين هذه قد نقل مثلها عن البخارى والحارس بن أسد المحاسبى ومحمد بن نصر المروزى وغيرهم فمن جراء فتنة خلق القرآن وما كان لها من أثر فى اهانة كثير من الصالحين تغالى بعض العامة واشتبه عليه فبدعوا كل من قال بحدوث ما يمس عوارض القرآن ٠

وقد استغل محمد بن يحيى الذهلى كراهية النفوس لمن يتكلم فى القرآن فأراد أن يوقع البخارى فى هذا الأمر حتى ينفر الناس عن مجلسه وينسبوه الى الاعتزال ٠

قال الحافظ بن عدى (٢) ذكر لى جماعة من المشايخ أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث ان محمد بن اسماعيل يقول : لفظى بالقرآن مخلوق فلما حضر المجلس قام اليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ماتقول فى اللفظ بالقرآن مخلوق هو ؟ أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخارى ولم يجبه ثلاثا ٠ فألح عليه ٠ فقال البخارى القرآن كلام الله

(١) طبقات الشافعية جـ ١ ص ٥٢ ٠
(٢) الطبقات ٢ ص ١١ ومقدمة الفتح جـ ٢ ص ٢٠٣ ٠

غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة فشغب الرجل وقال قد قال لفظى بالقرآن مخلوق وشغب الناس وتفرقوا عنه ، فالبخـارى يلتزم لمذهب السلف فيتحرج عن الخـوض صراحـة فيمـا يثير الفتن ويعرض عن السائل ويعترض عليه مبينا له بأن الامتحان فى مثل هـذا الأمر انما هو بدعة وهذا رأى السلف كالامام مالك والامـام أحمـد فالسكوت عند عدم الاحتياج اليه سنة ولكن عند الاحتياج اليـه يضطر العالم لتبين الصواب وهذا هو ما رآه البخـارى وقال محمد بن يوسف الفربرى (١) .

سمعت أبا عبد الله محمد بن اسماعيل يقـول ان أفعـال العبـاد مخلوقة فقد حدثنا على ابن عبد الله حدثنا مروان بن معـاوية حدثنـا أبو مالك عن ربعى بن حراش عن حذيفة قال :

قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم أن الله يصـنع كل صـانع وصنعته قال أبو عبد الله وسمعت عبيد الله بن سـعيد يقـول « مازلت أسمع أصحابنا يقولون أن أفعال العباد مخلوقة قال أبو عبد الله البخارى حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المبين المثبت فى المصاحف المسطور المكتوب الموعى فى القلوب فهو كلام اللـه غير مخلوق قال تعالى « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » زاد فى المقدمة قـال : وقال اسحق بن راهوية أما الأوعية فمن يشـك انها مخلوقة ؟ وقال فى الطبقات وقال البخارى يقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة ولا يقال حسن القرآن ورديء القرآن وانما ينسب ذلك الى القرآن لأن القرآن كلام الرب والقراءة فعـل العبد وليس لأحـد أن يشرع فى أمر الله بغير علم زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا وألفاظنا به شيء واحد والتلاوة هى المتلو والقراءة هى المقروء فقيل له أن التلاوة فعل القارىء وعمل التالى فرجع وقال ظننتهما مصدرين فقيل له هـلا أمسكت كما أمسك كثير من أصـحابك ، ولـو بعثت الى من كتب عنك واستردت ما أثبت وضربت عليه فزعم أن كيف يمكن هذا ؟ وقال قلت

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢١ والطبقات ج ٢ ص ١١ ومقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٣ .

ومضى فقلت له كيف جاز أن تقول فى الله شيئا لا يقوم به شرح وبيـــان اذا لم تميز بين التلاوة والمتلو ؟ فسكت اذ لم يجد عنده جوابا .

وقد حقق التاج السبكى فى طبقاته (١) موقف البخارى فقال كان البخارى على ما روى فيه ممن قال لفظى بالقرآن مخلوق وقال محمـــد ابن حسن الزهلى : من قال وزعم أن لفظى بالقرآن مخلوق فهو مبتدع وانما أراد محمد بن يحيى والعلم عند الله ما أراده أحمد بن حنبل من النهى عن الخوض فى هذا ولم يرد مخالفة البخارى وان خالفـــه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثتين قديم فقد باء بأمر عظيم والظن به خـــلاف ذلك وانما أراد هو وأحمد وغيرهم من الأئمـــة النهى عـــن الخوض فى مسائل الكلام . وكلام البخارى عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج اليه فالكلام عند الاحتياج اليه واجب والســـكوت عنـــه عند عدم الاحتياج اليه سنة فافهم ذلك ودع خرافات المخرفين واضرب صفحا عن تمويهات الضالين الذين يظنون أنهم محدثون وأنهم عنـــــد السنة واقفون وهم عنها مبعدون .

وكيف يظن بالبخارى أنه يذهب الى شىء من أقوال المعتزلة وقـــد صح عنه فيما رواه الفربرى وغيره أنه قال انى لأستجهل من لا يكفـــر الجهمية ؟ ولايرتاب المنصف فى أن محمد بن يحيى الذهلى لحقته آفـــة الحسد التى لم يسلم منها الا أهل العصمة وقد سأل بعضهم البخارى عما بينه وبين محمد بن يحيى فقال البخارى كم يعترى محمد بن يحيى الحسد فى العلم والعلم رزق الله يعطيه من يشاء .. ولقد أبان البخارى عن عظيم ذكائه حيث يقول وقد قال له أبو عمرو بن الخفاف أن الناس خاضوا فى قولك فقـــال : يا أبا عمرو من زعم أنى قلت لفظى بالقـــرآن مخلوق . فهو كذاب فانى لم أقله الا أنى قلت أفعال العباد مخلـــوقة قلت : تأمل كلامه ما أذكاه ومعناه والعلم عند الله انى لم أقل أن لفظى بالقرآن مخلوق لأن الكلام فى هذا خوض فى مسائل الكلام وصـــفات الله لا ينبغى الخوض فيها الا للضرورة ولكن قلت أفعال العباد مخلوقة وهى قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر فان كل عاقل يعلم

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٢ .

ان الفاظنا من جملة أفعالنا وأفعالنا مخلوقة ولقد أفصح بهذا المعنى فى رواية أخرى صحيحة عنه رواها حاتم بن أحمد الكندى فقال سمعت مسلم بن الحجاج فذكر الحكاية المتقدمة وفيها أن رجلا قام الى البخارى وسأله عن اللفظ بالقرآن ؟ فقال أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا وفى الحكاية انه وقع بين القوم اذ ذاك اختلاف على البخارى فقال بعضهم قال : لفظى بالقرآن مخلوق وقال آخرون لم يقل فلم يكن الانكار الا على من يتكلم فى القرآن وقد اضطر البخارى لأن يسكن الفتنة بخروجه من نيسابور الى بخارى وقد روى انه لما قام مسلم بن الحجاج وأحمد بن مسلمة من مجلس محمد بن يحيى يسبب البخارى . قال الذهلى لا يساكننى هذا الرجل فى البلد فخشى البخارى وسافر ، فنجد أن البخارى فى محنته هذه لم يقترف اثما وأن ما أثير حوله أنما هو وليد الحسد من النفوس البشرية ومحمد بن يحيى رحب بالبخارى عند قدومه ولكن الشيطان للانسان عدو مبين فحسده عندما رأى أنه احتل مكان الصدارة والتف حوله القوم وتركوا الذهلى فاستغل اثارة النفوس وحساسيتها بالنسبة لفتنة القرآن وتابعه على ذلك الذين انتقدهم البخارى وجرحهم بالتضعيف واستعملوا التشويش على العامة الذين لا يفرقون بين القرآن والقراءة وكان البخارى دقيقا فى تعبيره ملتزما مذهب السلف حيث أعرض عن السائل أولا ثم لما ألح عليه بين له أن السؤال بدعة وأجابه اجابة بينه لأن أفعال الرجال مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا وكان فى اجابته الضمنية الدليل على صدق قوله ومع ذلك فقد آثر السفر الى بخارى حتى لا تكون فتنة وهو فى ذلك لم يخالف السلف بل كان على مذهب أستاذه الامام أحمد الذى يرى أن التبرع بالكلام فيما يثير الجدل بالنسبة الى صفات الله انما هو بدعة والقرآن عند محمد ابن اسماعيل هو كلام الله غير مخلوق قال محمد بن نعيم (1) سأل محمد ابن اسماعيل لما وقع فى شأنه ما وقع عن الايمان فقال قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق وأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وعلى هذا حييت وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله.

(1) التهذيب ج ٩ ص ٥٣ لابن حجر .

اعتـــزاز البخـــارى بعلمـــه

ومحنته مع أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلى

ترك البخارى نيسابور ايثارا للسلامة وعدم الفتنة وذهب الى بلدنه بخارى واستقبل أروع استقبال « فنصبت له القبـــــاب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبـــق مذكور ونثر عليه الدراهم والدنانير » (1) •

والتف حوله الناس فى مجلسه فى المســـجد والمنزل والكل عنــــده سواء فى توجيه العناية والاستفادة من علمه ونشر سنة النبى صلى عليه وسلم فوجد فيه العلماء أنه الأمل المرجو والمرجع الأصيل فأقبلوا عليـــه للاستفادة منه ، ومثل البخارى فى اخلاصه للعلم وقوته يهمه أن يرضى نهم الناس ارضاء الله وأن يكون النفع عاما للجميع وليس لديه من الوقت فسحة للدرس الخاص وليس فى نفسه الـــدافع الى التقرب الى الأمير على حساب مصلحة الغير لأنه استمد جاهه واحترامه من سلطان العلم ، وشعور العالم برضاء ربه وسيره فى طريقه وتأدية رسالته يكسب العالم سعادة كاملة وعزا وسلطانا وكيانا يرى نفسه فى وضع كريم غير محتاج الا لله وحده ، فلما طلب أمير بخارى خالد بن أحمد أن يأتيـــه بكتبـــه حتى يسمعها له ولأولاده فى قصره خاصة رفض البخارى أن يســـتجيب لطلبه وقال « فى بيت العلم والحلم يؤتى » فأفهمه أن العلم يسعى اليه فراسله الأمير طالبا أن يعقد مجلسا لاولاده لا يحضره غيرهم ويحضر الأولاد اليه فامتنع أيضا وقال « لا يسعنى أن أخص بالسماع قوما دون آخرين » • قال أبو سعيد بكر بن منير البخارى « بعث الأمير خالد بـــن أحمد الذهلى والى بخارى وخليفة ابن طاهر الى محمد بن اســـماعيل أن احمل الى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأســـمع منك فقـــال محمد

---

(1) مقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٥ •

ابن اسماعيل لرسوله قل له : انى لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب ، السلاطين فان كان لك الى شيء منه حاجة فأحضرنى فى مسجدى أو فى دارى وان لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من الجلوس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة لأنى لا أكتم العلم لقول النبى صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من نار • فكان سبب الوحشة بينهما هذا (1) •

فأصر الأمير فى نفسه العداوة للبخارى وصار يتحين لـــه الفرص حتى وصله كتاب محمد بن يحيى الذهلى الذى لم يكتف بصرف النـــاس عن البخارى فى نيسابور فلم يقنع برحيله منها رغبة فى تسكين الفتنـــة فواصل عداءه للبخارى بكتاباته للولاة والعلماء بالتشنيع على البخارى بمسألة اللفظ ورميه بالاعتزال جذافا وبهتانا وممن كتب اليهم من العلماء أبو حاتم وأبو زرعة الرازى كما كتب الى الأمير خالد بن يحيى الذهلى نائب الطاهرية ببخارى فلما وصل الأمير كتاب الذهلى انتهز الفرصـــة للانتقام من البخـــــارى وأراد أن يصرف الناس عـــن السماع منه وكان البخارى فى جامع بخارى مجلس يجلس فيه لاملاء العلم اليهم وكانوا يعظمونه جد التعظيم ويكرمونه أشد التكريم فلم ينفذوا ارادة الأمير ورغبته واستمروا فى التلقى عنه فأمر الأمير عند ذلك بنفيه وساعده جاهه على اخراجه من بلده وقال أبو بكر بن أبى عمرو الحافظ وممن ســـاعد على ذلك خالد بن أبى الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى حتى تكلموا فى مذهبه فنفاه عن البلد فخرج رضى الله عنـــه الى بيكنـــد « بلده بين جيحون وبخارى على مرحلة منهـــا » ثم الى خرتنك قرية تبعـــد عنها فرسخين أو ثلاثة وعند خروجه دعا عليهم فقال : اللهم أرهم ماقصدونى به فى أنفسهم وأولادهم وأهلهم فأما خالد فلم يأت عليه الا أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه فنودى عليـــه وهـــو على أتان وأشخص على أكاف ثم صار عاقبة أمره الى ما قد اشـــتهر وشـــاع من

(1) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٢ طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٤ مقدمة البخارى للشـــيخ عبد الغنى ص ٩٢ التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٥٢ •

من سجنه فى بغداد حتى أن مات ولم يبق أحد ممن ســاعده فى اخراج البخارى الا ابتلى شديد البلاء وأما حديث ابن أبى الورقاء فانه ابتلى بأهله فرأى منهم ما يجل عن الوصف وأما فلان أحد القوم وسماه فانه ابتلى بأولاده وأراه الله منهم البلايا [1] والبخارى فى موقفه هذا يمثل عزة العلماء وتوكلهم على الله واستمدادهم القوة والعزة من الله وحده وقد وصل بطهارته وعلمه وصــفاته الخلقيــة الى درجــة يدعــو الله فيستجيب له •

مكانــة البخــارى فى عصره

ان أبا عبد الله البخارى بعلمه وعقله وخلقــه ودينه وصــل الى درجة رفيعة فى الكمال الانسانى أجبرت الدنيا بأن تتطلع اليه وأنطقت الألسن والقلوب بالثناء عليه •

ورغم نباهة شأن شيوخه وأقرانه وعلماء عصره الزاهر بالعلم فانه استطاع أن يصل فى سلم الارتقاء الى درجات عالية تصعب على أفذاذ العلماء •

وقد تتابعت الروايات فى نباهة شأنه وتقدمه والشهادة له بالامامة فى العلم • واكتظت كتب الطبقات بالاسهاب فى هــذا المعنى اسهابا لم يتوفر فى أى ترجمة من تراجم العلماء •

والمقدرون له الشاهدون بفضله على حد تعبير الامام النووى هم الأعلام أئمة المسلمين أولو الورع والدين والحفاظ النقاد المتقون الذين لا يجازفون بالعبارات بل يتأملونها ويحررونها ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات •

والناظر يجد أن هذه الروايات انما تمثل اجماع المسلمين فى عصر البخارى اذ هى تشع من مراكز اشــعاع العلوم بالعالم الاسلامى ولم يقتصر ذلك على أهل بلد بعينه وقد نســق الخطيب البغــدادى هــذه

---

(1) التهذيب ج ٩ ص ٥٢ لابن حجر •

الروايات وقسمها بحسب أصحابها الى فصــول ممتعــة تبين أن مكانة البخارى مكانة عالمية قد طبقت الآفــاق وان علمــه أشرق على دنيــا الاسلام فى عصره وان له الأثر الحسن فى كل بلد بما تركه فيه من علم نافع وخلق كريم وذكر هذه الروايات الذهبى فى ســير أعــلام النبلاء وذكرها باسهاب الخطيب البغدادى تحت العناوين الآتيــة (وصــف البصريين ومدحهم للبخارى) (وصف أهل الحجاز والكوفة) (ذكــر البغدادين فضله) (قول أهل الرى فيه) •

(ما حفظ عن أهل خراسان وما وراء النهر من القول فيه)

وحسبى أن أمر سريعا قانعا بذكر نمــاذج من تلك التقريرات لكى يعطينا فكرة واضحة عن مكانة البخارى فى عصره وتدلنا على أنه نشــأ للعلم عظيما مقدرا منذ وجد وهــذا انما يثبت فى النفــوس قيمة مروياته ويبين لنا جليل عمله وفى طبيعة هــذه النصــوص القــوة المعبرة التى لا تحتاج الى تعليق •

عن حاشد بن اسماعيل يقول كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن اسماعيل فلما قدم قال محمد بن يســار : دخل اليوم سيد الفقهــاء • ويقول بندار محمد بن بشار : ما قدم علينا مثل محمد بن اســماعيل• وعن أبى يوسف بن ريان قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقول كان على ابن المدينى يسألنى عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن ســلام فلا يعرفه الى أن قال لى يوما يا أبا عبد الله : كل من أثنيت عليه فهــو عندنا الرضا ــ ويقول البخارى ما تصاغرت نفسى عند أحد الا عنــــد على بن المدينى فيقول على زروا قوله هو ما رأى مثل نفسه • وبلغ من تقدير القوم له وثقتهم به أنه الجامع الحديث ، أن يقول عمرو بن على حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث • ويقــول أبو معشر حمدوية بن الخطــاب لما قدم أبو عبد الله محمد بن اسماعيل من العراق قدمته الأخيرة تلقاه من تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا فى بره• فقيل له فى ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم فقال كيف ولو رأيتم يوم دخولنا البصرة •

وقد كان معلوما للقوم أن الحديث اذا انتخبه محمد بن اسماعيل اتسم بالصحة وأصبح ذلك شهادة بصحته •

عن أبى حاتم قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقـــول « كان اسماعيل بن أبى أويس اذا انتخبت من كتابه نســخ تلك الأحاديث لنفسه وقال هذه أحاديث انتخبها محمد بن اسماعيل من حديثى • وقال أبو حاتم : سمعت حاشد بن عبد الله يقول • قال لى أبو مصعب أحمد ابن أبى بكر المدينى : محمد بن اسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل فقال له رجل من جلسائه جاوزت الحد فقال أبو مصعب لـــو أدركت مالكا ونظرت الى وجهه ووجه محمد بن اسماعيل لقلت كلاهما واحد فى الفقه والحديث • وهذه الرواية انما تعنى الشبه فى الفقــه والحديث والا فملامح الوجه والجسم لا تفيد تعظيما أو تكريماً •

وعن محمود بن النصر أبى سهل الشافعى يقول : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة وجالست علماءها فكلما جرى ذكر محمــد ابن اسماعيل فضلوه على أنفسهم • وعن عبد الله بن أحمد ابن حنبــل عن أبيه الامام أحمد أنه قال : ما أخرجت خراسان مثــل محمد بن اسماعيل ويقول يعقوب بن ابراهيم الدورقى محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة • وعن موسى بن هارون الحمال ببغداد يقول عندى لو أن أهل الاسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن اسماعيل آخــر لما قدروا عليه — وعن أبى العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يقول كتبت أهل بغداد الى محمد بن اسماعيل •

المســـلمون بخــير ما بقيــت لهـــم
وليس بعــــــدك خـــير حين تفتقــد

وعن وراقة سمعت محمد بن اسماعيل يقول : قال لى محمــد بن سلام أنظر فى كتبى فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عنه كى لا أرويــه ففعلت ذلك وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التى أحكمهـــا محمد بن اسماعيل رضى الفتى وعند الأحاديث الضعيفة لم يرض الفتى

فقال له بعض أصحابه من هذا الفتى ؟ فقال هو الذى ليس مثله محمد ابن اسماعيل — والمقصود ليس مثله فى عصره طبعا .

وبلغ من حب القوم لمحمد بن اسماعيل أنهـم يتمنون أن يفدوه بأنفسهم حفظا للعلم . عن يحيى بن جعفر يقول لو قدرت أن أزيد فى عمر محمد بن اسماعيل لفعلت فان موتى يكون موت رجل واحد وموت محمد بن اسماعيل ذهاب العلم . ويقول فيه رجاء بن المرجى محمـد ابن اسماعيل آية من آيـات الله يمشى على الأرض وعن أبى عيسى الترمذى تلميذ البخارى صاحب الصحيح يقول : كان محمد بن اسماعيل عند بن منير فلما قام من عنده قال : يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة . قال أبو عيسى فاستجيب له فيه وعن الترمذى أيضا قال لـم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ والأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل ويقول له تلميذه مسلم بن الحجاج لايبغضـك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك وجاء مرة اليه فقبله بين عينيه وقال دعنى أقبل رجلك يا أستاذ الأساتذة وسيد المحـدثين وياطبيب الحديث فى علله وعن حاشد بن اسماعيل يقول : رأيت اسحاق بن راهوية جالسا على السرير ومحمد بن اسماعيل معه فأنكر عليه محمد بن اسماعيل شيئا فرجع الى قول محمد وقال اسحاق بن راهوية يا معشر أصـحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه فانه لو كان فى زمن الحسن البصرى لاحتاج اليه الناس لمعرفته للحـديث والفقه — وعن أبى بكر محمد بن اسحاق يقول : ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن اسماعيل البخـارى — وعن عبـد الله بن عبـد الرحمن السمرقندى يقول رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراقيين فما رأيت فيهم أجمع من أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى — وعن عبد المؤمن بن خلف التيمى قال : سمعت الحسن بن محمد يقول : مارأيت مثل محمد بن اسماعيل ومسلم الحافظ لم يكن يبلغ محمد بن اسماعيل ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون الى محمد بن اسـماعيل أى شىء

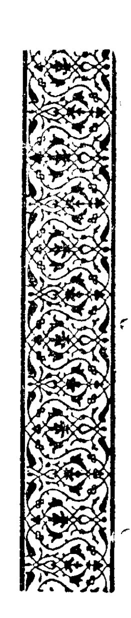
يقول يجلسون بجنبه فذكرت له قصة محمد بن يحيى فقـال ماله ولمحمد ابن اسماعيل .

كان محمد بن اسماعيل أمة من الأمم وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا وكان محمد بن اسماعيل دينا فاضلا يحسن كل شيء .

ولهذه المكانة السامية المتأصلة فى نفوس القوم كانوا يحرصون على علمه ويجتمع الألوف فى مجلسه يتزاحمون عليه للانتفـاع منه حتى فى الطرقات يعدون خلفه انتظارا لمجلسه وكانت له هذه المكانة المتـازة منذ مقتبل حياته يقول حاشد بن اسماعيل كان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلف البخارى فى طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه فى بعض الطريق ويجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنـه وكان البخارى اذ ذاك شابا لم يخرج شعر وجهه . وقال قتيبة بن سعيد جالست الفقهاء والزهاد والعبـاد فما رأيت منذ عقلت مثل محمـد ابن اسماعيل البخارى وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة ـ وقال محمد بن يوسف الهمدانى وقد سئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمـد بن اسماعيل البخارى وقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل واسحاق بـن راهوية وعلى بن المدينى قد ساقهم الله اليك وأشار الى البخارى ، وعن ابراهيم بن سلام قال ان الرتوت « الرؤساء » من أصحاب الحديث مثل سعيد بن مريم المصرى ونعيم بن حمـاد الحميدى والحجاج بن منهال واسماعيل بن أويس والعدنى والحسن الخلال ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة ومحمد العلاء والأشج وابراهيم بن المنذر الحزامى وابراهيم ابن موسى الفراء كلهم كانوا يهابون محمد بن اسماعيل ويقضون له على أنفسهم بالنظر والمعرفة وذكر أن الحاكم أبو عبد الله النيسابورى قال رحمه الله تعالى البخارى هو امام أهل الحديث بلا خلاف بين أئمة النقل وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر سمعت العلماء بمصر يقولون ما فى الدنيا مثل محمد بن اسماعيل فى المعرفة والصلاح ثم قال عبد الله وأنا أقول قولهم ـ وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سـعيد ابن عقدة لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد

ابن اسماعيل ويقول الحافظ بن حجر فى نهاية فصل الثناء على البخارى ولو فتحت باب ثناء الأمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفذت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له •

وبعد ما تقدم من ثناء مشايخه عليه لا يحتاج الى حكاية من تأخـــر لأن أولئك أثنوا بما شاهدوا ووصفوا بما عملوا بخـــلاف من بعدهم فأن ثناءهم ووصـــفهم مبنى على الاعتماد على ما نقل اليهم وبين المقـــامين فرق ظاهر وليس العيان كالخبر •



الباب الثالث

منهج البخاري في الجامع الصحيح

مكانة صحيح البخارى

هو الكتاب الذى قال فيه العلماء بحق أنه أصح كتاب بعد كتاب الله .

وهو الكتاب الذى أصبح البخارى به أمير المؤمنين فى الحديث وكتب له به الخلود ورفع ذكره مقترنا بالصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما هو أسمى كتاب بعد كتاب الله هو أسمى مؤلفات البخارى وتعتبر مؤلفاته الأخرى كمقدمة أهلته لهذا الكتاب العظيم فلم يبدأ البخارى فى كتاب الصحيح الا بعد أن قضى رحلة واسعة النطاق فى مؤلفات تدل على ثباته وتقدمه بمعرفة رجال الحديث وأحوالهم .

وهذا الكتاب كما هو المؤلف الهام فى حياة البخارى وحياة الاسلام عامة هو الجزء المهم فى الكتاب .

فأطلب من الله أن يمدنى بعونه حتى أوفق فى بيان منهج البخارى فى صحيحه مجليا قيمة عمله الدقيق . وبالله التوفيق .

الباعث على تصنيف البخارى للجامع الصحيح

تفاعلت الأسباب الداعية لابراز هذا المؤلف الجليل •

أولا ـ الحاجة الى أفراد الحديث الصـــحيح حيث كانت الكتب المصنفة قبله منها ما هو ممزوج بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومنها ما هو مشتمل على الصحيح وغيره فكانت الحاجة داعية الى أفراد الحديث الصحيح ليخلص طالب الحديث من عناء السؤال والبحث •

ثانيا ـ مقدرة البخارى واكتمال نموه فى معرفة الحديث •

ثالثا ـ شعور العلماء بالحاجة وبمكانة البخارى فوجهت اليـــه الدعوة من منزل شيخه امام الحديث والفقه اسحاق بن راهوية بدعـــوة منه فى مجلس العلماء •

رابعا ـ قوىَ عزم البخارى وشرح صدره وملأ همة واقداما رؤية النبى صلى الله عليه وسلم وهو يذب عنه بمروحة فى يده وفسرت الرؤيا للبخارى بأنه يذب الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم يقـــــول الحافظ ابن حجر (1) فلما رأى البخارى رضى الله عنه هذه التصـــانيف (الموجودة فى عصره) ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجدهـــا بحسب الوضع جامعة بين مايدخل تحت التصحيح والتحســـين والكثير منه يشمله التضعيف •• فحركت همته لجمع الحـــديث الصحيح الـــذى لا يرتاب فيه أمين وقوىَ عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين فى الحديث والفقه اسحاق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويـــة قال : ابراهيم بن معقل النسفى قال : أبو عبد الله محمد بن اســـماعيل البخارى كنا عند اســـحاق بن راهوية فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا

---

(1) المقدمة ج 1 ص 4 لابن حجر •

لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح (١) وروى كنت عند اسحاق فقال بعض أصحابنا (٢) الخ ..

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن اسحاق طلب منه أولا ثم طلب منه بعض الحاضرين تأكيدا لقول اسحاق وقال محمد بن سليمان بن فارس سمعت البخارى يقول : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وكأنى واقف بين يديه وبيدى مروحة فسألت بعض المعبرين فقال لى : أنت تذب عنه الكذب فهو الذى حملنى على اخراج الجامع الصحيح (٣) .

الاســـم الكامل لصحيح البخارى

ان الأسم الكامل الذى سمى به أبو عبد الله البخارى كتابه هـــو (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) (٤) .

ولما كان أسمى ما يتسم به الكتاب ويرفع من شأنه هو واســمه بالصحيح اشتهر بذلك اختصارا فأطلق عليه « صحيح البخارى » على أن البخارى نفسه كان يطلق عليه فى كثير من الاحيان اختصارا الصحيح .

قال أبو على الغسانى سمعت البخارى يقول خرجت الصحيح من ستمائة ألف حديث (٥) وقال ابن الصلاح والنووى .

« الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه » والروايتان متقاربتان وليس بينهما خلاف

---

(١) تدريب الراوى ص ٢٤ للسيوطى .

(٢) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٨ وتهذيب الاسماء للنووى ج ١ ص ٦١ .

(٣) كشف الظنون ص ٥٤٤ شرح البخارى للنووى ص ٧ مقدمة الفتح ج ١ ص ٤ .

(٤) المقدمة لابن حجر وفى كتاب النكت المخطوط لابن حجر بعد المسند المختصر .

(٥) مقدمة ابن صلاح ص ٤ .

جوهرى غير أن رواية ابن حجر يبدو أنها أصوب — يؤديد ذلك ما روى عن البخارى فى وصف الجامع بالصحيح مباشرة فى قوله فأخذت فى جمع الجامع الصحيح وقوله صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة وخرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بينى وبين الله عز وجل [1] وعادة يذكر الصدر ويحذف المتأخر فى الاختصار فهذا يدل علـــى أن « المسند » بعد قوله « الصحيح » مما يكسب قول ابن حجر قوة فى روايته والله أعلم •

مدة تأليف الجامع الصحيح ومكانه

لقد صنف البخارى جامعه الصحيح على مكث ومهل رغم محصوله العلمى الذاخر لانه توخى فيه الدقة الفائقة والعناية النادرة فصنفه فى ستة عشر عاما وكان يعد نفسه لكل حديث بالغسل والصـــلاة قال البخارى (ما كتبت فى كتاب الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل وذلك وصليت ركعتين) [2] •

وقال صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بينى وبين الله عز وجل [3] •

أما مكان تأليفه فقد قال عبد القدوس بن همام سمعت عدة مشايخ يقولون حول البخارى تراجم جامعه بين قبر النبى صلى الله عليه وسلم ومنبرة وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين [4] وروى عن البخارى أنه قال : صنفت كتاب الجامع فى المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا الا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته [5] وفى شرح البخارى للنووى صنف البخارى صحيحه ببخارى وقيـــل صـــنفه بمكة

---

(١) مقدمة النووى ص ٧ ومفتاح السعادة ج ٢ ص ٥ •

(٢) الوفيات ج ١ ص ٦٥٠ والتهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٤٩ •

(٣) شرح البخارى للنووى ص ٧ •

(٤) مقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٢ •

(٥) المقدمة ج ٢ ص ٢٠٢ •

قال الامام النووى والجمع بين هذا كله ممكن بل متعين فانا قد قدمنا عنه أنه صنفه فى ست عشرة سنة فكان يصنف منه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى والله أعلم ٠

ورأى الحافظ فى الجمع بين هذه الروايات أنه ابتدأ تصنيفه ووضع التخطيط العام للكتاب كمسودة فى المسجد الحرام ثم أكمله وبيضه فى بخارى وغيرها واستدل على قوله بأن البخارى أقام فى تصنيفه ست عشرة سنة وانه لم يجاوز بمكة هذه المدة كلها وهذا هو الرأى ٠

منهج البخارى فى رواية حديث الصحيح وشرطه

من أمتع ما قيل فى هذا المعنى وأدقه قول الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) فى مقدمة كتاب النكت (١) « مختصر فتح البخارى » فقد استخلص منهج البخارى فى شرطه من طريقين :

الاول : من تسمية البخارى نفسه لكتابه ٠

الثانى : من الاستقراء من تصرفه ٠

فأما أولا فانه سماه الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ٠

فعرفنا بقوله الجامع انه لم يختص بصنف دون صنف ولهذا أورد فيه الاحكام والفضائل والأخبار المحضة عن الامور الماضية وعن الامور الآتية وغير ذلك من الآداب والرقاق ٠

وبقوله الصحيح أنه ليس منه شئ ضعيف عنده ٠ ويصرح بذلك قوله ما أدخلت فى الجامع الا ما صح ٠ . وبقوله المسند أن الأصلى تخريج الأحاديث التى اتصل اسنادها ببعض الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم سواء أكان من قوله أو فعله أو تقريره ٠

وأن ما ما وقع فى الكتاب مما يخالف ذلك انما وقع فيه تبعا عرضا

---

(١) مخطوط بمكتبة الازهر الشريف ٠

لا أصلا مقصودا فهذا ما عرف من كلامه (1) .

ثانيا وأما ما عرف بالاستقراء من تصرفه فمحتاج أولا الى التعرف بالصحيح « عنده وعند غيره » .

وهو أن يكون الاسناد متصلا وأن يكون كل من رواته عدلا متصفا بالضبط فان قصر احتاج الى ما يجبر ذلك التقصير — ويكون الحديث مع ذلك قد خلا من أن يكون معلولا أى فيه علة قادحة وأن يكون شاذا أى خالف رواية من هو أكثر عددا منه وأشد ضبطا مخالفة تستلزم التنافى ويتعذر معها الجمع الذى لا يكون متعسفا » .

ثم كان ابن حجر دقيقا وعظيما فى زيادة ايضاحه بايضـــاح معنى الاتصال عند المحدثين وعنـد البخـارى فبين بذلك شرط البخـارى فى « المعنعن » وما فى حكمه من اشتراط اللقاء مع المعاصرة والثقة وعـــدم التدليس فقال « الاتصال عندهم أن يعبر كل من الرواة فى روايتـه عن شيخه بصيغة صريحة فى السماع منه كسـمعت وحـدثنى وأخبرنى أو ظاهرة فى ذلك « كعن وان فلانا قال » .

ثم بين أن شرط حمل المعنعن (القسم الثانى من الصيغ عنـــد البخارى) أن يكون الراوى قد ثبت له لقاء من حدث عنه ولو مرة واحدة مع اشتراط أن يكون ثقة فاذا ثبت ذلك عنه حملت عنده « عنعنته » على السماع وسبب ذلك أن تقول اذا لم يثبت لقاؤه له وانما عرفنا أنه عاصره احتمل أن تكون روايته عنه عن طريق الارسال لما عرف من عادة كثير ممن لم يوصف بتدليس أنه يرسل واذا لم يترجح أحد الاحتمالين على الآخر لم يحسن الحمل على أحدهما .

فان قيل فلم يطرد ذلك فى جميع عنعنتـه (مع اللقـاء وعـدمه) فالجواب أن ذلك يخالف فرض المسألة لأنها مفروضة فى غير المدلس ولو كان بعد أن ثبت لقاؤه لشيخه قد حدث عنه بالعنعنة بما لم يسمعه لكان

---

(1) النكت لابن حجر وهو مختص الفتح مخطوط بمكتبه الازهر وصل فيه الى كتاب الايمان والعلم وقد الفه بعد كتاب فتح البارى .

بذلك مدلسا والفرض أنه غير مدلس فكان الاتصال ظاهرا فى ذلك وعرف من هذا أن شرط البخارى فى الاتصال أقوى وأتقن حيث اشترط عنده التلقى والمعاصرة بخلاف مسلم فقد اكتفى بالمعاصرة » •

وطريق ثبوت اللقاء عند البخارى (1) •

يدور عنده على التصريح بالسماع فى اسناد فاذا ثبت السماع عنده فى موضع يحكم به فى سائر المواضع •

ويبدع ابن حجر فى تفصيله الدقيق واضعا أمام الباحث منــــابع الكلام ومصادره ومراكزه قائلا :

وكذا عرفنا بالاستقراء فى تصرفه فى الرجال الذين يخرج عنهم أنه ينتقى أكثرهم صحبة لشيخه وأعرفهم بحديثه وان خرج من حديث من لا يكون بهذه الصفة فانما يخرج فى المتابعات وحيث يقوم له قرينه بأن ذلك مما ضبطه هذا الراوى ، بمجموع ذلك وصفه الأئمة قديما وحديثا بأنه أصح الكتب المصنفة •

---

(1) نقلا عن صاحب فيض البارى حـ ١ ص ٣٥ •

قول الحافظ زين الدين أبى عبد الله محمد بن موسى الحازمى

المتوفى سنة ٥٨٤ هـ فى منهج البخارى فى شرطه

وقول الحازمى فى غاية الدقة والوضوح بل هو أصل لقول ابن حجر واستنباطه . ويكاد يكون متفقا معه فى المعنى لذا فقد ارتضاه ابن حجر مقتنعا به وموضحا له فى مقدمته حتى نقله الكثير على أنه رأى ابن حجر كما فعل الاستاذ على الجندى واخوانه فى كتاب « أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والاسلام » وقد تعرض الحازمى فى الكلام على شرط البخارى الى مقارنة بينه وبين الأئمة ، وضع البخارى فى قمتها الا أن الجديد العظيم فى كلام ابن حجر انه أوقف الباحث على منابع استنباط الشروط ومراكزها منكلام البخارى نفسه مما استنبط من كلامه فىتسميته للكتاب وما استنتجه من كلامه مباشرة ومن تعريفه الصحيح وما أخـذه من كلام البخارى مباشرة من شرطه فى الاتصال بالعنعنة ثم ما استنبطه منبها عليه بأنه من تصرفه فى رجاله ووضع النقط على الحروف كما يقولون ولم يسبق بهذا النسق • ومع ذلك فكلام الحازمى هو أصل وسابق فى فضله ورأى ابن حجر معبر عنه لذا سأذكره مع تعليقات ابن حجر مستعينا بتصرفه ، مع الرجوع الى الاصل والمحافظة على كيانه والجدير بالذكر أن كلام الحازمى وابن حجر لم يرد عليهما اعتراض فكان كلامهما مسلما به عند العلماء فحسن تقديمه وتصدير الكلام به وتأخير ما اعترض عليه من رأى بن طاهر المقدسى والحاكم •

قال الحافظ أبو عبد الله (١) الحازمى رحمه الله ما حاصله (٢) ان شرط الصحيح أن يكون اسناده متصلا وأن يكون رواية مسلما صادقا غير

(١) فى شروط الائمة ابو عبد الله وعلق الكوثرى بقوله هكذا فى الاصـل وفى الذهبى وغيره ابو بكر وهو المشهور ٠

(٢) المقدمة للفتح جزء ١ ص ٦ شروط الائمة ص ٢٩ للحازمى بتصرف ٠

مدلس ولا مختلط متصفا بصفات العدالة ضابطا متحفظا سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد .

قال ومذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوى العدل فى مشايخه العدول فبعضهم حديثه صحيح ثابت وبعضه حديثه مدخول قال : .. باب فيه غموض وطريق ايضاحه معرفة طبقات الرواة عن راوى الاصل ومراتب مداركهم فلنوضح ذلك بمثال .

وهو ان تعلم أن أصحاب الزهرى مثلا على خمس طبقات ولكل طبقة منها مزية على التى تليها فمن كان فى الطبقة الأولى فهو الغاية فى الصحة وهو مقصد البخارى .

والطبقة الأولى :

هى التى جمعت مزية الحفظ والاتقان وطول الملازمة لشيخها الزهرى حتى كان منهم من لازمه فى السفر وفى الحضر مثل مالك وابن عيينة وعبيد الله بن عمر ويونس وعقيل الايليين وشعيب بن أبى حمزة وجماعة ســـــواهم

والطبقة الثانية :

شاركت الأولى فى التثبت الا أنها لم تلازم الزهرى الا مدة يسيرة فلم تمارس حديثه فكانوا فى الاتقان دون الأولى وهم شرط مســـــلم وذلك مثل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى والليث بن سعد والنعمـــــان ابن راشد وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وغيرهم زاد ابن حجر وابن أبى ذئب وأكمل الحازمى الطبقات الى خمسة هى شروط لغير البخارى قال وقد يخرج البخارى أحيانا عن أعيان الطبقة الثانية ومسلم عن أعيان الطبقة الثالثة وذلك لأسباب تقتضيه وقد وضع الحازمى شرط البخارى فى قمة هذه السلسلة من شروط الأئمة قال فأما الطبقة الأولى فهم شرط البخارى وقد يخرج من حديث أهل الطبقة الثانية ما يعتمده من غير

استيعاب وأما مسلم فيخرج أحاديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثانية على النحو الذى يصنعه البخارى فى الثانية والمراد من ذلك التنزل الى الدرجة الأخيرة عند الأعواز •

قال ابن حجر فى المقدمة معلقا على هذا قلت وأكثر ما يخرج البخارى حديث الطبقة الثانية تعليقا وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة تعليقا أيضا •

قول الحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى

المتوفى سنة ٥٠٧ هجرية ومناقشته

قال فى شروط الأئمة الستة : أعلم أن البخارى ومسلما ومن بعدهما من الأئمة لم ينقل عن واحد منهم أنه قال شرطت أن أخرج فى كتابى ما يكون على الشرط الفلانى • وانما يعرف ذلك من سير كتبهم فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم (١) يعنى (٢) غير ما هو معروف من الخلاف بين الشيخين فى الاكتفاء بثبوت المعاصرة بين الراوى وشيخه بعد كونهما ثقتين كما هو عند مسلم أو اشتراط ثبوت اللقاء بينهما بعد كونهما ثقتين

كما هو عند البخارى •

قال ابن طاهر : وشرط البخارى ومسلم أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات ويكون اسناده متصلا غير مقطوع فان كان للصحابى راويان فصاعدا فحسن وان لم يكن له الا راو واحد فاذا صح الى ذلك الراوى أخرجاه •

الاأن مسلما أخرج أحاديث أقوام كحماد بن سلمة وسهيل بن أبى صالح وداود بن أبى هند وأبى الزبير الأسدى والعلاء بن عبد الرحمن ترك البخارى حديثهم لشبهة وقعت فى نفسه وانما أخرج مسلم حديثهم لأن هذه الشبهة بالنسبة الى تلك الأحاديث خاصة ذهبت فى نظره وقد اعترض عليه الحافظ زين الدين العراقى فى شرح ألفيته فى علوم الحديث عند ذكر مراتب الصحيح وكان اعتراضه على قوله المجمع أو المتفق على ثقة نقلته الى الصحابى المشهور من غير خلاف بين الثقات فقال وليس ما قاله ابن طاهر بجيد لأن النسائى ضعف جماعة أخرج لهم الشيخان

---

(١) شروط الأئمة للمقدسى •

(٢) تعليقات الكوثرى على شروط الأئمة للحازمى •

أو أحدهما (١) وأجيب على ما فى التدريب بأنهما أخرجا من أجمع على ثقته الى حين تصنيفهما ولا يقدح فى ذلك تضعيف النسائى بعد وجود الكتابين •

وقـــال الحافظ بن حجر معقبـــا على ذلك

تصنيف النسائى ان كان باجتهاده أو نقله عن معاصريه فالجواب ذلك وان نقله عن متقدم فلا ، ثم قال ويمكن أن يجاب بأن ما قالـــه ابن طاهر هو الاصل الذى بنيا عليه أمرهما وقد يخرجان عنه لمرجح يقوم مقامه فسلم بذلك كلام ابن طاهر فقد رد ابن حجر بتشقيق الجـــواب السابق فنقضه ثم أجاب هو اجابة معقولة ويمكن أن يناقش رده على الجواب السابق فى موضع الرد وهو قوله وان نقله عن متقدم فلا ، فالقول بأن نقله ، لو كان متقـــدم لبينـــه النســـائى ولو فرض أنه رواه عن متقدم ولم يبينه فمن الجائز أن يكون نقلا عن غير الاثبات والاتفاق انما هو بالنسبة للاثبات الثقات فسلم التعريف •

---

(١) فتح المغيث ص ١ س ٤ والتدريب ص ٦ وشروط الأئمة الستة للمقدس تعليقـــات الكوثرى •

قول الحافظ الحاكم أبي عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ومناقشته :

قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية النيسابورى الدرجة الأولى من الصحيح اختيار البخارى ومسلم وهو أن يروى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم صحابى زائل عنه اسم الجهالة بأن يروى عنه تابعيان عدلان ثم يروى عن التابعى المشهور بالرواية عن الصحابى وله راويان ثقتان ثم يرويه عن اتباع التابعين حافظ متقن له رواة من الطبقة الرابعة ثم يكون شيخ البخارى أو مسلم حافظا مشهورا بالعدالة فى روايته ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول كالشهادة على الشهادة (١) وقد اعترض عليه أبو الفضل المقدسى قال ان البخارى ومسلما لم يشترطا هذا الشرط ولا نقل عن واحد منهما أنه قال ذلك والحاكم قدر هذا التقدير وشرط لهما هذا الشرط على ما ظن ولعمرى أنه شرط حسن لو كان موجودا فى كتابيهما ، الا أنا وجدنا هذه القاعدة التى أسسها الحاكم منتقضة فى الكتابين جميعا .

اعتراض الحازمى

واعترض عليه أيضا أبو بكر الحزمى بما فى الصحيح من الغرائب التى تفرد بها بعض الرواة فقد أخرجا فى كتابيهما أحاديث جماعة من الصحابة ليس لهم الا راو واحد وأحاديث لا تعرف الا من جهة واحدة من ذلك حديث مرداس الاسلمى « ويذهب الصالحون الأول فالأول » الحديث ، هذا الحديث تفرد به البخارى باخراجه ولم يرو عنه غير قيس بن أبى حازم رواه البخارى عن يحيى بن حماد عن أبى عوانة

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٨ مخطوط وشروط الائمة الستة للمقدس ص ١ .

عن بيان عن قيس عن مرداس وليس لمرداس فى كتاب البخارى سوى هذا الحديث (١) •

وقال الحازمى فى شروط الأئمة :

ولا أعلم أحدا من فرق الاسلام القائلين بقبول خبر الواحد اعتبر العدد سوى متأخرى المعتزلة فانهم قاسوا الرواية على الشهادة فاعتبروا فى الرواية ما اعتبروه فى الشهادة وما مغذى هؤلاء الا تعطيل الاحكام كما قال أبو حاتم بن حبان وأجاب عن الحاكم ابو على الغسانى(٢) ونقله عياض عنه بأنه ليس المراد أن يكون كل خبر روياه يجتمع فيه راويان عن صحابية ثم تابعية فمن بعده فان ذلك يعز وجوده •

وانما المراد فى كلام الحاكم أن هذا الصحابى وهذا التابعى قد روى عنه رجلان خرج بهما عن حد الجهالة •

ولم يرتض هذا القول ابو عبد الله بن المواق فقال ما حمل الغسانى عليه كلام الحاكم وتبعه عليه عياض ليس بالبيين ولا أعلم أحدا روى عنهما أنهما أخرجا بذلك ولا وجود له فى كتابيهما ولا خارجا عنهما فان كان قائل ذلك عرفه من مذهبيهما بالتصفح لتصرفهما فى كتابيهما فلم يصب لان الامر بين فى كتابيهما وان كان أخذه من كون ذلك أكثريا فى كتابيهما فلا دليل فيه على كونهما اشترطاه ولعل وجود ذلك أكثريا انما هو لان من روى عنه أكثر من واحد أكثر ممن لم يرو عنه الا واحد فى الرواه مطلقا لا بالنسبة الى من خرج له فى الصحيحين وليس من الانصاف الزامهما هذا الشرط من غير ان يثبت عنهما ذلك مع وجود اخلالهما به لانهما اذا صح عنهما اشتراط ذلك كان فى اخلالهما به درك عليهما وقال الحافظ ابن حجر وهذا كلام مقبول وبحث قوى •

وقال فى مقدمته ما ذكره الحاكم وان كان منتقضا فى بعض الصحابة الذين أخرج لهم الا أنه معتبر فى حق من بعده فليس فى الكتاب حديث أصل من رواية من ليس له الا راو واحد فقط •

---

(١) شروط الائمة الخمسة ص ٢٢ •

(٢) تدريب الراوى ٦٥ تعليقات الشيخ عبد الوهاب •

على ان ابن حجر شك فى نسبة شرط التعدد للحاكم وعزاه انه ربما يكون قد اشتبه فهمه على الحازمى من كلام الحاكم ، قال وكان الحازمى فهم ذلك من قول الحاكم كالشهادة لان الشهادة يشترط فيها التعدد • وأجيب باحتمال أن يريد بالتشبيه بعض الوجوه لا كلها كالاتصال واللقاء وغيرها ثم أوضح ابن حجر غلط من نسب هذا الى الحاكم فى كتاب الفتح(١) •

فبين ان هذا فى الواقع ليس شرطا للشيخين انما هو شرط لبعض العلماء كأبى على الجبائى بالنظر الى الصحيح عامة ونقل عن المازرى نسبته الى أبى على الجبائى وبعض متأخرى المعتزلة •

واليه يومىء الحاكم فى الكتاب (٢) حيث يقول وصفة الحديث الصحيح أن يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابى زائل عنه اسم الجهالة بأن يرويه عنه تابعيان عدلان ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول الى وقتنا هذا كالشهادة على الشهادة فعمم فى علوم الحديث شرط الصحيح من حيث هو وخصص ذلك فى المدخل بشرط الشيخين ويبدو أنه شرط عام وليس خاصا بالصحيحين •

قال البيهقى فى كتابه الزكاة من سننه عند ذكر حديث بهز عن أبيه عن جده ، فأما البخارى ومسلم فانهما لم يخرجاه جريا على عادتهما فى أن الصحابى أو التابعى اذا لم يكن له الا راو واحد لم يخرجا حديثه فى الصحيحين •

قال الكوثرى ويرد على هؤلاء بآخر حديث فى البخارى « كلمتان خفيفتان » فهو فرد باعتبار المخرج كما نص عليه البرهان البقاعى فان أبا هريرة تفرد به عن النبى صلى الله عليه وسلم وتفرد به عنه أبو زرعة وتفرد عنه عمارة بن القعقاع وتفرد به عنه محمد بن فضيل وعنه انتشر فرواه عنه اشكاب « الحسين بن ابراهيم العامرى » (٣) وغيره •

---

(١) الحافظ بن حجر فى شرح نخبة الفكر ص ٥ والتدريب للسيوطى ص ٦٦ •
(٢) تعليقات الكوثرى على شروط الائمة الخمسة ص ١٠ ومعرفة علوم الحديث ص ٦٢•
(٣) تعليقات الكوثرى على شروط الائمة الخمسة ص ٢٠ •

وقال صاحب فيض البارى محمد آنور الكشـــميرى الديوبندى (1)
أقول قول الحـــاكم أكثرى لا كلى ولعله أراد منـــه أن يصـــير الراوى معروفا فلو روى واحد جليل القدر نكفى •

وهو تخريج وجيه من الكشميرى ورأى الحاكم كما تبين متعثر الخطأ ورد عليه الكثير من الاعتراضات والاجابة عنها وكل الاعتراضات انما هى منصبة على ما نسب اليه من قوله اشتراط تعدد الرواه وماعدا ذلك من اشتراط العدالة والثقة والحفظ فمسلم له ومتفق عليـــه ومع ذلك فلـــه فضل السبق •

وقد تبين من استعراض الاقوال فى منهج البخارى فى رواية حديث جامعه الصحيح .

ان الذى قد وفاه وأجاد فيه من غير أن يرد اعتراض عليه لدقته انما هو ابن حجر والحازمى وهما غير مختلفين فى المعنى كما أشرت غـــير ان ابن حجر وان أخذ عن الحـــازمى الا أنه اكسب الباحث ثقة فى تحقـــق استنباط هـــذه الشروط ونسبتها للبخارى حيث أوقف البـــاحث عـــلى مصـــادرها ومنابعها من كلام أبى عبد الله البخـــارى نفســـه وتصرفاته محددا مركز كل قول اشترطه وجاء به •

فهو فى الواقع مكمل وموضـــح وموثق لكـــلام الحازمى فرأيهما كرأى واحد متكامل فى وضوحه وثباته وقوته •

وبذلك أصبحت نسبة هذه الشروط الى منهج البخارى فى روايته أمرا واضحا لا مرية فيه •

هذا وقد روى البخارى غير ما ذكره ابن حجر فى منهجه فى الرواية فى صحيحه ، أنه لم يذكر فيه حديثا الا بعـــد أن تيقن من صحته (وقال البخارى وما أدخلت فى الصحيح حديثا الا بعد أن استخرت الله تعـــالى وصليت ركعتين وتيقنت من صحته(2) وخرجه من ستمائة ألف حـــديث وجعله حجة فيما بينه وبين الله(3) •

---

(1) فيض البارى ج 1 ص 36 •
(2) المقدمة ج 2 ص 202 •
(3) شرح النووى ص 7 •

وقال وما أدخلت فى الجـامع الا ما صـح وما تركته من الصحاح لأجل الطـول(1) وقد صرح بأنه يروى عن الثقـات بقوله كتب عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندى حديث لا أذكر اسناده •

وقد صرح ببيان منهجه فى كتابة الحديث عامة فضـلا عن منهجه فى كتابه الصحيح الذى هو فى الدرجـة الاولى من مؤلفاته بما يوقـف الباحث على مدى اهتمامه البالغ ودقته فى حرصـه عـلى معرفة الرواة وكيفية عملهم وحال الرواة العدول مع مشايخهم فى طريقة فريدة مبتكـرة يقول البخارى (لم يكن كتابتى الحديث كما كتب هؤلاء) كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمل الحديث ان كان رجـلا فهما (فهو يصرح بالضبط المعبر عنه بضبط الصدر) •

فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته (فهو هنـا يصرح بالضبط المعبر عنه بضبط الكتاب) ويقول وأما الآخرون فلا يبـالون بما يكتبون وكيف يكتبون (2) •

ولقد كان البخارى دقيقا فى موازينه وحكمه •

يقول ابن حزم أن البخارى اذا أنكر السماع لا يقول ان فلانا لم يسمع من فلان بل يقـول لم يثبت سـماع فلان من فلان والنـاس لا يميزون بينهما فيحكون عنه أنه قائل بعدم سـماعه منـه مع أنه ينكر الثبوت عنه دون السماع فى نفس الامر وهـذا يدل على أن أمر السماع عنده انما يحكم به نظرا لثبوت اسناد عنده (3) •

وبلغت به الدقة الى ترك الرواية عـن كل راو فيه نظر من المحدثين مهما كان عنده من كثرة فى الحديث ولا يكتفى بذلك بل له نظرة فيمـن سلم فى نظرهم وهو بمسلكه هـذا لا يكتفى بتوثيق الثقات حتى يطمئن لهذا التوثيق بنفسه •

---

(1) سير أعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب الجزء الثانى ـ ٨ ص ٢٣٨ •
(2) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ •
(3) فيض البارى •

يقول محمد أبى حاتم سئل محمد بن اسماعيل عن خبر حـــديث فقال يا فلان اترانى أدلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيــه نظر وتركت مثله أو أكثر لغيره لى فى نظر (١) وهذا صريح فى أنه لا يروى عن المدلس ولا عمن اتصف بآفات الجرح عامه ويصرح البخـارى ايضا بأنه لا يروى الا عن سليم الاعتقاد يقول كتبت عن ألف وثمانين رجـلا ليس فيهم الا صـاحب حـديث كلهم يقول الايمان قول وعمـل يزيد وينقص •

فمن هذه التصريحات فضلا عما نقل من كلام ابن حجر الـذى وفى المقام حقه يمكن أن يطمئن الباحث بأن البخارى رسم منهجه وشرطـه فى رواية صـحيحة خاصـة وهو الدرجة الأولى كما أنه رسمه فى كـل مروياته عامة مثل الأدب المفرد وغيره فهى صـحيحة أيضـا الا أن كتابه الجامع الصحيح كانت له المكانة الأولى فألزم نفسه فيـه بأعلى مراتب الصـــحة •

لذا فقد اشتراط ثبوت اللقاء (السماع) بخلاف مسـلم فاكتفى فى صحيحه بالمعاصرة ومع هذا فلم يخرج ذلك كتاب مسلم عن الصحة كما أن هذا لايخرج أحاديث البخارى فى غـير الصحيح عن الصـحة وقد بين الكشميرى بأن خلاف البخارى مع غيره فى اشتراط السماع انما هـــو فى الجامع الصحيح خاصـــة لا فى الصحيح لذاته • قال وكيفمـــا كان شرطه هــذا انمــا هــو فى كتـــابه خاصـــة لا للصـــحيح مطلقا فلا يخرج حديثا فى صحيحه الا بعد ثبوت السماع فيه : وان كان صحيحا فى نفسه عنــده أيضا فمخالفته للجماهير ليس فى نفس تعــريف الصحيح بل هو شرط التزم به للصحيح فى كتابه فهذا تشديد فيه عـلى نفسه فى هذا الكتاب فقط ولكل ذى همة وعزم أن يشـدد عـلى نفسـه بما شاء ولا مساغ لاحد للطعن فيه ذق هــذا فاسترح عما يختلــج فى الصدور والله تعالى ولى الامور(٢) •

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ •
(٢) مقدمة الفيض ج ١ ص ٣٥ •

وتبلغ الثقة ذروتها فى مقدرة البخارى على تنفيـــذ منهجه فى رواية الجامع الصحيح وغيره ومدى معرفته للرواة واحوالهم بدراسة مؤلفاتــه التى سأعقد لها فصلا مستقلا •

وحسبه فى ذلك كتاب التاريخ الكبير الذى ألفه قبــل أن يبــدأ فى جامعه الصحيح •

قال فيه أبو أحمد الحاكم الكبير المتوفى سنة ٣٧٨ •

« وكتاب محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق أنيــه ومن ألف بعده شيئا فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنــه فمنهم من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعه وأبى حاتم ومســلم ومنهم من حاكاه عنه فالله يرحمه فانه الذى أصل الاصول » (1) •

موضع الجامع الصحيح

وموضـــوع الجـــامع الصحيح هو الحـــديث الصحيح المجرد وقد استبان موضوعه هذا فى ضوء ما قيل فى شرطه أنه اشترط فيه الصـــحة وأنه لا يدخل فيه الا حديثا صحيا •

قال ابن الصلاح والنووى وابن حجر والنص له : وهـــذا أصـــل موضوعه وهو مستفاد من تســميته اياه الجامــع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه ، وقد تقدم المراد بالمسند كما بين ابن حجر بأن موضوعه الاصلى تخريج الأحـــادث التى اتصل اسنادها ببعض الصحابة عن النبى صلى الله عليه وســلم ســواء أكان قولا أو فعلا أو تقريرا وأن ما وقع فى الكتاب مما يخالف ذلـــك انما وقع فيه تبعا عرضا لا أصلا ولا مقصــودا (كالمعلقات والموقوفات) ويقول ابن الصلاح ويرجع الى هذا الخصوص قول البخارى : ما أدخلت فى الجامع الا ما صح ، وكذلك يطلق قــول الحافظ أبى نصر الوايــلى

---

(1) الطبقات الكبرى لابن السبكى جـ ٢ ص ١٠ .

السجزى ، أجمع أهل العلم الفقهاء وغيرهم على أن رجلا لو حلف بالطلاق أن جميع ما فى كتاب البخارى مما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قد صح عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لاشك فيه أنه لايحنث والمرأة بحالها فى حبالته ، وكذلك ما ذكره أبو عبد الله الحميدى فى كتابه الجمع بين الصحيحين من قوله : لم نجد من الأئمة الماضين رضى الله عنهم أجمعين من أفصح فى جمع ما جمعه بالصحة . الا هذين الامامين (الشيخين) فانما المراد بكل ذلك مقاصد الكتاب وموضوعه ومتون الأبواب دون التراجم ونحوها وهذا بالنسبة الى شرط الاتصال بالصحة فالمقصود من موضوع الجامع انما هو الصحيح وليس معنى ذلك أن كله كذلك فقد ذكر تبعا واستئناسا المعلقات والموقوفات فلا يخرجه ذلك عن أصل موضوعه .

مكانة الموطأ من الجامع الصحيح

كتاب الموطأ للامام مالك أمام دار الهجرة ومهبط الوحى أبو عبد الله مالك بن أنس الاصبحى امام الحديث والفقه معا ولد بالمدينـــة حوالى سنة ٩٣ هـ وتوفى سنة ١٧٩ هـ استغرق فى تأليفه أربعين ســنة قيــل فى سبب تسميته بالموطأ لأنه تجنب فيــه شـــدائد ابن عمرو ورخص ابن عباس ووطأة للناس كما أشـــار عليه المنصـــور فســماه الموطـــأ وذكر السيوطى فى سبب تسميته مما روى عن مالك أنه قال عرضت كتابى هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأنى عليه فسميته الموطأ .

والامام مالك بتأليفه الموطأ أسس منهجا فى جمع الحديث وتأليفه وخطا بالتأليف خطوة فعالة منهجية لها أثرها فى كيان تصنيف الحـــديث فقد كان التدوين قبل مالك غير مبوب على أبواب العلم الجامعـــة ، كمـــا فعل محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ســـنة ١٢٤ هـ فى بدء التـــدوين الرسمى بأمر عمر بن عبد العزيز فجمع بغير تبويب على أبواب العلم ثم نهض التأليف فى الجيل الذى يلى الزهرى فكان أول من ألف الحـــديث ورتبه على الأبواب مالك بن أنس بالمدينة وابن جريج بمكـــة ومن جرى على نهجهم .

يقول ابن حجر والعراقى وكان هؤلاء فى عصر واحـــد فلا يـــدرى أيهم أسبق وذلك فى سنة بضع وأربعين ومائة ويقول صـــاحب مفتـــاح السنة وكل هؤلاء من أهل القرن الثانى وكان جمعهم للحـــديث مختلطا بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وأشهر الكتب المؤلفة فى المائة الثانيـــة وأسيرها ذكرا وأبعدها صيتا وأجلها قبولا الموطأ لمالك بن أنس أمام دار الهجرة .

ويقول ولى الله الدهلوى :

أن المدينه المنـــورة كانت فى عهـــد الامام مالك ومن قبله مرجـــع الفضلاء ومحط رجال العلماء ولهذا كان ينبغ عن عهد النبى صلى اللـــه عليه وسلم علماء الفتيا الذين كانوا قبة العالم فورثهم جميعـــا الامام مالك واطلع باعباء هذا الأمر الجليل فأخذ منهم العلم تداولا كمـــا يأخذ أحدنا من الاخر شيئا ملموسا لا مجال لشك فيه أخذا وعطـــاء ، وأدرج فى كتاب الموطأ ما حفظ عنهم وصار كتابه مرجعـــا لطـــوائف العلماء من المحدثين والفقهاء •

درجـــة الموطأ والصـــحيحين

ثم بين ولى الله الدهلوى مكانة الموطأ والصحيحين من كتب السنة فيضعه فى درجة واحدة مع صحيح البخارى ومسلم وهى الدرجة الأولى فى الصحة فى كتب الحديث وفى ذلك يقول ولى اللـــه المحـــدث الشهيد عبد الرحيم الدهلوى (١) وطنا العمرى نسبا وكتب الحديث على طبقات وهى باعتبار الصحة والشهرة على أربع طبقـــات •• فالطبقـــة الأولى منحصرة فى ثلاثة كتب الموطأ وصحيح البخارى وصحيح مسلم وقـــال الشافعى أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ مالك واتفق اهـــل الحـــديث على أن جميع ما فيه صـــحيح على رأى مالك ومن وافقـــه أما على رأى غيره فليس فيه مرسل ولا منقطع الا وقـــد اتصل الســـند به من طرق أخرى ، فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه وقد صنف فى زمـــان مالك موطآت كثيرة فى تخريج أحاديثه ووصل منقطعه مثل كتاب ابن أبى ذئب وابن عيينه والثورى ومعمر وغيرهم ممن شارك مالكا فى الشيوخ وقـــد رواه عن مالك بغير واسطة أكثر من ألف رجل وقد ضرب النـــاس فيـــه أكباد الابل الى مالك من أقاصى البلاد وتحقق قول النبى صلى الله عليـــه وسلم فى حديثه (يوشك أن يضرب الناس أكبـــاد الابل فيطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة على ما قاله ابن عيينه وعبد الرازق وناهيك بهما) •

(١) حجة الله البالغة ج ١ ص ١٣٢ لولى الله الدهلوى باب طبقة كتب الحديث مراجعـة بعض فضلاء الهند المطبعة المنيرية بالقاهرة .

أثر الموطأ فى صحيح البخارى

وباقى كتب أئمة الحديث

يقول الدهلوى أن الكتب المصنفة فى السنن كصحيح مسلم وسنن أبى داود وما يتعلق بالفقه من صحيح البخارى وجامع الترمذى مستخرجات على الموطأ تحوم حومه وتروم رومه مطمع نظرهم فيها وصل ما أرسله ورفع ما أوقفه واستدرك ما فاته وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده وأحاطه جوانب الكلام بذكر ما روى خلافه ، ويعلق الشيخ محمد الشنقيطى على هذا القول بقوله : وهو كلام فى غاية الانصاف فلله در من لقبه بولى الله ولم أقل هذا تعصبا لكتاب مالك ولله الحمد بل لاطلاعى على الحقيقة وتتبعى لروايته والوقوف على أعيان حديثه بأسانيدها فى الكتب الستة وغيرها فى كتب الاحاديث الموجودة بأيدى الناس وممن هو ضرورى عند المحدثين أن مشايخ أصحاب الكتب الستة ومن عاصرهم كالامام أحمد فى مسنده أغلبهم تلامذة الامام مالك الذين رووا عنه الموطأ بروايات عديدة قل أن تخلو واحدة عن زيادة تنفرد بها ولم يتركوا شيئا من أحاديث الموطأ بل أخرجوها فى مصنفاتهم ووصلوا كثيرا من مرسلاته ومنقطعاته وموقوفاته وبذلك يتضح ما نقله ولى الله (1) هـ .

وبالنظر الى كلام الدهلوى يجد الباحث أن الدهلوى منصف لغاية أنصف حماة الاسلام فأعطى الموطأ مكانته العالية السامقة وأعطى الصحيحين مكانتهما العالية السامقة وجعلهما فى طبقة واحدة من الصحة وبالتدقيق فى كلامه فى أثر كتاب مالك أيضا بالنسبة للصحيحين وغيرهما

---

(1) دليل السالك الى موطأ الامام مالك مقدمة موطأ مالك للزرقانى .

كان منصفا ومدققا ومتحريا فى قوله فكما بين الاستفادة من موطأ مالك ، بين العمل الجاد للمستفيد من الموطأ بما يثبت المقدرة العالية والشخصية القوية لمن أخذ من أصحاب الكتب شيئا من موطأ مالك عامة وما أخذه البخارى خاصة مما يتعلق بأبواب الفقه حيث بين أن عملهم فى هذا الجزء المأخوذ هو وصل ما ارسله ورفع ما أوقفه واستدراك ما فاته وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده وأحاطه جوانب الكلام بذكر ما روى خلافه ، فمن يستطيع أن يصل المرسل ويرفع الموقوف ويستدرك على ما فات ويذكر المتابعات والشواهد ويحيط بجوانب الكلام غير الملم بالسنة ورجالها وفنونها المختلفة فأعمالهم متممة لأعمال الامام مالك ، ويرى ابن الصلاح وابن حجر العراقى .

(أ) تقديم صحيح البخارى ومسلم على موطأ مالك .

(ب) ورتبوا على ذلك أن صحيح البخارى أول من صنف فى الصحيح قال ابن الصلاح (١) أول من صنف فى الصحيح أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى مولاهم وتلاه مسلم بن الحجاج النيسابورى القشيرى من أنفسهم ومسلم مع أنه أخذ عن البخارى واستفاد منه يشاركه فى أكثر شيوخه وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز . وأما ما رويناه عن الشافعى رضى الله عنه من أنه قال ما أعلم فى الأرض كتابا فى العلم أكثر صوابا من موطأ مالك وروى بلفظ أصح كما فى مقدمة الفتح فانما قال ذلك قبل وجود كتابى البخارى ومسلم ، ثم ان كتاب البخارى أصح الكتابين صحيحا وأكثرهما فوائد .. ووافق ابن حجر ابن الصلاح ونقل هذا النص فى مقدمة الفتح .

وأورد اعتراض بعض الأئمة اطلاق أصحية كتاب البخارى على مالك ورد عليه قال فى المقدمة قال وقد استشكل بعض الأئمة

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (علوم الحديث وشرحه التقييد والايضاح فى النكت على مقدمة ابن الصلاح للعراقى) .

أطلاق أضحية كتاب البخارى على كتاب مالك مع اشتراكهما فى اشتراط الصحة والمبالغة فى التحرى والتثبت وكون البخارى أكثر حديثا لا يلزم منه أفضلية الصحة قال والجواب عن ذلك أن ذلك محمول على أصل اشتراك الصحة فما لك لا يرى الانقطاع فى الاسناد قادحا لذلك يخرج المراسيل والمنقطعات والبلاغات فى أصل موضوع كتابه والبخارى يرى الانقطاع عليه فلا يخرج ما هذا سبيله الا فى غير أصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شك أن المنقطع وان كان عند قوم من قبيل ما يحتج به فالمتصل أقوى منه اذا اشترك كل من رواتهما فى العدالة والحفظ ، فبان بذلك شفوف كتاب البخارى ، وعلم أن الشافعى انما أطلق على الموطأ أفضلية الصحة بالنسبة الى الجوامع الموجودة فى زمنه كجامع سفيان والثورى ومصنف حماد بن مسلمة وغير ذلك وهو تفضيل مسلم لا نزاع فيه أه .

ويلاحظ أن كلام ابن حجر هذا انما يفيد فى دعوى شدة البخارى فى الصحة على الموطأ ولكن لا يفيد أن الموطأ غير صحيح حتى يكون أول من صنف فى الصحيح الامام البخارى كما نقله عن ابن الصلاح ، وقال مغلطاى انما مثل ذلك موجود فى كتاب البخارى وقال شيخ الاسلام ابن حجر أيضا على ما فى التدريب كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما لا على الشرط الذى تقدم التعريف به ، قال والفرق بين ما فيه من المنقطع وبين ما فى البخارى أن الذى فى الموطأ مسموع لمالك غالبا وهو حجة عنده والذى فى البخارى قد حذف اسناده عمدا لقصد التخفيف ان كان ذكره فى موضع آخر موصولا أو لقصد التنويع ان كان على غير شرط ليخرجه عن موضوع كتابه وانما يذكر ما يذكر من ذلك تنبيها واستشهادا وتفسيرا لبعض الآيات وغير ذلك قال السيوطى فظهر بهذا أن الذى فى البخارى لا يخرجه عن كونه جرد منه الصحيح بخلاف الموطأ وقد سجل الشيخ الشنقيطى دفاعا وجيها للسيوطى[1]

---

(1) منهج الحديث قسم المصطلح للاستاذ فضيلة الشيخ السماحى ص ٣٢ .

بتعليق على ما قال ابن حجر وكما ذكر فى مقدمة شرح الاسيوطى للموطأ قال الاسيوطى ان مافى الموطأ من المراسيل مع كونها حجة عنده بلا شرط وعند من وافقه من الأئمة على الاحتجاج بالمرسل فهى أيضا حجة عندنا لأن المرسل عندنا حجة اذا اعتضد ، وما من مرسل فى الموطأ الا وله عاضد أو عواضد . فالصواب اطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه وقد علق الشيخ عبد الغنى على كلام السيوطى بأن البخارى جرد فى كتابه ما جمع على أنه صحيح بذاته غير مفتقر الى تقوية غيره أ.هـ وأنت ترى أن هذا انما يفيد فى دعوى أصحية كتاب البخارى على كتاب مالك ولا يفيد عدم اصحية كتاب مالك حتى يكون كتاب البخارى هو أول صحيح ألف ونحى الحافظ العراقى منهج ابن حجر وقال بأن مالكا لم يفرد الصحيح وقال ان من بلاغاته أحاديث لا تعرف كما ذكره ابن عبد البر فلم يفرد الصحيح اذن ، وأجاب الجلال السيوطى بأنه ما من مرسل فى الموطأ الا وله عاضد أو عواضد وقد صنف ابن عبد البر كتابا فى وصل مافى الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل قال وما فيه من قوله بلغنى ومن قوله عن الثقة عنده مما لم يكن يسنده واحد وستون حديثا كلها مسندة من طريق مالك الا أربعة لا تعرف .

وقد نقل الشيخ محمد حبيب الشنقيطى فى كتابه دليل السالك الى موطأ مالك أن ابن الصلاح وصل هذه الاربعة قال :

وقد رأيت بعض متقنى السنن	من حاز فى كل العلوم خير فن
عزا الى نجل الصلاح أن وصل	أربعة الأخبار فالكل اتصل

وبين بأن المراد من بعض متقنى السنن الى آخره هو الشيخ الفلانى شهره العمرى نسبه المدنى مهاجرا فى حواشيه على شرح زكريا الأنصارى على ألفية العراقى قال ما نص المراد فيه وما ذكر العراقى من أن من بلاغاته ما لا يعرف مردود وبأن ابن عبد البر ذكر أن جميع بلاغاته ومراسيله منقطعة الا أربعة أحاديث وقد وصل ابن الصلاح الأربعة فى تأليف مستقل وهو عندى وعليه خطه فظهر بهذا أنه لا فرق

بين الموطأ والبخارى وصح أن مالكا أول من صنف فى الصحيح كما ذكره ابن عبد البر وابن العربى القاضى والسيوطى ومغلطاى وابن ليون وغيرهم فافهم انتهى بلفظه منقولا بخط صاحب الحواشى الشيخ صالح الفلانى المحدث المذكور كما ذكر الشنقيطى بأن ابن حجر رجع عن قوله وقرر بأن أول من ألف الصحيح هو الامام مالك وذلك فى كتابه النكت قال الشنقيطى :

أول من ألف فى الصحيح مالك الامام فى الصحيح
كما له ابن حجر قد رجعا فى نكت كان لها قد جمعا

ورأى الشنقيطى أن ما فى الموطأ من الموصول تضمنه الصحيحان الا ندورا قال :

وكل ما اسناده فيه اتصل كيف رواه عنه من عنه نقل
أخرجه الشيخان وفقا أو أحد زين فكل واحد قد انفرد
بل أخرجوا المرسلات وما أشبهها مع اتصال سلما

وبذلك تبين صحة الموطأ وانه أول صحيح ألف وهذه دعوى مستقلة ، لا تتنافى مع أن صحيح البخارى أصح ،ولا يعارض ذلك ما قاله الشنقيطى فى دعوى أخرى وهى أن الموطأ أقدم وأصل للصحيحين أى فى مجموعة ، ولا تتنافى هذه الدعاوى مع ما ذكره الدهلوى من أن الطبقة الأولى فى الصحة هى كتاب موطأ مالك وصحيح البخارى وصحيح مسلم ويبدو لى أنه ليس أمر مشكلة الأولية فيما ألف فى الصحيح أهو الموطأ أو الجامع الصحيح للبخارى بالأمر الخطير الذى نستبيح من أجله أن ننحى سمة الصحة عن موطأ مالك لكى نثبت للبخارى أولية التأليف للصحيح فليس بالأمر الهين أن نغض من قيمة بناء شامخ له أثره فى حياة السنة وفى حياة الاسلام عامة ، وأن التفاضل والمقارنة بين هذين الكتابين الجليلين انما يجب أن تقتصر على أيهما أصح ، ولا تتعدى الى أيهما صحيح وأيهما غير صحيح ، وفى ضوء تفسير ابن حجر لمعنى الجامع فى تسمته[1] كتاب البخارى بأنه لم يختص بصنف دون صنف ،

(١) النكت لابن حجر مخطوط بالازهر .

ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار المحضة عن الأمور الماضية والأمور الآتية وغير ذلك من الآداب والرقائق .. نستطيع أن نقول بأن البخارى أول من ألف الجامع الصحيح وان مالكا أول من ألف الصحيح والحق أن صحيح البخارى جامع بالمعنى العام لأحاديث الفقه وغيرها من الأغراض بخلاف الموطأ فانه لا يتوفر فيه هــذا المعنى فان معظمــه وغالبيته فى الأحاديث التى تدور على أحــكام الفقــه وعلى ذلك يمكن أن يقال بحق أول من ألف فى الصحيح الامام مالك وأول من الف الجامع الصحيح الامام البخارى ويمكن أن يقال أن الموطأ أو صحيح فى القرن الثانى وصحيح البخارى أول صحيح فى القرن الثالث . ورأى الامــام النووى فى غاية الدقة حينما زاد على ابن الصلاح كلمة المجرد فى صحيح البخارى ملاحظا معنى الصحة فى كتابى الامام مالك والامام أحمد وهو بهذه الزيادة يعتبر قد حل الاشكال قال أول من صنف الصــحيح المجرد البخــارى (١) ثم مســلم وهما الكتب بعد القرآن وبين السيوطى (٢) فى تنبيهاته فى التدريب بأن قول النووى (المجرد زيادة على ابن الصلاح احترز بها عما اعترض عليه من أن مالكا أول من صنف الصــحيح وتلاه أحمد بن حنبل وتلاه مسند الدارمى وقال الدهلوى فى كتاب حجــة الله البالغة أن مسند الدرامى انما صنف لاسناد أحاديث الموطأ وفيه الكفاية لمن اكتفى وهذا هو الرأى الواضح الذى يحفظ على السنة كيانها ويعتمد عليه النووى .

رواية البخــارى للموطأ

وقد روى البخارى موطأ مالك عن بعض رواة الموطــأ فأخــذ عن عبد الله بن يوسف الدمشقى الأصل التنيسى المســكن (٣) وهــو ثقــة وثقة البخارى وأبو حاتم وأكثر عنه البخارى فى صحيحه وغيره من كتبه

(١) التدريب ص ٣٩ والتهذيب ٧٢/١ .
(٢) التدريب ٤١ .
(٣) نسبة الى تنيس بلدة بجزيرة بحر الروم قرب دمياط « القاموس » .

وأخذ عن سعيد بن عفير وهو سعيد بن كثير بن عقيد بن مسلم الانصارى أخذ عن مالك والليث روى عنه البخارى وغيره وهو من أحد المحدثين الثقات توفى فى رمضان سنة ٢٢٦ هـ ويقال بأن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه وعن ابن بكير اشتهر لجده وهو يحيى بن بكير أبو زكريا الموصوف بأخبار شوارد العلوم وجمع شتاتها المصرى أخذ عن مالك والليث وروى عنه البخارى ومسلم بواسطة فى صحيحهما وعن أبى مصعب الزهرى اشتهر بكنيته واسمه أحمد بن أبى بكر القاسم ابن الحارث بن زراره بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى الصوفى قاضى المدينة وأحد شيوخ أهلها لازم مالكا وتفقه عليه وروى عنه موطأه أخرج عنه أصحاب الكتب الستة وقد قالوا أن موطأه آخر الموطآت التى عرضت على مالك ويوجد فى موطئه زيادة مائة حديث على سائر الموطآت الأخرى وقال بعض الفضلاء اختار أحمد بن حنبل رواية عبد الرحمن بن مهدى والبخارى رواية عبد الله بن يوسف التنيسى ومسلم رواية عبد الله بن يحيى التميمى الحنظلى النيسابورى أبو زكريا ، وأبو داود رواية القعنبى والنسائى رواية قتيبة بن سعيد وقال الزرقانى وهذا كله أغلبى والا فقد روى كل ممن ذكر عن غير من عينه وقد عقب على ذلك المحدث الفاضل محمد حبيب الشنقيطى وكان مسرفا ومغاليا فى تعقيبه حيث قال ومن هنا نعلم بالضرورة أن أصحاب كتب الحديث عالة على مالك وأصحابه وهو شيخ الجميع لأن مدار الحديث اليوم على الكتب الستة ومسند أحمد وقد رأيت تعويل الجميع على روايات الموطأ والسماع من أصحابه أ • هـ •

وكونهم عالة عليه دعوى فيها اسراف وغمط للمجهودات الجبارة التى قام بها حماة الاسلام ، والحق أنهم تأثروا به وانتفعوا من منهجه ومادته ولكنهم ابتكروا فى المنهج وفى جمع المادة فملأوا رياضهم من كل غرس طيب يانع عنده أو عند غيره •

وقد قال صاحب شرح تراجم أبواب صحيح البخارى ولى الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى مقدمة كتاب تراجم البخارى كان

أول ما صنف أهل الحديث فى علم الحديث جعلوه مدونا فى أربعـــة فنون من السنة أعنى الذى قالوا له الفقـــه مثـــل موطأ وجامع سفيان ومن التفسير مثل كتاب ابن جريج ومن السير مثل كتاب محمد ابن اســـحاق ومن الزهد والرقاق مثل كتاب ابن المبارك فأراد البخارى رحمه الله أن يجمع الفنون الأربعة فى كتابه ويجرده لما حكم به العلماء بالصحة قبل البخارى وفى زمانه ويجرده للحديث المرفوع المسند وما فيه من الآثار وغيرهما انما جاء فيه تبعا لا أصالة أ هـ فالحق أن الامام مالك له فضـــل السبق وقد دفع بمنهجه التصنيف دفعه قوية وطوره فوفر على الباحثين عناء البحث فى مظان الحديث حينما ابتكر منهجه فى التأليف على طريقة جمع الأبواب وكتابه حسبه ان مدحه ناصر الســـنة الامـــام الشـــافعى

ومما امتاز به لسبقه فى الزمن علو الاسناد فأعلى أســـانيده ثنائية وأعلى أسانيد البخارى ثلاثية ومما لا شك فيـــه أن البخـــارى ســـار على نهجه فى طريقة الجمع والتأليف على الأبواب وأخـــذ من مـــادته فى بعض أحاديث أبوابه الفقهية ولكنه ابتكر وجرد الصحيح فكان صاحب منهج له أثره فى حياة السنة فالبخارى له شخصيته الباهرة وقوته ومزاياه والعبقرى النابه يحافظ على ما ورثه من تراث قيم ويكون لمورثه الفضل فى ذلك ويتصرف فى هذا التراث وينميه ويبنى هو بمجهوده وشـــخصيته القوية صروحا خالدة تتميز بمميزات كل الجد جديدة ٠

نبنـــى كمـــا كانت أوائلنـــا نبنى ونفعـــل مثلمـــا فعلـــوا

وهذا هو ما كان من الامام البخارى وان شئت التحـــديد فكتـــاب مالك كما يقول الدهلوى انتفع به البخارى بما يتعلـــق ببعض أحـــاديث أحكام الفقه خاصة من حيث المادة كما انتفع بغيره من الرواة الثقـــات واذا وجدت مادة الحديث فى غير أبوا بالفقه فانما هى أحاديث لا تعدو أن تعد على أصابع اليد الواحدة ٠

وباطلاعى ومراجعتى(١)للموطأ شرح الزرقانى وجدت الامام مالكا

(١) شرح الزرقانى على الموطأ المطبوع بالمطبعة الكستلية بمصر سنة ١٢٨٠ هـ ومقدمـــة الموطأ تعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ٠ ط عيسى الحلبى ٠

المحدث العظيم المنصرف الى العناية بما يتعلق بأحديث أحكام الفقه .

أما البخارى فقد فاقه وكانت مهمة الموطأ جزءا من مهمة البخارى فهو الجامع من غير منازع الى كل أصناف الحديث كما يبدو من النظر فى صحيحه فقد اعتنى بأبواب أحاديث الفقه كما اعتنى بالمغازى والسير والعقيدة والأدب . الخ .. كما قرر الدهلوى فى كلامه السابق والاسماعيلى فى المدخل وغيرهما من الأئمة .

هذا مع أنه لم يقل أحد بأن أحاديث أبواب الفقه فى البخارى مقصورة على ماقى الموطأ ولم يتحقق ذلك كاملا حتى فى باب واحد من أبواب البخارى فالبخارى له قوته وبراعته وشخصيته فى أبواب الفقه وغيرها فليس بعالة على غيره ثم هو حتى فيما أخذه من بعض أحاديث الامام مالك له مجهوده وتصرفه برفع الموقوف ويستدرك على ما فات ويذكر المعلقات والشواهد كما أنه يحيط بجوانب الكلام بذكر ماروى خلافه فأى همة بعد ذلك ؟ .

واذا كنت قد جرنى الحديث الى القول بأن الموطأ اهتم بالعناية بأحاديث أحكام الفقه ومافيه غير ذلك فهو قليل للغاية ، وان جامع البخارى يمتاز بالاستيعاب فالواجب هنا الايضاح حتى لا تختلط هذه الدعوى البريئة وتلتبس بما ادعى على الامام مالك من غير حق بأنه فقيه وليس بمحدث فهذه دعوى مجانبة للصواب وانما أقول ان امامته فى الفقه انما هى نتيجة لأنه بنى فقهه على أساس متين من الحديث وهو امام الحديث والفقه معا وقد رد الدكتور السباعى أبلغ رد على من قال بان الامام مالكا فقيه وليس بمحدث من المستشرقين وأتباعهم فى قولهم أن الموطأ كتاب فقه لا كتاب حديث (١) .

رأى فؤاد سيزكين

ولقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الغنى فى مقدمة البخارى (٢) ان بعض باحثى المسلمين فى مؤلف خاص باللغة التركية ادعى بأن البخارى أغار

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٤٩١ للدكتور السباعى .

(٢) مقدمة البخارى ص ١٢٠ للشيخ عبد الغنى .

على بعض الكتب التى سبقته تاليفا وما اليه فنقل سائر ما تضمنته وحدب ذلك ووعد بالرد عليه ان شاء الله • أ • هـ •

ولقد علمت من السيد / مدير المخطوطات بدار الكتب المصرية الأستاذ فؤاد السيد بأن هذا الباحث اسمه فؤاد سيزكين وهو الآن أستاذ الأديان فى جامعات المانيا ومثل هذا يطمئن اليه الغرب ، ويحتضنه ليشكك الناس فى مجهود حماة الاسلام ويهون من شأنهم وفى ذلك خطورة وخبث فالتقليل من قيمة صاحب المؤلف ينعكس على مؤلفه ويقلل من شأن كتابه حتى يصرف الناس عنه •

وكأن استاذ الأديان هذا لم يعرف شيئا عن تاريخ رحلات البخارى ولم يتعرف على صحيحه والا فدعواه تنهار تماما بالنظرة الأولى لصحيح البخارى أو لفهارسة الجامعة وعند التطلع لقسمات تراجمه وأبوابه وترتيبها وما فيها من دقة لم يسبق اليها تصور دقة العالم الجامع فهو فى مظهر كتابه والتصرف فيه واستنباطه فى تراجمه وتبويبه مبتكر لا شك فى هذا ، وفى مادته مطوف على كل روض لم يقتصر على كتاب ولا عشرات من الرواة والكتب حتى يكون عالة على واحد منهم ولكن الأمر الذى لا شك فيه أنه لم يبتدع حديثا من عنده • وهل يعاب على ذلك ؟ وكأنى بصاحب هذه الدعوى وقد نسى مهمة البخارى وغيره من المحدثين بأنها الجمع من الثقات والدقة فى التأليف والتحرى فى الصحيح والتبويب والاستنباط وحسن العرض •

وظن أن على المحدث أن يبتكر أحاديث جديدة من عند نفسه لم يسبق اليها فى العصور التى بينه وبين النبى عليه الصلاة والسلام أو أن عليه ألا ينظر أو يقدر من سبقه فلا يتعرض الى حديث مسطر فى كتب بل يتعنت ضد كل مؤلف ؟ وهذا مالا يليق ، فالبخارى فى الواقع طالب صحيح السنة يبحث عنها فى كل مكان حاملا معه المقاييس الصحيحة الدقيقة راحلا الى أئمة السنة قاطعا الفيافى والقفار مسجلا لرجال الحديث وأحوالهم وحسبه فى ذلك التاريخ الكبير وغيره من كتب الرجال التى

ألفها قبل تأليف الصحيح واذا كان لابد من تصحيح لتعبير فؤاد سيزكين الضيق فانا نقول بأنه بغير على كل ثقـــة ويطوف على كل بســـتان نضر يمتص منه أسمى رحيقه الصافى ولكنه عالمى لايختص بروض بعينـــه ولا تتحمله عشرات الرياض حتى يجمع مادته ومن هنا فقد روى عن آلاف الثقات حتى جمع الجامع الصحيح ، الجامع لكل أصناف الحديث وذلك ممـــا يدل عـــلى مكانته ومجهوده الجبار الذى يضفى عليه وعـــلى كتابه كل تقدير وثقة وبهذا العموم فى الرجال أيضا تميز على كتـــاب الموطأ ورجاله وكان هذا مميزا ثانيا فكما كان الجامع لكل صنف من الحـــديث كان الجامع لكل صنف من الرجال من كل قطر لأى بلد وجـــــد فيـــه المحدثون قال ابن خلدون فى مقدمة تاريخه فى علوم الحديث وجاء محمد ابن اسماعيل البخارى امام المحدثين فى عصره وخرج أحاديث السنة على أبوابها فى مسنده الصحيح بجميع الطرق التى للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه أ هـ •

كما روى عن أهل الرى وواسط وخراسان ومرو وبلخ وهـــــراة ونيسابور وبخارى وغيرها ، أما الامام مالك فلم يرحل عن المدينة التى هى منبع الحديث ومهبط الوحى ولذا نجد معظم رواته عن الحجـــازيين وكان البخارى فريدا فى تراجمه وتقطيعه الحديث وتكراره ثم تجريده الصحيح فكان المميز عن غيره ولكل فضله وسماته التى تجعله فريدا فى تأليفه واماما فى عصره •

ولقد كان الامام البخارى يقدر رواية الامام مالك رحمه الله فاذا وجد حديثا متصلا مرفوعا برواية مالك لا يعدل عنه الى غيره الا اذا لم يكن على شرطه فيورد له شواهد ومن المعلوم عند البخارى والمحـــدثين أن السلسلة الذهبية مالك عن نافع عن ابن عمر ولمـــا كان أجل من روى عن مالك الشافعى قالوا الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر •

الموطأ من كتب الأصـــول فى السنة

الموطأ للامام مالك مما لا شك أنه من الكتب الصحيحة ومن أصول السنة • فقد عد رزين بن معاوية فى جامع الصحاح الأصول ستة الموطأ

وكتب الأئمة الخمسة . وتابعه ابن الأثير فى جامع الأصول ومن ترك الموطأ ولم يعده من كتب الأئمة فكما يقول الكوثرى فى تعليقاته على كتاب الأئمة الخمسة للحازمى (1) ومن لم يجعل من بينها الموطأ فانما ذلك لاندماج أحاديثه فيها الا ما قل أ هـ .

وقال الدكتور السباعى (2) وأما عدم عد الموطأ من الكتب الستة فلأنه آكثر فيه من المراسيل وهو وان كان يرى العمل بها لكن غيره من المحدثين لا يرون ذلك فهذا هو الذى منع عده فى الكتب الستة أ هـ .

وأقول لعل من عد كتب الأئمة ولم يعد فيها الموطأ فانما يعد كتب الأئمة بالنسبة للعصر الثالث لاجتماعهم فيه ، كما أنه يمكن أن يقال ربما كانت شهرة الامام مالك وامامته فى الفقه وكذلك ابن حنبل أغنتهما فى نظر بعض العادين عن عدهما فى أئمة الحديث رغم امامتهما وبراعتهما فيه .

لكل موقوف أو مقطوع فى الموطأ وصحيح البخارى أصل من الكتاب والسنة :

ويزيدنا ثقة بما لم يوصل فى كتابى الامامين الجليلين مالك والبخارى أن نعلم فضلا عن جلالتهما وامامتهما فى الحديث أنه لا يوجد فى الموطأ موقوف صحابى أو أثر تابعى الا وله عاضد من الكتاب والسنة (3) كما لا يوجد فى صحيح البخارى حديث عن الصحابة أو التابعين الاوله أصل من كتاب الله أو سنة رسول الله الصحيحة كما صرح البخارى بذلك .

عن أبى محمد (4) بن أبى حاتم الوراق قال سمعت سليم بن مجاهد يقول كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال لى لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعة آلاف حديث قال فخرجت فى طلبه حتى لقيته فقلت أنت الذى تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث قال نعم وأكثر ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت أكثر مولدهم ووفاتهم ومساكنهم .

---

(1) الائمة الخمسة للحازمى ص 6 .
(2) السنة ومكانتها ص 493 .
(3) موطأ مالك شرح الزرقانى تعليق محب الدين الخطيب .
(4) تاريخ بغداد جـ 2 ص 24 .

ولست أروى حديثا من أحاديث الصحابة والتابعين الا ولى فى ذلك آصل أحفظه حفظا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم •

أثر صحيح البخارى فى ازهار السـنة فى القرن الثالث وما بعـده

لقد تسلم الامام البخارى لواء الحديث فى مطلع القـرن الثالث الهجرى وسلك به منهجا قويا أوصله درجة بالغة فى الصحة والكمال فقـد كان كتابه الخالد الجامع الصحيح له فضل السبق فى هذا القرن الـذى اذدهر بأئمة السنة فالامام مسلم والامام أبو عيسى الترمذى والامـام النسائى والامام أبو داود السجستانى وكتب هؤلاء الأئمة التى أصبحت المرجع فى الأحاديث انما ظهرت بعد الجامع الصحيح وقد كان له أثر عظيم فى توجيه مؤلفى هذه الكتب واجادة مصنفيها •

وكان البخارى موضع تقديرهم وامام قافلتهم وأستاذهم جميعـا الذى تأثروا به وشهدوا له •

وليس معنى التأثر أن يكون التلميذ نسخة من الأستاذ مقلدا له فى كل شىء وظيفته المحاكاة فقط والا لو كان الامر كذلك للحق العيب الاستاذ والتلميذ معا ولما كان منهج الاستاذ ناجحا ولا كان تفكير التلميذ مرنا •

بل قد يتأثر التلميذ النابه بالأستاذ النابه ويظهر فيه ذلك فى لـون من ألوان تصرفه وان كان مع ذلك يتسم بخصائص منفردة تحفظ لـه ذاتيته ومجهوده وقد تقرب أو تبعد عما تأثر به ترتفع أو تنخفض كذلك عن منهجه بعض الخطوات ولا يتسع المقام أن أبين خصائص كتب هؤلاء الأئمة فى السنة • كلهم أو أقارنهم بصحيح البخارى ، امامهم فى منهجه وباعث نهضتهم — خاصة وأنه لم يضع محدث ما أى كتاب من كتب هؤلاء الأئمة فى كفة محاولا وضعه فى جوار كفة البخارى أو قريبا منه اللهم الا تلميذه الأول الذى لحق بشيخه أو قاربه وارتقى لما يقرب من

مرتبته وأصبح كتابه قرين كتاب البخارى وأطلق عليهما معا الصحيحان وعند الاطلاق يعلم أنهما صحيح البخارى وصحيح مسلم — ووضع فى درجة هى الدرجة الأولى من كتب الحديث واقترن ذكر مسلم بالبخارى وقيل لهما فى عرف المحدثين الشيخان •

لذا سأكتفى بالحديث عنه مبينا تأثره بصحيح البخارى وخصائصه وفيما عداه سأكتفى بنصوص الأئمة التى تبين أثر صحيح البخارى فى كتب الأئمة وتقدير الأئمة له •

شهد للبخارى تلميذه الأول الامام مسلم ووصفه بأبلغ وصف فأطلق عليه أنه سيد المحدثين وطبيب الحديث فى علله (١) ويقول أبو عيسى الترمذى (٢) الامام الجليل فى فضل الامام وعلمه : لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد أعلم من محمد ابن اسماعيل ويذكر الامام النووى أن من رواة البخارى الأعلام الامام مسلما بن الحاج وأبا عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذى وأبا عبد الرحمن النسائى وأبا حاتم وأبا زرعة الرازيين وكل هؤلاء أئمة الأعلام (٣) •

وقال الاسماعيل عن الامام البخارى فى المدخل أنه حاز السبق وبلغ الغاية (٣) وجمع الى ذلك حسن النية والقصد الى الخير ونفعه الله ونفع به وقد نحا نحوه فى التصنيف جماعة منهم الحسن بن على الحلوانى لكنه اقتصر عن السنن ومنهم أبو داود السجستانى وكان فى عصر أبى عبد الله البخارى فسلك فيما سماه سننا ذكر ما روى فى الشىء وان كان فى المسند ضعف اذا لم يجد فى الباب غيره ومنهم مسلم بن الحجاج فكان يقاربه فى العصر فرام وكان يأخذ عنه أو عن كتبه الا أنه لم يضايق نفسه مضايقة أبى عبد الله وروى عن جماعة كثيرة لم يتعرض أبو عبد الله

---

(١) مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٧ •

(٢) أبو عيسى الترمذى الف فيه رسالة الدكتوراه الاستاذ نور العتر الدمشقى •

(٣) التهذيب للنووى ج ١ ص ٧٤ •

للرواية عنهم وكل قصد الخير غير أن أحدا منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبى عبد الله ولا تسبب الى استنباط المعانى واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ما له صلة بالحديث المروى فيه تسببه ولله الفضل يختص من يشاء وفى تقرير هذا المعنى يقول الحاكم أبو أحمد النيسابورى رحم الله محمد بن اسماعيل فانه ألف الأصول يعنى « أصول الأحكام من الأحاديث » وبين للناس وكل من عمل بعده فانما أخذه من كتابه كمسلم بن الحجاج •

أثر منهج البخارى فى صحيح مسلم

من أشرف ما يتسم به الجامعان الصحيحان للبخارى ومسلم ويتفقان فيه باتفاق العلماء • وحسبهما فى ذلك شرفا وفضلا وصلة وثيقة أنهما أصح الكتب بعد القرآن العزيز وان الأمة تلقتهما بالقبول وما أروعها وأثبتها من مكانة رفيعة لا يمكن بأى حال أن تغير بما يقال بعد ذلك من تفصيل يراد به ابراز خصائص كل منهما ومزاياه وتأثر اللاحق منهما بالسابق فيما اتفقا فيه ويترتب على ذلك •

أولا — اثبات ذاتية مجهود الامامين فى كتابيهما وصلتهما ببعضهما •

ثانيا — أيهما أرجح وأفضل •

الجامع الصحيح للامام مسلم

مؤلفه أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى نسبا النيسابورى وطنا أمام الحديث وتلميذ البخارى وخريجه وصاحبه •

ولد مسلم بنيسابور سنة ست ومائتين وكان منهجه فى تحصيل العلم نهج البخارى واسع الرحلات جواب الافاق طلبا للحديث وعاش حياة علمية حية بالتلقى والرحلة والتدريس والتأليف الى ان أدركته الوفاة سنة أحدى وستين ومائتين بنيسابور ولم يتجاوز خمسة وخمسين عاما •

موضوع الجامع الصحيح للامام مسلم

وموضوع الجامع الصحيح للامام المسلم هو الحديث الصحيح المجرد المسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نهج فى تأليفه نهج البخارى فى طريقة صحيحه فى جمع الحديث الصحيح المجرد وتأليفه على أبواب العلم من فقه وخلافه متأثرا بطريقته غير أنه اقتصر فيه على سرد المسند من غير أن يذكر الموقوفات الا نادرا ومن غير أن يذكر فيه تراجم الأبواب وقد قام بالتبويب والترجمة شراح كتابه وكان أعظم من أجاد فى ذلك الامام محيى الدين أو زكريا يحيى النووى .

قال النووى (١) ان مسلم رحمه الله تعالى رتب كتابه على أبواب فهو مبوب فى الحقيقة ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك ثم قال النووى وقد ترجم جماعة أبوابه بتراجم بعضها جيد وبعضها ليس بجيد اما لقصور فى عبارة الترجمة أو ركاكة لفظها واما لغير ذلك وان شاء الله أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها فى مواطنها أ . هـ .

وقد جمع مسلم فى كتابه أربعة آلاف من الأحاديث الصحاح غير المكرر وقال العراقى هو بالمكرر يزيد على كتاب البخارى لكثرة طرقه وقد قال أبو الفضل أحمد بن مسلمة أنه يزيد عن اثنا عشر ألف حديث أ . هـ .

خصائص صحيح مسلم

١ — ليس فيه بعد الخطبة الا الحديث السرد ولم يتصد لما تصدى له البخارى من استنباط الأحكام وتقطيع الأحاديث وترجمة الأبواب وقد عقد النووى فصلا فى خصائصه قال : فمن تحرى مسلم رحمه الله اعتناؤه بالتمييز بين حدثنا وأخبرنا . وتقيده ذلك على مشايخه وفى روايته وكان من مذهبه رحمه الله الفرق بينهما وان حدثنا لا يجوز اطلاقه الا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة وأخبرنا لما قرىء على الشيخ

---

(١) مقدمة صحيح مسلم شرح النووى ص ٢١ .

وهذا الفرق هو مذهب الشافعى وأصحابه وجمهور أهل العلم بالمشرق وقال محمد بن الحسن الجوهرى المصرى وهـو مذهب أكثر أصـحاب الحديث الذين لا يحصيهم أحد وروى هـذا المذهب أيضا عن ابن جريج والأوزاعى وابن وهب والنسائى وصار هو الشائع الغالب على الحديث وذهب جماعات الى انه يجوز ان تقول فيما قرىء على الشـيخ حدثنـا وأخبرنا وهـو مذهب الزهـرى ومالك وسفيان ويحيى بن سـعيد القطان وآخرين من المتقدمين وهو مذهب البخارى وجماعة من المحدثين وهو مذهب الحجازيين والكوفيين وذهبت طائفة الى أنه لا يجوز اطلاق حدثنا ولا أخبرنا فى القراءة وهو مذهب ابن المبـارك ويحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل والمشهور عن النسائى والله أعلم . ومن ذلك اعتنـاؤه بضبط لفظ الرواة كقوله حدثنا فلان وفلان واللفظ لفلان وكـذلك اذا كان بينهما اختلاف فى حرف من متن الحديث أو صفة الراوى أو نسـبته أو نحو ذلك فانه يبينه وربما كان بعضه لا يتغير به معنى وربما كان فى بعضه خلاف فى المعنى ولكن كان خفيا لا يتفطن له الا من هو على اطلاع على دقائق الفقه ومذاهب الفقهاء .

ومن ذلك تحريه فى مثل قوله حدثنا عبد الله بن سلمة حدثنا سليمان « يعنى ابن بلال » عن يحيى « وهو ابن سعيد » فلم يجوز رضى الله عنه أن يقول سليمان بن بلال ويحيى بن سعيد لكونه لم يقع فى روايتـه منسوبا فلو قاله منسوبا لكان مخبرا عن شيخه أنه أخبره بنسـبه ولـم يخبره ومن ذلك حسن ترتيبه وترصيفه الأحاديث على نسـق يقتضـيه تحقيقه وكمال معرفته بمواقع الخطاب ودقائق العلم وأصول القواعـد وخفيات علم الأسانيد ومراتب الرواة وغير ذلك .

يقول صاحب كتاب أطوار الثقافة والفكر الاسلامى[1] وليس لمسلم مزية فى صحيحه على البخارى الا أنه لم يقطع الحديث فى أبوابه كمـا فعل البخارى فى بعض أحاديثه بل انه روى كـل حديث مسـتكملا غـير

(١) كتاب أطوار الثقافة والفكر الاسلامى للاستاذ على الجندى وزملائه ج ٢ ص ٣٢١ .

مجزء بأسانيده المختلفة فى مكان واحد واقتصر فيما دونه على الأحاديث المتصة دون الموقوفات التى ينتهى سندها الى الصحابة من غير أن يذكر فيها قول ، ولا فعل للنبى صلى الله عليه وسلم أ هـ .

وهذا الأمر هو الذى استرعى أنظار أئمة الحديث ومنصفيه قال النووى والسيوطى فى التدريب (١) اختص مسلم بجمع طرق الحديث فى مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فسهل تناوله بخلاف البخارى فانه قطعها فى الأبواب بسبب استنباط الأحكام منها وأورد كثيرا منها فى مظانه .

وقال النووى فى مقدمته شرح مسلم (٢) وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة جعلته أسهل متناولا من حيث أنه جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به جمع فيه طرق الحديث التى ارتضاها واختار ذكرها وأورد منه أسانيده المتعددة وألفاظ الحديث المختلفة فيسهل على الطالب النظر فى وجوه الحديث واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورد مسلم من طرقه بخلاف البخارى فانه يذكر تلك الوجوه المختلفة للحديث فى أبواب متفرقة متباعدة وكثيرا منها يذكره فى غير بابه الذى يسبق الى الفهم أنه أولى به وذلك لدقيقة يفهمها البخارى منه فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخارى من طرق الحديث أ . هـ .

ويلاحظ أن كلام النووى يشعر بدقة تصرف البخارى وان خفى ذلك على من ليس له قدم راسخة فى الحديث وان هذه الدقة انما يفهمها البخارى والخواص فى معرفة الحديث ومن هنا ربما كان صعب المنال على غير العارفين بالحديث والذى حتم على البخارى ذلك المنهج تقطيع الأحاديث انما هو استنباطه وتراجمه وهذه ميزة لم يضح بها البخارى

---

(١) التدريب ص ٤٤ .

(٢) مقدمة صحيح ومسلم شرح النووى ج ١ ص ١٤ فى الموازنه بين الصحيحين .

فى سبيل سهولته على العامة ولـذا قال شـيخ الاسـلام ابن حجر فى ذلك (١) •

واذا امتاز مسلم بهذا فللبخارى فى مقابلته من الفضل ما ضمنه فى أبوابه من التراجم التى حيرت الأفكار •

وقد بين الامام مسلم نفسه (٢) فى أول مقدمته فى صحيحه أنه عمد على تلخيص الطرق فى موضع واحـد بلا تكرار ليسـهل على العـامة والخاصة كما بين بأن الذى ساقه الى التأليف انما هو تخبط العـامة فى غير الصحيح وان ضبط القليل واتقانه من الحـديث أيسر على المرء من معالجة الكثير منه ولا سيما عند من لا تميز له من العوام الا بأن يوقفه على التميز غيره ويبين بأنه انما يرجى بعض المنفعة فى الاستكثار وجمع المكررات من الحديث للخاصة من النـاس ممن رزق فيـه بعض التيقظ والمعرفة بأسباب الحديث وعلله بخلاف عوام الناس الذين هم بخـلاف معانى الخاصة من أهل التيقظ والمعرفة وقال مبينا لسائله ان من سبب تأليفه الحرص على هداية العوام قال وبعد يرحمك الله فلولا الذى رأينا من سوء ما صنعه كثير ممن نصب نفسه محدثا فيما يلزمهم من طـرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة ، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والامانة بعـد معرفتهم واقرارهم بألسنتهم أن كثيرا مما يقذفون به الى الأغبيـاء من الناس هو مستنكر ومنقول عن قوم غير مرضيين ممن ذم الرواية عنهم أئمة أهل الحديث مثل مالك بن أنس وشـعبة بن الحجـاج وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمـن بن مهدى وغـيرهم من الأئمة لما سهل علينا الاستنصاب لما سألت من التميز والتحصـيل ولكن من أجل ما أعلمناك من نشر القوم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضـعاف المجهولة وقد ألقى بها الى العوام الـذين لا يعرفون عيبهـا خف على اجابتك الى ما سألت أ • هـ •

---

(١) التدريب ص ٤٥ •

(٢) من كلام الامام مسلم نفسه فى مقدمة صحيحه بتصرف ص ٤٥ شرح النووى •

ولهذه السهولة فى صحيح مسلم شـذ أبو على الحسـين بن على النيسابورى عن اتفاق العلماء بتقديم صحيح البخارى على صحيح مسلم وقال بتقديم صحيح مسلم على صحيح البخارى أو فهم منه ذلك روى ابن الصلاح (١) عن أبى على الحافظ النيسابورى أسـتاذ الحـاكم أبى عبد الله بن البيع قال « ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم ابن الحجاج » فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب كتاب مسـلم على كتاب البخارى قال ابن الصلاح ان كان المراد به أن كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح فانه ليس فيه بعد خطبتـه الا الحـديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل ما فى كتاب البخارى فهذا لا بأس به ولايلزم أن كتاب مسلم أرجح فيما يرجع الى نفس الصحيح وان كـان المراد أن كتاب مسلم أصحصحيح فهو مردود على من يقوله والله أعلم .

وعلق العراقى على ذلك بقوله (٢) قلت قد روى مسلم بعد الخطبة فى كتاب الصلاة باسناده الى يحيى بن أبى كثير أنه قال لا يستطاع العلم المراد أن كتاب مسلم أصح صحيح فهو مردود على من يقوله والله أعلم .

وقال شيخ الاسلام ابن حجر (٣) قول أبى على ليس فيه ما يقتضى تصريحه بأن كتاب مسلم أصح من كتاب البخـارى خـلاف ما يقتضيه اطلاق الشيخ محيى الدين فى مختصره « التقريب » وفى مقدمة شرح البخـارى حيث يقول (٤) البخـارى أول من صنف الحديث المجـرد واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة صحيحا البخارى ومسـلم واتفق الجمهور على أن صحيح البخـارى أصـحهما صـحيحا وأكثرهما

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤ والتدريب ص ٤٣ .

(٢) التقيد والايضاح لما أطلق واغلق من مقدمة ابن الصلاح لشيخ الاسلام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى ص ١٤ المتوفى سنة ٨٠٦ هـ .

(٣) التدريب ص ٤٣ ومقدمة الفتح ج ١ ص ٦ .

(٤) مقدمة شرح البخارى للنووى ج ١ ص ٧ ومقدمة شرح مسلم للنووى فى الموازنة بين البخارى ومسلم ص ١٤ .

فوائد وقال الحافظ أبو على النيسابورى شيخ الحاكم أبى عبد الله : صحيح مسلم أصح ووافق بعض علماء المغرب وأنكر ذلك عليهم والصواب ترجيح البخارى على مسلم أ . هـ .

قال ابن حجر وانما يقتضى نفى الأصحية عن غير كتاب مسلم عليه لا اثباتها أما اثباتها له فلا ، لأن اطلاقه يحتمل أن يريد ذلك ويحتمل أن يريد المساواة فى نظره قال .

ومع احتمال كلامه ذلك فهو منفرد به سواء قصد الأول أو الثانى وعلق ابن حجر فى المقدمة على كلام ابن الصلاح بقوله : واقتضى كلام ابن الصلاح أن العلماء متفقون على القول بأفضلية البخارى فى الصحة على كتاب مسلم الا ما حكاه عن أبى على من قوله المتقدم وعن بعض شيوخ المغاربة ان كتاب مسلم أفضل من كتاب البخارى من غير تعرض للصحة « بل الى المعنى الذى تقدم من السهولة فى الرجوع الى موضع الحديث وسرد الصحيح » وعارض ابن حجر قول أبى على هذا بقول من هو أعظم منه فقال روينا بالاسناد الصحيح (١) عن أبى عبد الرحمن النسائى وهو شيخ أبى على النيسابورى أنه قال مافى هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن اسماعيل والنسائى لا يعنى بالجودة الا جودة الأسانيد كما هو المتبادر الى الفهم من اصطلاح أهل الحديث ومثل هذا من النسائى غاية فى الوصف مع شدة التحرى وتوقيه وتثبته فى نقد الرجال وتقدمه فى ذلك على أهل عصره حتى قدمه قوم من الحزاق فى معرفة ذلك على مسلم بن الحجاج وقدمه الدار قطنى فى ذلك وغيره على امام الأئمة أبى بكر بن خزيمة صاحب الصحيح وأورد ابن حجر غير ذلك مما سأعرج عليه عند الكلام على مزايا وخصائص الجامع الصحيح للبخارى وأقول ان سهولة الكشف والتنازل فى الجامع الصحيح للامام مسلم فى نظرى انما هى مستفادة وحاصلة بعد التبويب والتراجم للكتاب وهذا من عمل شراح الصحيح لا من عمل الامام مسلم

---

(١) مقدمة الفتح جـ ١ ص ٧ .

وأما قبل التبويب والترجمة فان الأحاديث وان كانت متجمعة بطرقهـا المختلفة وألفاظها فى مكان واحد لكنه نظرا الى عـدم تبويبها يصـعب البحث فى جوانب الكتاب حتى يهتدى الباحث الى الموضـع الخـاص الذى يريده وبعد تصنيف كتب مفاتيح الصحيحين أصبحت طرق حديث البخارى معلومة وكما يقول محب الـدين الخطيب فى كتـابه توضـيح البخارى بعد تنبيهه على مواضع تعدد وطرق الحـديث قـال وبذلك لم يعد فضل وميزة لكتاب مسلم بهذا على كتاب البخارى .

أفضلية صحيح البخـارى على صحيح مسلم

أصبح من المعلوم أن الصحيحين هما أصح الكتب بعد كتاب اللـه وبهما رفعت راية السنة وضاءة فى أبهى أدوار أوجهـا واتسـم العصر الثالث بهما وبأثرهما فيمن بعدهما بأنه أزهى عصور جمع السنة ولم يرق امام من أئمة الحديث بعـدهما الى مرتبتهما وفى معرض المفاضـلة بين الصحيحين يجد الباحث أن صحيح البخارى مجمـع على أفضـليته اذا استثنينا رأى أبى على النيسابورى فى تقديم صحيح مسـلم فى الصحة لأن أفضلية البخارى ثابتة بأمرين الأمر الأول : وهو ما عبر عنه ابن حجر بقوله من حيث الاجمال ويرجع الى تقدير شهادة أهل الفن والحديث (١) بعد دراستهم الواعية ان أفضلية الصحيح للبخارى على مسلم ثابتة عن أئمة العلماء وقد نقل الاتفاق على تقدمه الامام النـووى وشـيخه ابن الصلاح وغيرهما : قال النووى فى مقـدمة شرحه لصـحيح مسـلم فى الموازنة بين البخارى ومسلم .

اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصـح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخارى ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول .

وكتاب البخارى أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة

---

(١) ص ١٤ المقدمة للنووى .

وقد صح أن مسلما كان يستفيد من البخارى ويعترف بأنه ليس له نظير فى علم الحديث • وتصديقا لكلام النووى فقد روى فى تاريخ بغداد (1) •

قول الامام مسلم للبخارى لا يبغضك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك • وعن أبى عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول سمعت أبى يقول رأيت مسلم بن حجاج بين يدى محمد بن اسماعيل البخارى يسأله سؤال الصبى المتعلم •

وقول النووى فى ترجيح كتاب البخارى هو المذهب المختار الذى قال به الجماهير وأهل الاتقان والحذق بأسرار الحديث •

قال الذهبى وأما جامع البخارى الصحيح فأجل كتب الاسلام بعد كتاب الله تعالى فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته وقال النووى فى مقدمة شرحه للبخارى ومن أخص ما يرجح اتفاق العلماء أن البخارى أجل من مسلم وأصدق بمعرفته للحديث ودقائقه . وقد انتخب علمه ولخص ما ارتضاه فى هذا الكتاب وقال شيخ الاسلام ابن حجر : اتفق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم ومسلم خريجه ولم يزل يستفيد منه ويتتبع آثاره حتى قال الدارقطنى لولا البخارى ما راح مسلم ولا جاء وقال مرة أخرى وأى شىء صنع مسلم انما أخذ كتاب البخارى فعمل عليه مستخرجا وزاد فيه زيادات وهو وان أسرف فى ذلك فانما يؤخذ منه ترجيح البخارى على مسلم واثبات أنه قد استفاد منه وهو تلميذه الذى تأثر به فى حياته العلمية وكان صاحب طاقة طيبة فكان له مجهودات علمية وكان لكتابه خصائصه الذاتية التى تقدمت فى الحديث على صحيحه •

---

(1) ج ٢ ص ٢٩ •

قال الحاكم أبو أحمد النيسابوري وهو عصرى أبى على النيسابورى ومقدم عليه فى معرفة الرجال ٠

« رحم الله محمد بن على بن اسماعيل فانه الذى ألف الأصول » (يعنى أصول الأحكام فى الحديث) وبين للناس وكل من أتى بعده فانما أخذه من كتابه كمسلم بن الحجاج (١) والنقول كثيرة فى هذا المعنى وحسبنا هذا القدر الذى يكاد يتراءى منه اتفاق العلماء كما نقل ذلك عن أئمة الحديث لأن البخارى أعلم بهذا الفن من مسلم وأنه أستاذه وقد شهد مسلم بأنه ليس مثله ولا فى عصره من يدانيه فى فن الحديث وعلومه كما أنه قد تراءى لنا من كلام الحاكم أبى أحمد وغيره أن منهج البخارى هو الذى خرج أئمة الحديث بعده وفى مقدمتهم تلميذه الأول الامام المسلم ٠

الأمر الثانى :

وهو ما يتعلق بتفصيل الأدلة على مقاييس الصحة ٠

ومعلوم أن مقاييس الحديث انما يدور على اتصال السند واتقان الرجال والسلامة من الشذوذ والعلل فالبخارى أتقن رجالا وأشد اتصالا وأبعد عن الشذوذ والعلة وبيان ذلك ٠

أولا : فيما يتعلق باتقان الرواة فصحيح البخارى أرجح على صحيح مسلم ٠

(أ) ان الذين انفرد البخارى بالاخراج لهم دون صحيح مسلم أربعمائة وبضع وثلاثون رجلا — المتكلم فيه بالضعف منهم (٨٠) رجلا والذين انفرد مسلم بالاخراج لهم دون البخارى (٦٢٠) رجلا المتكلم

(١) مقدمة فتح البارى ١/٧ والتهذيب للنووى ١/٧٤ ٠

فيه بالضعف منهم (١٦٠) رجلا ، ولاشك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلا أولى من التخريج عمن تكلم فيه وان لم يكن ذلك الكلام قادحا .

(ب) ان الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه لم يكثر من التخريج عنهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها الا ترجمة عكرمة عن ابن عباس .

بخلاف مسلم فانه أخرج أكثر تلك النسخ كأبى الزبير عن جابر وسهيل عن أبيه والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه وحماد بن سلمة عن ثابت وغير ذلك .

(ج) ان الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز جيدهم من غيره . بخلاف مسلم فان من انفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه أكثرهم ممن تقدم عصره من التابعين ومن بعدهم ولاشك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه دون غيرهم .

(د) ان البخارى يخرج أحاديث الطبقة الأولى وهى أعلى الطبقات فى الحفظ والاتقان وطول الصحبة عمن أخذوا عنه استيعابا وينتقى من أحاديث الطبقة الثانية التى دون الأولى فى الصفات المذكورة . ومسلم يخرج حديث الطبقة الثانية استيعابا وفى أصل موضوع كتابه فكان البخارى أقوى اسنادا وأوثق رجالا .

أما بالنسبة بما يتعلق باتصال السند :

فان مذهب مسلم بل نقل الاجماع (١) فى أول صحيحه أن الاسناد المعنعن الذى يقال فيه (فلان عن فلان) له حكم الموصول بسمعت بمجرد كون المعنعن والمعنعن عنه كانا فى عصر واحد وان لم يثبت

---

(١) مقدمة صحيح مسلم للامام مسلم ص١٢٧ شرح النووى بابصحة الاحتجاج بالحديث المعنعن اذا أمكن لقاء المعنعن ولم يكن فيهم مدلس ومقدمة مسلم للنووى ص ١٤ فى الموازنة بين البخارى ومسلم .

اجتماعهما والبخارى لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة وقد بين البخارى هذا المذهب فى تاريخه وجرى عليه فى صحيحه فان روى أحد عن أحد بالعنعنة مع عدم المعاصرة واللقاء يكون رواية منقطعة عند الشيخين وان روى مع تحقق اللقاء والمعاصرة يكون رواية مقبولة عندهما •

ويظهر الخلاف بينهما • ان روى الراوى عن معاصرة ولم يثبت لقاؤه ، قبله مسلم ورده البخارى لعدم ثبوت السماع عنده فشرط البخارى أكثر فى الاتصال • وطريق (1) ثبوت السماع عنده يدور على التصريح فى اسناد ثبت السماع عنده فى موضع فيحكم به فى سائر المواضع وهذا الشرط عنده انما هو للصحيح فى كتابه خاصة لا للصحيح مطلقا فمخالفته للجماهير ولمسلم ليس فى نفس تعريف الصحيح بل هو شرط التزمه للصحيح فى كتابه فهذا تشديد منه على نفسه فى هذا الكتاب فقط •

ولكل ذى همة وعزم أن يشدد على نفسه بما شاء •

أما بالنسبة بما يتعلق بالسلامة من الشذوذ والعلة :

فان الأحاديث التى انتقدت عليهما بلغت (٢١٠) مائتى حديث وعشرة أحاديث (٢) اختص البخارى منها بثمانية وسبعين واختص مسلم بمائة واشتركا فى الباقى وهو اثنان وثلاثون وقد وافقه مسلم فى تخريجها ولاشك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر فيه الانتقاد فثبت بذلك قول الامام مسلم بأن البخارى أستاذ الأساتذة وسيد المحدثين وطبيب الحديث •

البخارى المسند فيه صحيح لذاته

وبما فضل به البخارى على مسلم كما فى فيض البارى (٣) أن مسلما يشتمل كتابه على الصحيح لذاته والصحيح لغيره الذى هو الحسن

(١) فيض البارى للكشميرى ١ ص ٥٠ •

(٢) مقدمة فتح البارى ج ١ ص ٨ وج ٢ ص ٨١ لابن حجر •

(٣) فيض البارى ج ١ ص ٥١ للكشميرى •

كما فى باب مذمة الشعر ـ بخلاف البخارى فانه يشتمل على الصحيح لذاته فقط وذلك لأنه جرى على اصطلاح القدماء ولم يفرق بين الحسن والصحيح وقد قال ابن تيمية أن تقسيم الحديث عند القدماء كان الى قسمين فقط صحيح وضعيف والحسن لذاته كان داخلا فى الصحيح واليه جنح غير واحد من الأئمة حتى انعقد الاجماع على ذلك •

قال الكشميرى دعوى الاجماع غير صحيحة لأن البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى وتبع فى ذلك شيخه البخارى فشهره ونوه بذكره وعليه مشى فى جميع كتابه •

الصحيحان لم يستوعبا الصحيح ولا رواته

ان البخارى لم يستوعب الأحاديث الصحيحة (١) وقد صرح بذلك فقال ما أدخلت فى كتاب الجامع الا ما صح وتركت من الصحاح لحال أو لأجل الطول : وفى رواية وتركت من الصحاح حتى لا يطول :

وقال أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح وقال الاسماعيلى سمعت من يحكى عن البخارى أنه قال لم أخرج فى هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر ومعلوم أن أحاديث الجامع لم تبلغ ما حفظ البخارى من الصحيح ومعنى ذلك أن البخارى لم يثبت كل حديث صحيح حفظه فضلا عن كل حديث صحيح وكل حديث على شرطه بل لم يستوعب الصحيحان معا الاحاديث الصحيحة •

قال السخاوى فى فتح المغيث ان الشيخين لم يستوعبا كل الصحيح فى كتابيهما بل لو قيل أنهما لم يستوعبا شروطهما لكان موجها وقد صرح كل منهما بعدم الاستيعاب فقد روى عن مسلم أيضا أنه قال ليس كل شىء عندى صحيح وضعته ها هنا أنما وضعت ما أجمعوا عليه قال ابن الصلاح (٢) أراد والله أعلم أنه لم يضع فى كتابه الا الأحاديث

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٨ وتهذيب النووى ج ١ ص ٧٤ .

(٢) التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٤٩ ومقدمة الفتح ج ١ ص ٤ .

التى وجد عنده فيها شرائط الصحيح المجمع عليه وان لم يظهر اجتماعها فى بعضها عند بعضهم .

وقال الحافظ بن كثير : ثم ان البخارى ومسلما لم يلتزما باخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث فانهما قد صححا آحاديث ليست فى كتابيهما كما ينقل الترمذى عن البخارى تصحيح أحاديث ليست عنده بل فى السنن وغيرها ، وبهذا يرد مازعمه مؤلف فجر الاسلام الدكتور أحمد أمين من أن ما جمعه البخارى فى حديثه وهو أربعة آلاف من غير المكرر هو كل ما صح عنده من عدد الاحاديث التى كانت متداولة فى عصره وبلغت ستمائة ألف (١) .

وقال البلقينى على ما فى التدريب (٢) قيل أراد مسلم اجتماع أربعة أحمد بن حنبل وابن معين وعثمان بن أبى شيبه وسعيد بن منصور الخراسانى ورووا عن مسلم أنه لما عوتب على ما فعل من جمع الاحاديث الصحاح فى كتاب وقيل له ان هذا يطرق لأهل البدع علينا فيجدون السبيل لأن يقولوا اذا احتج عليهم بحديث قالوا ليس هذا فى الصحيح قال ان ما أخرجت فى هذا الكتاب وقلت هو صحاح ولم أقل ان مالم أخرجه من الحديث فى هذا الكتاب فهو ضعيف .

قال النووى (٣) ولم يستوعبا الصحيح ولا التزماه أى الاستيعاب.

قال ابن الصلاح : والمستدرك للحاكم كتاب كبير يشمل على ما فاتهما على شىء كثير وان يكن فى بعضه مقال فانه يصفو له منه صحيح كثير .

قال النووى والصواب . انه لم يفت الأصول الخمسة وهى الصحيحان وسنن أبى داود والترمذى والنسائى — الا اليسير . وبناء على ذلك فلا يسوغ لمن اعترض على الشيخين وألزمهما أحاديث لم

---

(١) اختصار علوم الحديث ص ٩ .
(٢) التدريب ص ٤٧ .
(٣) مقدمة مسلم ص ٢٤ .

يخرجاها مع كونها صحيحة على شرطهما أن يعترض عليهما حيث لم يلتزما استيعاب الصحاح وصرحا بعدم التزامه .

قال النووى ألزم الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى رحمه الله وغيره البخارى ومسلما رضى الله عنهما اخراج أحاديث تركا اخراجها مع أن أسانيدها أسانيد قد أخرجا لرواتها فى صحيحهما بها وذكر الدارقطنى وغيره أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورويت أحاديثهم من وجوه صحاح لا مطعن فى ناقليها ولم يخرجا من أحاديثهم شيئا فيلزم اخراجها على مذهبيهما .

وذكر البيهقى أنهما اتفقا على أحاديث من صحيفة همام بن منبه وأن كل واحد منهما انفرد عن الآخر بأحاديث منها مع أن الاسناد واحد .

وصنف الدارقطنى وأبو ذر الهروى فى هذا النوع الذى ألزموهما .

قال النووى : وهذا الالزام ليس بلازم فى الحقيقة فانهما لم يلتزما استيعاب الصحيح بل صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعباه كما أنه لا يلزم من عدم تخريج الشيخين لراو من الرواة سقوطه أو ضعفه فانهما لم يستوعبا الرواة الثقات المتوفرة فيهم صفات القبول والصحة .

قال الحازمى (١) ان قصد البخارى وضع مختصر فى الحديث وانه لم يقصد استيعابا لا فى الرجال ولا فى الحديث . وقد قال لم أخرج فى هذا الكتاب الا صحيحا ولم يتعرض لأمر آخر وكذلك الأمر فى كتاب مسلم فلم يستوعب الثقات كلهم وهم كثرة : ففى تاريخ البخارى أكثر من أربعين ألفا من الثقات .

وقد قال المحدث الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى تعليقه على شروط الأئمة الخمسة (٢) :

---

(١) شروط الأئمة الخمسة ص ٤٤ .

(٢) شروط الأئمة الخمسة للحازمى ص ٤٢ .

ومما يلفت اليه النظر أن الشيخين لم يخرجا فى الصحيحين شيئا من حديث الامام أبى حنيفة مع انهما أدركا صغار أصحاب أصحابه فأخذا عنهم ولم يخرجا أيضا حديث الامام الشافعى مع أنهما لقيا بعض أصحابه ولا أخرج البخارى من حديث أحمد الا حديثين أحدهما تعليقا والآخر نازلا بواسطة مع أنه أدركه ولازمه ولا أخرج مسلم فى صحيحه عن البخارى شيئا مع أنه لازمة ونسج على منواله . ولا عن أحمد الا قدر ثلاثين حديثا ولا أخرج أحمد فى مسنده عن مالك عن نافع بطريق الشافعى وهو أصح الطرق أو من أصحها الا أربعة أحاديث وما رواه أحمد عن الشافعى بغير هذا الطريق لا يبلغ عشرين حديثا مع أنه جالس الشافعى وسمع منه موطأ مالك وعد من رواة مذهبة القديم .

قال الشيخ الكوثرى معللا ذلك بقوله والظاهر من ديدنهم وأمانتهم ان ذلك من جهة انهم كانوا يرون أن أحاديث هؤلاء فى مأمن من الضياع لكثرة أصحابهم القائمين بروايتها شرقا وغربا وجل عناية أصحاب الدواوين بأناس من الرواة ربما كانت تضيع أحاديثهم لولا عنايتهم بها لأنه لا يستغنى من بعدهم عن دواوينهم فى أحاديث هؤلاء دون هؤلاء ومن ظن أن ذلك لتحاميهم عن أحاديثهم أو لبعض ما فى كتب الجرح من الكلام فى هؤلاء الأئمة كقول الثورى فى أبى حنيفة وقول ابن معين فى الشافعى وقول الكرابيسى فى أحمد وقول الذهلى فى البخارى ونحوها فقد حملهم شططا أ . هـ .

وكما كان السبب فى بعض الاحيان فى ترك بعض الرواة الثقات هو الاطمئنان على حفظ مروياتهم كذلك قد يكون السبب طلب علو الاسناد فقد يكون الحديث من طريق ذلك الامام نازلا ومن طريق غيره من الثقات عاليا فيختار صاحب الصحيح الطريق العالى اقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

تحقيق معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما

رأى النووى وابن الصلاح وابن دقيق العيد أن معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما ان يكون رجال اسناده فى الكتاب الذى على شرطه . ورأى العراقى : أن معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما أن يكون رواته متوفرة فيهم صفات الرواة فى الكتاب الذى على شرطه . وقد اعترض العراقى على النووى ومن معه فقال : ليس ذلك منهم بجيد فان الحاكم خرج فى خطبته للمستدرك بخلاف ما فهموه عنه فقال : وأنا استعين الله تعالى على اخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان أو أحدهما فقوله بمثلها أى بمثل رواتها لا بهم أنفسهم ويحتمل أن يراد بمثل تلك الاحاديث وانما تكون مثلها اذا كانت بنفس رواتها وفيه نظر وتحقيق المثلية أن يكون بعض من لم يخرج عنه فى الصحيح مثل من خرج عنه فيه « فى صفات القبول والصحة » أو أعلى منه عند الشيخين .

طريق معرفة المثلية

وتعرف المثلية عندهما اما بنصهما على أن فلانا مثل فلان أو أرفع منه وقل ما يوجد ذلك واما بالالفاظ الدالة على مراتب التعديل كأن يقولا فى بعض من احتجابه ثقة أو ثبت أو صدوق أولا بأس به أو غير ذلك من ألفاظ التعديل ثم يوجد عنهما أنهما قالا ذلك أو أعلى منه فى بعض من لايحتج به فى كتابيهما .

فيستدل بذلك على أنه عندهما فى رتبة من احتجابه لأن مراتب الرواة معيار معرفتها ألفاظ الجرح والتعديل .

واعترض بأن هذا القدر لايكفى فانهم لا يكتفون بالتصحيح بمجرد حال الراوى فى العدالة والاتصال من غير نظر الى غيره بل ينظرون فى حالته مع من روى عنه فى كثرة ملازمته له أو قلتها أو كونه من بلده ممارسا لحديثه أو غريبا عن بلد من أخذ عنه وهذه أمور تظهر بتصفح كلامهم وعملهم فى ذلك أ . هـ [1] .

---

(١) فيض البارى ج ١ ص ٣٦ للكشميرى .

وفى هذا المعنى أيضا قال الحافظ الزيلعى فان هذاالقــــدر لايكفى لكون الحديث على شرط البخارى لأن البخارى لا ينظــر الى ثقــــــة الراوى فقط بل ملازمته لشيخ روى عنه أيضــا ويمكــن أن يكـــون الراوى ثقة فى نفسه ومن رجاله ومع هذا لا يكــون ملازما لهذا الشــيخ الذى يروى عنه فحينئذ كيف ينبغى أن يحـــكم مطلقا أنــه عـــلى شرطه :

ثم ثقة الراوى وضعفه قد يكون فى نفســه وقد يكون بالنســبة الى شيخ معين فيكــون ثقــة فى نفسه وضعيفا فى هذا الشيخ مثل هشيم بن بشير ثقة فى نفسه وضعيف فى الزهرى لانه لما كتب عنه أحاديث ورجع اشتد الريح فى الطريق وطارت بأوراقه فكتبها عن حفظه .

وقال الكشميرى ينبغى أن يوســع الأمر من ذلك فان هذا التضييق انما يناسب شأنه وعلمه وعندى يحكم عليه أنه على شرطه مالم توجــد فيه علة فى خصوص هذا المقام من أهل الشأن فى هذا الفن — ولايلتفت الى هذه الاحتمالات ليتوفر ذخيرة الحديث ولا يفقد كثير من الاحــكام كما وقع على مذهب من رد الاحاديث المرسلة فانه يلزم منه أن يضيع حصة كثيرة من الدين فاعلمه .

وعلى هذا ينبغى أن يحكم على حديث من كان له امام ثقة . الخ .. أنه على شرط الشيخين كما حكم به الشيخ ابن الهمام رحمه الله تعالى وأرضاه أ هـ .

اما رأى شيخ الاسلام ابن حجر فلم يرقه رأى العراقى واعترض على اعتراضه وقال ان الحاكم استعمل لفظ مثل فى أعم من الحقيقــة والمجاز فى الأسانيد والمتون دل على ذلك صنعه فانه تارة يقــول عــلى شرطهما وتارة على شرط البخارى وتارة على شرط مسلم وتارة صحيح الاســناد ولا يعزوه لأحــدهما وأيضا فلو قصــد بكلمة مثل معنـــاها الحقيقى حتى يكون المراد احتج بغيرها ممن فيهم من الصفات مثــل ما فى الرواة الذين خرج عنهم — لم يقل قط على شرط البخارى فــان

شرط مسلم دونه فما كان على شرطه فهو على شرطهما لأنه حـوى شرط مسلم وزاد .

وقال ابن حجر ووراء ذلك كله أن يروى اسنادا ملفوقا من رجالهما كسماك عن عكرمة عـن ابن عباس فسماك شرط مسلم فقط وعكرمة انفرد به البخارى . والحق أن ليس على شرط واحد منهما .

وأدق من هذا أن يرويا عن أناس ثقات ضعفوا فى أناس مخصوصين من غير حديث الذين ضعفوا منهم فيجىء عنهم حديث من طـريق من ضعفوا فيه برجال كلهم فى الكتابين أو أحدهما . فنسبة أنه على شرط من خرج له غلط كان يقال فى هشيم عن الزهرى وكل من هشيم والزهرى أخرجا له فهو على شرطهما : فيقال بل ليس على شرط واحد منهمـا . لأنهما انما أخرجا لهشيم فى غير حديث الزهرى فانه ضعف فيه وكـذا همام ضعيف فى ابن جريج مع أن كلا منهما أخرجا له لكن لم يخرج له عن ابن جريج شيئا .

فعلى من يعزو الى شرطهما أو شرط واحد منهما أن يسـوق ذلك السند بنسق رواية من نسب الى شرطه ولو فى موضع من كتابه .

وكذا قال ابن الصلاح (١) فى شرح رواية مسلم من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عن أنه فى صحيحه وانه من شرط الصحيح فقد غفل وأخطأ بل ذلك متوقف على النظر فى كيفية رواية مسلم عنه وعـلى أى درجة اعتمد عليه .

ونستخلص من كل ذلك بأنه يمكن أن يقال ان المراد بكون الحديث على شرطهما أعم من أن تتوفر فى رواته صفات القبول عندهما مع مراعاة حال الراوى فيمن روى عنه وان لم يكن الاسـناد فى كتابهمـا أو اذا توافرت الصفات مع مراعات حال الراوى فى مشايخه وذكر فى كتابيهما من باب أولى والله أعلم .

---

(١) التدريب ص ٦٧ للسيوطى .

الاتفاق على وجوب العمل بما فى الصحيحين والخلاف فى افادة أحاديثهما القطع أو الظن ؟؟

رأى النووى أن أحاديث الصـــحيحين التى لم تتواتر ثابته بالظن لا بالعلم القطعى ويجب العمل بها وهو رأى الأكثرين ومحققى الاصول.

قال (١)ان المحققين والأكثرين قالوا احاديث الصحيحين التى ليست بمتواترة تفيد الظن فانها آحاد والآحاد انما تفيد الظن : ولا فرق بين البخارى ومسلم وغيرهما فى ذلك وتلقى الامة بالقبول انما أفادنا وجوب العمل بما فيها وهذا متفق عليه ، فان أخبار الآحاد التى فى غيرها يجب العمل بها اذا صحت أسانيدها ولا تفيد الا الظن فكذا الصحيحان .

وانما يفترق الصحيحان عن غيرهما من الكتب فى كون ما فيهمـــا صحيحا لايحتاج الى النظر فيه بل يجب العمـــل به مطلقا وما كـــان فى غيرهما لايعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح .

ورأى ابن الصلاح وابن حجر والسيوطى أن أحاديث الصحيحين تفيد القطع واليقين ـــ فضلا عن الاتفاق مع النووى وغيره بأنه يجب العمل بها .

قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح جميع ماحكم به الشيخان مقطوع بصحته والعلم النظرى حاصل بصحته فى نفس الامر لأن الأمـــة تلقت ذلك بالقبول سوى من لايعتد بخلافه ووفاقه فى الاجماع قال والـــذى نختـــاره أن تلقى الامة للخبر المنحط عـــن درجة التواتر بالقبول يوجب العلم النظرى بصدقه خلافا لبعض محققى الأصوليين حيث نفى ذلـــك بناء على أنه لايفيد فى حق كل منهم الا الظن وانما قبله لأنه يجب عليه العمل بالظن والظن قد يخطىء .

قال ابن الصلاح وهذا مندفع لأن ظن من هو معصوم من الخطـــأ لايوجد خطأ والامة فى اجماعها معصومة من الخطأ .

---

(١) مقدمة شرح مسلم صفحة ١٩ للنووى .

وقد قال أمام الحرمين الجويني لو حلف انسان بطلاق أمراته ان ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكم بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق ولاحنث فيه لاجماع علماء المسلمين على صحتهما ٠

قال : ولقائل أن يقول انه لا يحنث ولو لم يجمع المسلمون على صحتهما لشك في الحنث فانه لو حلف بذلك في حديث ليست هذه صفته ٠ لم يحنث وان كان راويه فاسقا فعدم الحنث حاصل قبل الاجماع فلا يضاف الى الاجماع — والجواب أن المضاف الى الاجماع هو القطع بعدم الحنث ظاهرا وباطنا ٠ وأما عند الشك فعدم الحنث محكوم به ظاهرا مع احتمال وجوده باطنا ٠ فعلى هذا يحمل كلام امام الحرمين فهو اللائق بتحقيقه ٠

فاذا علم هذا فما أخذ على البخاري ومسلم وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرنا ٠ لعدم الاجتماع على تلقيه بالقبول وما ذلك الا في مواضع قليلة ٠

قال : على ما في التدريب [1] ان ما روياه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه — خلافاً لمن نفى ذلك محتجا بأنه لايفيد الا الظن وانما تلقته الأمة بالقبول لأنه يجب العمل بالظن والظن قد يخطىء قال وقد كنت أميل الى هذا وأحسبه قويما ثم بان لي ان الذي اخترناه أولا هو الصحيح لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطىء والأمة في اجماعها معصومة من الخطأ ولهذا كان الاجماع المبنى على الاجتهاد مقطوعا به ٠ وقال البلقيني ما قاله النووي وابن عبد السلام ومن تبعهما ممنوع ٠

فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين مثل قول ابن الصلاح عن جماعة من الشافعية كأبي اسحاق وأبي حامد الاسفراييني والقاضي أبي الطيب والشيخ أبي اسحاق الشيرازي — وعن السرخسي من الحنفية والقاضي عبد الوهاب من المالكية — وأبي يعلى وأبي الخطاب وابن الزاغوني

(١) ص ٧٠ تدريب الراوي ٠

من الحنابله وابن فورك وأكثر أهل الكــلام من الأشعرية وأهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة بل بالغ ابن طاهر المقدسى فى صفة التصوف فالحق ما كان على شرطهما وان لم يخرجاه .

وقال شيخ الاسلام ابن حجر ذكره النووى من جهــة الأكثــرين أما المحققون فلا ، فقد وافق ابن الصلاح أيضا بعض المحققين .

وقال فى شرح النخبة . الخبر المحتف بالقرائن يفيد العلم خلافا لمن أبى ذلك قال وهو أنواع منها ما أخرجــه الشيخان فى صحيحهما ممــا لم يبلغ التوتر . فانه احتف به قرائن منها جلالتهما فى هــذا الشأن . وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول.

وهذا التلقى وحده أقوى فى افادة العلم من مجرد كثــرة الطرق القاصر عن التواتر الا ان هــذا مختص بما لم ينتقده أحد من الحفاظ . وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه حيث لاترجيح لأحدهما على الآخــر وما عدا ذلك فالاجماع حاصل على تسليم صحته .

قال وما قيل من أنهم اتفقوا على وجوب العمل لا عــلى صحته فممنوع لأنهم متفقون على وجوب العمل بكل ما صح ولو لم يخــرجاه فلم يبق للصحيحين مزية والاجماع حاصل على ان لهما مزية فيما يرجع الى نفس الصحة ويحتمل أن يقال المزية المذكورة كون أحاديثهما أصــح الصحيح ثم قال ولا يحصل العلم الا للعالم المتبحر فى الحديث العارف بأحوال الرواة والعلل . وكون غيره لا يحصل له العــلم لقصــوره عــن الأوصاف المذكورة لا ينفى حصول العلم للمتبحر المذكور أ . هـ .

وقال ابن كثير فى الباعث الحثيث (١) وانا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد اليه قال السيوطى وهو الذى اختاره ولا أعتقد سواه .

وقال الكشميرى فى كتابه فيض البارى (٢) ان رأى ابن الصــلاح ومن وافقه هو الرأى قال صرح الحافظ ابن حجر رضى اللــه عنــه ان

---

(١) الباعث الحثيث صفحة ٢٣ .

(٢) فيض البارى ج ١ صفحة ٤٥ .

افادتهما القطع نظريا كاعجاز القرآن فانه معجز قطعا الا أنه نظرى لا يتبين الا لمن كان له يد فى العلوم العربية عن آخرها .

فان قيل ان فيهما أخبار ، آحادا وقد تقرر فى الاصول أنها لا تفيد غير الظن قلت لا ضير فان هذا باعتبار الاصل وذاك بعد احتفاف القرائن واعتضاض الطرق فلا يحصل القطع الا لأصحاب الفن الذين يسرلهم الله سبحانه التميز بين الفضة والقضة ورزقهم علما من أحوال الرواة والجرح والتعديل فانهم اذا مروا على حديث وتتبعوا طرقه وفتشوا رجاله وعلموا من أحوال أسناده يحصل لهم القطع . وان لم يحصل لمن لم يكن له بصر ولا بصيرة .

ثم قال ألا ترى ان الواحد جليل القدر اذا أخبرك بأمر فنظرت الى حالته وثقافته وعلمه ودينه أيقنت بخبره كفلق الصبح ولايبقى فى نفسك قلق واضطراب وكفاك عن جماعة فان واحدا قد يزن جماعة بل يرجحهم والآخر قد يكون كريشة طائرة لا يوازى جناح بعوضة وان ابراهيم كان أمة قانتا ومن أمته من يجيىء يوم القيامة أمة واحدة .

وليس على الله بمستنكر

ان يجمع العالم فى واحد .

فهذا تفاوت واختلاف بين الناس فخبر الواحد مثل الأول يفوق على خبر الذين ليسوا بمثابته قطعا ويقينا الا أن تلك الافادة تكون لمن له معرفة فى نقد الرجال وصفة الحديث وبمثله أجابوا مما كان يرد على أهل قباء حيث استداروا الى الكعبة فى صلواتهم بخبر الواحد مع أن قبلتهم كانت ثابتة بالقاطع فلم يكن التحول عنها جائزا لهم الا بالقاطع ولم يجد غير خبر الواحد . وحاصل الجواب أنه كان عندهم خبر من قبل أن النبى صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه الى البيت وأنه يقلب وجهه فى السماء طمعا فى الوحى وأن ربه سيسارع الى مايرضاه حتى اذا جاءهم ممن وثقوا به واحتف خبره بالقرائن أذعنوا به وعلموا أن ربه ولاه وحصل لهم اليقين لأن الخبر بعد تلك الاحتفافات صار يفيد اليقين بعد ما كان ظنيا من أصله ونعم ما قال بعض العلماء ان أكثر

الاحاد كان مفيدا للعلم فى عهده صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا أمرا لا يستطيع انكاره أحد جعل الحافظ هذا النزاع راجعا الى النزاع اللفظى فلم يبق فى نفس افادة القطع خلاف ولا شقاق وانما هو فى أن تلك الافادة ـ بديهية أو نظرية فمن ذهب الى أنها تفيد القطع أراد به النظرى ومن أنكرها أراد به الضرورى فانه تحقيق حقيق بالقبول ومن حاد فقد عدل عن المسلك القويم •

فان قيل وفيهما أحاديث شك فيها الراوى بنفسه وتردد فيها فكيف سبيل العلم بها ؟؟؟ •

قلت هذا الوهم لم يوجد فى نفس الحديث الذى هو مدار المسألة وانما وجد فى الأمور الزائدة التى ليست لها دخل فى الحكم كتعيين اسم الراوى أو القصة ونحوها فلا يضر فى افادة القطع وهو تحليل رائع فثبت بذلك القطع فى افادة أحاديث الصحيحين والاتفاق على وجوب العمل بها •

المعلق وهـــو الذى حذف من مبدأ اسناده واحد أو أكثر وقد أكثر منه البخارى فى صحيحه فتراه يذكره فى تراجمه .

وقد يكون التعليق بلفظ فيه جزم يفيد الحكم على من علقه عنـــه قال ابن الصلاح والعراقى والنووى وغيرهم فى حكمه ما كان بهـــده الصيغة بلفظ فيه جزم وحكم به على من علقه عنه فقد حكم البخـــارى بصحته عنه والمعلق يشمل المرفوع الى النبى صلى الله عليــه وســلم بغير اسناد مثل :

قال رســول الله صـــلى الله عليه وسلم كذا وكذا والموقوف على الصـــــحابى مثل قال ابن عباس كذا وكذا وروى أبو هريرة كذا وكذا والمقطوع على التابعى مثل قال سعيد بن المسيب عن أبى هريرة كـــذا وكذا وعمـــوما فهو يشـــمل كل مارواه البخـــارى عن شيوخ شيوخه فما فوقهم مثل قال الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا .

وأما ما أورده البخارى كذلك أى بصيغة قال وروى وذكر ونحوها من صيغ الجزم عن شيوخه فليس حكمه حكم التعليق عن شيوخ شيوخه ومن فوقهم بل حكمه حكم العنعنة من الاتصال بشرط اللقـــاء والسلامة من التدليس كما قال ابن الصلاح .

ولا يقال (١) فى رواية البخارى عن شيوخه مما لم يسمعه أنه نوع من التدليس فى الاسناد (وهو أن يروى عمن عاصره ما لم يسمعه منه — لأن فيه ايهام — لأن البخارى التزم فى كل ما يسمعه من شيوخه فى حال التلقى والأخذ حدثنا وما يماثلها من أخبرنا أو سمعت ثم اصطلح لنفسه فى غير ذلك حيث لم يسمع أو لم يعول على السماع (قال) وأن يقول فى الاجازة والمناولة والمذاكرة (قال لنـــا) ونحوها وبذلك يتبين مراده ، واذا تبين المراد فلا تدليس ولا ايهـــام وانما التدليس حيث

---

(١) المنهج قسم المصطلح لفضيلة الشيخ السماحى ص ١٤٨ .

يسوقها الراوى ولم يكن لنفسه اصطلاح معلوم فيوهم أنه سمع ولم يسمع) ٠

حكم تعاليقه المرفوعة فى صيغ التمريض

أما الصيغة الثانية فهى صيغة التمريض مثل يذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا ٠ وأنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أو ذكر عن النبى صلى صلى الله عليه وسلم كذا أو فى الباب عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فلا تستفاد منها الصحة الى من علق عنه لكن فيه ما هو صحيح وفيه ما ليس بصحيح فأما ما هو صحيح فلم يوجد فيه ما هو على شرطه الا مواضع يسيرة جدا ووجدناه لا يستعمل ذلك الا حيث يورد ذلك الحديث المعلق بالمعنى كقوله فى الطب :

ويذكر عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرقى بفاتحة الكتاب فأنه أسنده فى موضع آخر من طريق عبيد الله بن الأخنس عن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن نفرا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مروا بحى فيهم لديغ فذكر الحديث فرقيتهم الرجل بفاتحة الكتاب وفيه قول النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبروه بذلك ٠

ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله « فهذا كما ترى لما أورده بالمعنى لم يجزم به اذ ليس فى الموصول انه صلى الله عليه وسلم ذكر الرقية بفاتحة الكتاب انما فيه انه لم ينههم عن فعلهم فاستفيد ذلك من تقريره وأما مالم يورد فى موضع آخر مما أورده بهذه الصيغة فمنه ما هو صحيح الا أنه ليس على شرطه ٠ ومنه ما هو حسن ومنه ما هو ضعيف فرد الا أن العمل على موافقته ومنه ماهو ضعيف فرد لا جابر له٠

فمثال الأول انه قال فى الصلاة ويذكر عن عبد الله بن السائب قال « قرأ النبى صلى اللّه تعالى عليه وسلم — المؤمنون فى صلاة الصبح حتى اذا جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع» وهو

حديث صحيح على شرط مسلم أخرجه فى صحيحه الا أن البخارى لم يخرج لبعض رواته وقال فى الصيام ويذكر عن ابى خالد عن الاعمش عن الحكم ومسلم البطين وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير وسلم ومجاهد « عن ابن عباس قال قالت امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم ان اختى ماتت وعليها صوم شهرين متتابعين » الحديث ورجال هذا الاسناد رجال الصحيح الا ان فيه اختلافا كثيرا فى اسناده وقد تفرد أبو خالد سليمان بن حيان الاحمر بهذا السياق وخالف فيه الحفاظ من أصحاب الأعمش .

ومثال الثانى وهو الحسن قوله فى البيوع « ويذكر عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له اذا بعت فكل واذا ابتعت فاكتل » وهذا الحديث قد رواه الدارقطنى من طريق عبد الله بن المغيرة وهو صدوق عن منقذ مولى عثمان وقد وثق عن عثمان به وتابعه عليه سعيد بن المسيب ومن طريقه أخرجه أحمد فى المسند الا ان فى اسناده ابن لهيعة ورواه ابن بى شيبة فى مصنفه من حديث عطاء عن عثمان وفيه انقطاع فالحديث حسن لما عضده من ذلك ومثال الثالث وهو الضعيف الذى لا عاضد له الا انه على وفق العمل قوله فى الوصايا » ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قضى بالدين قبل الوصية » وقد رواه الترمذى موصولا من حديث ابى اسحاق السبيعى عن الحارث الأعور عن على والحارث ضعيف وقد استغربه الترمذى ثم حكى اجماع أهل العلم على القول به .

ومثال الرابع وهو الضعيف الذى لا عاضد له وهو فى الكتاب قليل جدا وحيث يقع ذلك فيه يتعقبه المصنف بالتضعيف بخلاف ما قبله فمن أمثلته قوله فى كتاب الصلاة ويذكر عن أبى هريرة رفعه «لايتطوع » الامام فى مكانه ، ولم يصح ، وهو حديث أخرجه أبو داود من طريق ليث بن ابى سليم عن الحجاج بن عبيد عن ابراهيم بن اسماعيل عن ابى هريرة وليث بن أبى سليم ضعيف وشيخ شيخه لا يعرف وقد اختلف عليه فيه فهذا حكم جمع مافى الكتاب من التعاليق المرفوعة بصيغتى الجزم والتمريض .

وهاتان الصيغتان قد نقل النووى اتفاق محققى المحدثين وغيرهم على اعتبارهما وأنه لا ينبغى الجزم بشىء ضعيف لأنها صـيغة تقتضى صحته عن المضاف اليه فلا ينبغى أن تطلق الا فيما صح قال وقد أهمل ذلك كثير من المصنفين من الفقهاء وغيرهم واشتد انكار البيهقى عـلى من خالف ذلك وهو تساهل قبيح جدا من فاعله اذ يقول فى الصـحيح يذكر ويروى فى الضعيف قال وروى وهذا قلب للمعانى وحيد عـن الصواب قال :

وقد اعتنى البخارى رحمه الله باعتبار هاتين الصيغتين واعطائهما حكمهما فى صحيحه فيقول فى الترجمة الواحـدة بعض كلامـه بتمريض وبعضه يجزم مراعيا ما ذكرنا وهذا مشعر بتحريه وورعه وعلى هـذا فيحمل قوله ما ادخلت فى الجامع الا ما صح اى مما سقت اسناده والله تعالى اعلم ، أ . هـ .

قال ابن حجر وقد تبين مما فصلنا به أقسام تعاليقه انه لا يفتقر الى هذا الحمل وأن جميع ما فيه صحيح باعتبار انه كله مقبول ليس فيه ما يرد مطلقا الا النادر فهذا حكم المرفوعات .

الموقوفات

أما الموقوفات فانه يجزم منها بما صح عنده ولو لم يكن على شرطه ولا يجزم بما كان فى اسناده ضعيف أو انقطاع الا حيث يكون منجبرا اما بمجيئه من وجه آخر واما بشهرته عمن قاله وانما يورد ما يورد من الموقوفات من فتاوى الصحابة والتابعين من تفاسيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب فى المسائل التى فيها الخلاف بين الأئمة فحينئذ ينبغى أن يقال جميع ما يورد به اما أن يكون مما ترجم له أو مما ترجم به فالمقصود من هذا التصنيف بالذات هو الأحاديث الصحيحة المسندة وهى التى ترجم لها والمذكور بالعرض والتبع الآثار الموقوفة والأحاديث المعلقة ، نعم والآيات المكنونة فجميع ذلك مترجم به الا أنها اذا اعتبرت بعضها مع بعض واعتبرت أيضـا بالنسبة الى الحديث يكون بعضها مع بعض منها مفسر ومنهـا مفسر

فيكون بعضها كالمترجم له باعتبار ولكن المقصود بالذات هو الأصـــل
قال ابن حجر وذكر السيوطى رأى النووى وابن الصــلاح فى التدريب
قال :

وما أورده البخارى فى الصحيح مما عبر عنه بصيغة التمريض وقلنا
لا يحكم بصحته ليس بواه ولا ساقط لا يراده اياه فى الكتاب الموسوم
بالصحيح وعبارة ابن الصلاح ، ومع ذلك فايراده له فى أثناء الصحيح
مشعر بصحة أصله اشعارا يؤنس به ويركن اليه ... أ . ه .

فيقول البخارى ما أدخلت فى كتابى الا ما صــح (١) .
محمول على مقاصد الكتاب وموضوعه ومتون الابواب المســندة
دون التراجم وغيرها .

على أن وجود هذه التراجم انما تزيد من قوة الصحيح فى كتــابه
ومكانته لانها فى جملتها مقوية للصحيح ومعضدة له .
ورأى ابن حجر (٢) ان ما جاء مــن التعاليق التى لم توصــل فى
موضع آخر من كتابه وان لم يكن على شرطه من الاتصال .

فلا يرد عليها اعتراض لانها ليست من موضوع الكتاب وانما ذكرت
استئناسا واستشهادا لأحاديثه الاصلية فى الكتاب وأن مراده بذلك أن
يكون الكتاب جامعا لأخذ الأحاديث التى يحتج بها (الا ان منها ما هو
على شرطه فساقه سياق اصل الكتاب ومنها ما هو على غير شرطه فغاير
السياق فى ايراده ليمتاز فانتقى ، ايراد المعلقات وبقى الكلام فى علل
الاحاديث المسندات واذا علمنا أن ابن حجر بعد ذلك قد وصلها . فقــد
تحقق وتأكد ما قاله بصورة أوضح من نفى ايراد اعتراض المعلقات .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠ ، ٧٢ المعلق ـ مقدمة مسلم للنووى ١ ـ ٨ التدريب ١ ـ ٦٢ مقدمة فتح البارى ١ ـ ١٢ .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠ ، ٧٢ المعلق ـ مقدمة مسلم للنووى ١ ـ ٨ التدريب ١ ـ ٢ مقدمة فتح البارى ١ ـ ١٢ .

قال ابن الصلاح فى مقدمة مسلم ما وقع فى صحيح البخارى ومسلم مما صورته صورة المنقطع ليس ملتحقا بالمنقطع فى خروجه من حيـــــز الصحيح الى حيز الضعيف ويسمى هذا النوع تعليقا ٠

أهمية تعاليق البخارى ووصلها

وقد شعر المتقدمون بأهمية تعاليق البخارى وأنها مفتقرة الى أن يصنف فيها كتاب خاص تسند فيه تلك المعلقات وتبين درجتها وقد صرح بذلك ــ على ما فى مقدمة الفتح أبو عبد الله بن رشيد فى كتاب ترجمان التراجم ٠

وقد انبرى لهذا الميدان الفسيح الحافظ بن حجر الذى تخصص فى جامعة صحيح البخارى فقدم بذلك للحديث والمحدثين وحماة السنة ومحبيها أجمل فضل وكان صاحب السبق فى وصل المعلقات المرفوعـــة ومعها المتابعات فى مقدمته قال : وما علمت احدا تعرض للتصنيف فى ذلك وانه لمهم لمن له عناية بكتاب البخارى وعقد فصـــلا فى مقدمته ســـــــاق فيه تعاليق الصحيح المرفوعة وأشار الى من وصلها ٠

وأضاف الى ذلك المتابعات لالتحاقها بها وبدأها على ترتيب ابواب الصحيح فيقول مثلا (من بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم) متابعة عبد الله بن يوسف عن الليث وصلها المؤلف فى الانبيـــاء وفى التفسير ومتابعة ابى صالح عنه وصلها يعقوب ابن ســـفيان فى تاريخه عنه وفى الايمان حديث عبد الله بن عمر ٠

(والمسلم من سلم) الحديث رواية أبى معاوية فيه وصـــلها اسحاق ابن راهوية فى مسنده عنه ووصلها ابن حبان فى صـــــحيحه وفى (باب الاستنثار فى الوضوء) قوله (ويذكر عن جابر أن النبى صلى الله عليـــه وسلم كان فى غزوة ذات الرقاع) الحديث هو مختصر من حديث طويل

وصله أبو يعلى فى مسنده وابن خزيمة فى صـــحيحه وأبو داود وغيرهم رواية شعبية عن الأعمش وصلها مسلم .

وعلى هذا النمط سار فى وصل المتابعات والمعلقات المرفوعة ممـــا يدل على سعة أفقه وقوته العلمية .

ولم يقف ابن حجر عند هذا الحد بل سمت همته فوصـــــل جميع المعلقات من الاحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة والمتابعات الموجودة فى الصحيح وذكرها باسناده الى المكان المعلق فى مؤلف خاص ســـــماه (تغليق ــ التعليق) فجاء كما يقول ابن حجر كتابا حافلا وجامعا كاملا لم يفرده أحد بالتصنيف .

ولكن مع الأسف ان هذا الكتاب الذى اشاد به ابن حجر ونبه على أهميته لم يلق عناية ما من المحدثين والهيئات العلميـــة على أهميتـــه فى توثيق هذه الثروة الفريدة من المعلقات والمتابعات فى الصحيح ــ بـــل ان كل ما صادفته فى كتب الكاتبين فى هذا العصر فى المعلقات انهم ينقلون اسم الكتاب خطأ نقلا عن المقدمة لوجوده فيها كذلك ولم يكلفوا انفســـهم التحقق من اســـمه فهم ينقلونه هكـــــذا (تعليق التعليق) وهو تغليق التعاليق كما رأيت ولتسميته بموضوعه علاقة لأنه غلق كل ما علق وملأ فراغ الاسناد قال ابن حجر : سميته تغليق التعليق لأن أسانيده كانت كالابواب المفتوحة فغلقت ، وقد اطلعت عليه مخطوطا فى المكتبة الازهرية والامل كبير ان تمتد اليه يد مخلصة من الهيئات أو الافراد المخلصين للسنة حتى يطبع هذا الكتاب الذى هو فى الواقع عمـــاد قوى وســـــند متين فى تقوية الثقة بما وجد من المعلقات والمتابعات فى اصح كتاب بعد كتاب الله وكتاب تغليق التعليق لابن حجر موجود مخطوط بالمكتبـــــــة الأزهرية السقا تحت رقم ٢٨٥٠٢ .

وقد عقد ابن حجر فى مقدمته فصلا ساق فيه رجال من علق البخارى شيئا من حديثهم وتكلم فيهم قال فيه وما يعلقه البخارى من أحاديث هؤلاء انما يورده فى مقام الاســـــتشهاد وتكثير الطرق فلو كان ما قيل فيهم « فرضا » قادحا ما ضر ذلك أ هـ أو على أن هذه التعاليق التى لم

يجعلها البخارى من أصل موضوع كتابه لا لشىء الا لأنه اشترط الاتصال وألزم نفسه به فى موضوع كتابه — وهى عند غيره من الصحيح الذى هو من أصول الكتاب وهذا اصطلاح أمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه حيث جعلها من موضوع كتابه فاعتبرها من الصحيح عامة — فاذا أضيف الى ذلك وصل ابن حجر لها مع ما تقدم من أنه أوردها به استشهادا وتكرارا بما أورده فى الاصول تزداد ثباتا وقوة وأصبح لا مجال مطلقا لاعتراض فيها •

اغراض البخارى فيما جزم به عن المضاف اليه فى المرفوع

وقد قسم [1] ابن حجر المعلق من المرفوعات الى قسمين :

القسم الأول — ما يوجد فى موضع فى كتابه الجامع موصولا فالسبب ايراده • أنه يورده معلقا حيث يضيق مخرج الحديث اذ من قاعدته أنه لا يكرر الا لفائدة فمتى ضاق المخرج واشتمل المتن على احكام فاحتاج الى تكرير فانه يتصرف فى الاسناد بالاختصار خشية التطويل لضيق المخرج واشتمال المتن على أحكام متعددة فاحتاج الى التكرير والتصرف فى الاسناد •

الثانى مالا يوجد فيه الا معلقا وها هى أغراضه فيما ذكره بصيغة الجزم وذلك على أقسام •

١ — لا يلتحق بشرطه والسبب فى عدم ايصاله اما الاستغناء بغيره عنه مع افادة الاشارة اليه وعدم اهماله بايراده معلقا اختصارا واما كونه لم يسمعه من شيخه أو سمعه مذاكرة أو شك فى سماعه فما رأى أنه يسوقه مساق الاصول •

مثاله : قوله فى الوكالة : قال عثمان بن الهيثم حدثنا عون حدثنا محمد بن سيرين عن ابى هريرة قال وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة رمضان وأورده فى (فضائل القرآن) وفى ذكر ابليس ولم يقل فى موضع منها حدثنا عثمان فالظاهر عدم سماعه له منه •

---

(١) المقدمة ج = ص ١٢ •

قال شيخ الاسلام ابن حجر وقد أستعمل الصيغة فيما لم يسمعه من مشايخه فى عدة أحاديث فيوردها عنهم بصيغة •

قال فلان ، ثم يوردها فى موضع آخر بواسطة بينه وبينهم كما قال فى التاريخ : وقال ابراهيم بن موسى نبأ هشام بن يوسف وذكر حديثا ثم يقول حدثونى بهذا عن ابراهيم •

وقال ولكن ليس مطردا فى كل ما أورده فى هذه الصيغة على أنه سمعه من شيوخه قال السيوطى : قولنا (يلتحق بشرطه) ولم نقل أنه على شرطه لانه وان صح فليس من نمط الصحيح المسند فيه نبه عليه ابن كثير •

٢ — مالا يلتحق بشرطه ولكنه صحيح على شرط غيره •

مثاله : قوله فى الطهارة وقالت عائشه : كان النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الله على احيانه — فان مسلما قد اخرجه فى صحيحه •

٣ — ما هو حسن صالح للحجية :

مثاله قوله : وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : الله أحق أن يستحى منه • فهو حديث حسن مشهور أخرجه أصحاب السنن •

٤ — ما هو ضعيف لا من جهة قدح برجاله ولكن من جهة انقطاع يسير فى اسناده •

قال الاسماعيلى : قد يضع البخارى ذلك اما لانه سمعه من ذلك الشيخ بواسطة من يثق به عنه وهو معروف مشهور عن ذلك الشيخ واما لأنه سمعه ممن ليس من شرط الكتاب فنبه على ذلك الحديث بتسميته من حدث به لا على التحديث به عنه :

مثاله قوله فى الزكاة وقال طاووس قال معاذ بن جبل لاهل اليمن أيتونى بعرض ثياب خميص أو لبيس فى الصدقة مكان الشعير والذرة اهون عليكم وخير لاصحاب محمد فاسناده الى طاووس صحيح الا أن طاووس لم يسمع من معاذ فكل ما كان كذلك بصيغة الجزم فانه يفيد الصحة الى من علق عنه •

وقد قال الامام ابن حجر (1) فاما ما اعترض به بعض المتأخرين بنقضه هذا الحكم فى صيغة الجزم وأنها لا تفيد الصحة الى من علـــق عنه بأن المصنف أخرج حديثا قال فيه قال عبد الله بن الفضـــل عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال لا تفاضلوا بين الأنبياء الحديث فان أبا مســـعود الدمشـــقى جزم بأن هـــذا ليس بصحيح لأن عبد الله بن الفضل انما رواه عن الأعرج عن أبى هريرة لا عن أبى سلمة ثم قوى ذلك بأن المصنف أخرجه فى موضع آخر موصولا فقال :

عن عبد الله بن الفضل عن الاعرج عن أبى هريرة :

فهذا اعتراض مردود والقاعدة صحيحة لا تنتقض بهذا الايراد الواهى وقد روى الحديث المذكور أبو داود الطيالسى فى مســـنده عن عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة كما علقه البخـــارى سواء . فبطل ما ادعاه ابو مسعود من ان عبد الله بن الفضل لم يروه الاعن الاعرج وثبت أن لعبدالله بن الفضل فيه شيخان — فلا اعتراض.

الاعتبارات والمتابعات والشواهد

والاعتبار (2) هو سبر الحديث والنظر فيه وليس قسيما للمتابعات والشواهد بل هو الطريق الى معرفتها .

فاذا روى حماد مثلا حديثا عن أيوب عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه فالاعتبار أن ينظر هل تابع حمادا ثقة فروى ذلك الحديث عن أيوب فان لم يجد الباحث نظر فيمن بعده هل تابع ايوب ثقـــة عن ابن سيرين والا فثقة غير ابن سيرين عن أبى هريرة والافصحابى غير أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أو ينظر هل وجد حديث آخر بمعناه فاذا وجد ذلك علم ان له أصلا يرجع اليه والا فلا فهذا النظر هو الاعتبار ومنه يعلم المتابعات والشواهد .

(1) المقدمة 12/1 .

(2) مقدمة ابن الصلاح ص 90 وشرح النووى والبخارى ص 13 والعينى ج 1 ص 8 .

فالمتابعة بأن يروى هذا الحديث عن أيوب غير حماد أو عن ابن سيرين غير أيوب أو عن أبى هريرة غير ابن سيرين أن عن النبى غير أبى هريرة فكل نوع من هذه يسمى متابعة وأفضلها الأولى فتسمى المتابعة التامة ثم على الترتيب وسببه ان المتابعة تقوية والمتأخر الى التقوية أحوج .

والشاهد بأن يروى حديث آخر بمعنى ذلك الحديث .

ويسمى المتابع شاهدا ولا ينعكس ويدخل فى المتابعات والشواهد بعض من لا يحتج به ولا يصلح لذلك كل ضعيف ولهذا يقول الدارقطنى وغيره فى الضعفاء فلان يعتبر به وفلان لا يعتبر به والسبب فى أنه يدخل فيهما من لا يحتج به أنهما للتقوية فقط والاستئناس لا للتأسيس وان الأصل أغنى عنهما ، فالبخارى يأتى بالمتابعة ظاهرة كقوله فيمن رواه حماد عن ايوب عن ابن سيرين تابعه مالك عن أيوب أى تابع مالك حماد فرواه عن أيوب كرواية حماد فالضمير فى تابعه يعود الى حماد وتارة يقول تابعه مالك ولا يزيد فيحتاج اذن الى معرفة طبقات الرواة ومراتبهم .

وقال شيخ الاسلام ابن حجر على ما فى التدريب (1) قد يسمى الشاهد متابعة أيضا . والأمر سهل مثل ما اجتمع فيه المتابعة التامة والقاصرة والشاهد ما رواه الشافعى فى الام عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين فهذا الحديث بهذا اللفظ ظن قوم أن الشافعى تفرد به عن مالك فعدوه من غرائبه لان اصحاب مالك رووه عنه بهذا الاسناد بلفظ فان غم عليكم فاقدروا له — لكن وجدنا للشافعى متابعا وهو عبد الله ابن مسلمة ، القعبنى ، كذلك أخرجه البخارى عنه عن مالك وهذه متابعة تامة .

ووجدنا له متابعة قاصرة فى صحيح ابن خزيمة من رواية عاصم

---

(1) التدريب ص ١٥٥ .

ابن محمد عن أبيه محمد بن زيد عن جده عبد اللـــه بن عمر فأكملـــوا ثلاثين ورواه البخارى من رواية محمد بن زياد عن ابى هريرة بلفظ فان أغمى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين وذلك شاهد بالمعنى أ هـ .

ومثال المتابعة من دراسة صحيح البخارى فى باب (١) أهل العلم والفضل أحق بالامامة حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا ابن وهب قال حدثنى يونس عن ابن شهاب عن حمزة بن عبد الله أنه اخبره عن أبيه قال لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعهقيل له فى الصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة ان أبا بكر رجل رقيـــق اذا قرأ غلبه البكاء قال مروه فيصلى فعاودته قال مروه فيصلى انكن صواحب يوسف تابعه الزبيدى وأبن اخى الزهيرى واسحاق بن يحيى الكلبى عن الزهرى وقال عقيل ومعمر عن الزهرى وعن حمزة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومثال المتابعة أيضا (باب (٢) ما قيل فى شهادة الزور) يقول اللـــه عز وجل (والذين لا يشهدون الزور) وكتمان الشهادة (ولا تكتمـــوا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبـــه واللـــه بما تعملـــون عليم) تلووا ألسنتكم بالشهادة حدثنا عبد الله بن منير سمع وهب بن جرير .

وعبد الملك بن ابراهيم قال حدثنا شعبة عن عبيد الله بن أبى بكر ابن انس عن أنس رضى الله عنه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكبائر قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور تابعه غندر وأبو عامر وبهز وعبد الصمد عن شعبه .

عدد أحاديث (٣) صحيح البخارى وأبوابه

قال الحافظ بن حجر العسقلانى انى عددتها فبلغت بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثـــا قال وجملة ما فيه التعاليق ألف وثلثمائة وواحد وأربعون وأكثرها مخرج فى

(١) صحيح البخارى ص ١ — ١١٢ كتاب الجماعة والامام .
(٢) صحيح البخارى ٣ — ١٥٠ — كتاب الشهادات .
(٣) مقدمة الفتح جـ ٢ ص ١٨٣ .

أصول متونه والذى لم يخرجه مائة وستون قال وفيها من المتابعات والتنبيهات على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأربعة وثمانون وقال فى المقدمة ان ما وقع فى صحيح البخارى من الاحاديث الموصولة بدون تكرار الفا حديث وأربع مائة وستون حديثا ومن المتون المعلقة المرفوعة التى يصلها فى موضع آخر من الجامع مائة وتسعة وخمسون حديثا فجميع ذلك الفا حديث وستمائة وثلاثة وعشرون حديثا وقال التوقادى صاحب مفتاح الصحيحين جميع أبواب صحيح البخارى على ما أحرزته ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون (١) • وقد أيد كلام ابن حجر بعد أن ذكر فصلا عدد فيه ما لكل صاحبى فى صحيح البخارى فى الموصول بلا تكرير فوجدها ٢٦٠٢ كما قال ابن حجر •

وقد قال ابن حجر فى المقدمة فجميع ما فى الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا وهذه العدة خارجة عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين فمن بعده وقد استوعبت وصل جميع ذلك فى كتاب تغليق التعليق وهذا ما حررته من عدة أحاديث البخارى تحريرا بالغا فتح الله به لا أعلم من تقدمنى اليه وأنا مقر بعدم العصمة والسهو والخطأ والله المستعان .

آدب طالب (٢) الحديث البخارى

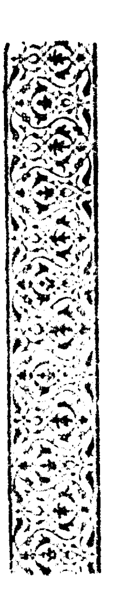
قال أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن زايد الهمذانى لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسى الى طلب الحديث فقصدت محمد بن اسماعيل البخارى وأعلمته مرادى فقال لى يابنى لا تدخل فى أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره — ثم بين له البخارى آداب طالب الحديث وعدته فبين أنه يحتاج الى كتابة أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وتشريعاته والصحابة ومقاديرهم والتابعين وأحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالها وكناهم وامكنتهم وازمنتهم — كما التحميد مع الخطيب والدعاء مع التوسل والبسملة مع الصورة والتكبير

(١) مفتاح الصحيحين للتوقادى ص ٤ .

(٢) تدريب الراوى ص ٣٥٧ ومقدمة القسطلانى ص ٧ .

مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعـــات فى صغره وفى ادراكه وفى شبابه وفى كهولته عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبرارى على الاحجـــار والاصداف والجلود والاكتاف الى الـــوقت الـــذى يمكنـــه نقلها الى الأوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب أبيه وتيقن أنه بخط أبيه دون غيره لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله تعالى منها ونشرها بين طالبيها والتأليف فى احياء ذكره بعد ، ثم لا تتم هذه الأشياء الا بمعرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو وهذه من كسب العبد ثم هو فى حاجة الى اعطاء الله تعالى من الصحة والقدرة والحرص والحفظ فاذا صحت له هـــذه الأشياء هان عليه الأهل والولد والمال والوطن وابتلى بشـــماتة الأعـــداء ومـــلامة الأصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن أكرمه الله تعالى فى الدنيا بعز القناعة وبهيبة اليقين وبلذة العلم وبحياة الأبد واثابة فى الآخرة بالشفاعة لمن أراد من اخوانه .

وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله وبسقى من أراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين فى أعلى عليين فى الجنة فقد أعلنتك يابنى بمجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخى متفرقا فى هذا الباب فأقبل الآن على ما قصدتنى له أو دع .



الباب الرابع

فقه البخاري

محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة
أبو نعيم بن حماد الخزاعى

المحدثون والفقه فى عصر البخـــارى وشيوخه (١)

فى ذلك العصر كثر تدوين الحديث والأثر فى بلدان الاسلام وكتابة الصحف والنسخ حتى قل من يكون من أهل الرواية الا كان لهم تدوين أو صحيفة أو نسخة •

فطاف من أدرك من عظمائهم ذلك الزمان ــ بلاد الحجاز والشام والعراق ومصر واليمن وخراسان وجمعوا الكتب وتتبعوا النســـخ وأمعنوا فى غريب الحـــديث ونوادر الأثر فاجتمع باهتمـــام أولئك من الحديث والآثار ما لم يجتمع لأحد قبلهم وخلص اليهم عن طرق الحديث شىء كثير حتى كان يكثر من الأحاديث عندهم مائة طريق فما فوقها •

فكشف بعض الطرق ما استتر فى بعضها الآخر وعرفوا محل كل حديث من الغرابة والاستنباط وأمن لهم النظر فى المتابعات والشواهد وظهر عليهم أحاديث كثيرة لم تظهر على أهل الفتـــوى من قبل قال الشافعى لأحمد : أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا فاذا كان خبر صحيح فأعلمونى حتى أذهب اليه كوفيا كان أو بصريا أو شـــاميا ــ حكاه ابن الهمام • وذلك بأنه كم من حديث صحيح لا يرويه الا أهل بلد خاصة كأفراد الشاميين والعراقيين أو أهل بيت خاصة كنسخة بريد عن أبى بردة عن أبى موسى : فمثل هذه الاحاديث يغفل عنها عامة أهل الفتوى •

واجتمعت عندهم آثار فقهاء كل بلد من الصحابة والتابعين وكان الرجل فيما قبلهم لا يتمكن من جمع حديث بلده وأصـــحابه • وأمعنت

---

(١) مقتبس من كتاب حجة الله البالغة لولى الله الدهلوى ١/١٤٨ .

هذه الطبقة فى هـذا الفن وجعلوه شـيئا مسـتقلا بالتدوين والبحث وناظروا فى الحكم بالصحة والانقطاع على من سبقهم فقد كان سفيان ووكيع وأمثالهما يجتهدون غاية الاجتهاد فلا يتمكنون من الحـديث المرفوع المتصل الا من دون ألف حديث كما ذكر أبو داود السجستانى فى رسالة الى أهل مكة .

وكان أهل هذه الطبقة يروون دون ألف حديث فما يقرب منها بـل صح عن البخارى أنه اختصر صحيحه من ستة آلاف حديث .

وعن أبى داود أنه اختصر سننه من خمسة آلاف حديث . وجعل أحمد مسنده ميزانا يعرف به حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم فما وجد فيه ولو بطريق منه فله أصل والا فلا أصل له فكان رءوس هؤلاء عبد الرحمن بن مهدى ويحيى بن سعيد القطان ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وأبو بكر بن أبى شيبة ومسدد وهناء وأحمد بن حنبـل واسحاق بن راهوية والفضل بن دكين وعلى بن المدينى وأقرانهم وهذه الطبقة هى الطراز الاول من طبقات المحدثين فرجع المحققون منهم بعد أحكام فن الرواية ومعرفة مراتب الاحاديث الى الفقه وأحكامه .

منهج المحدثين فى استنباط الاحكام

لم يكن فى ذلك العصر من الرأى أن يجتمع على تقليد رجل ممن مضى : مع ما يرون من الأحاديث والآثار والمناقضة فى كل مذهب من تلك المذاهب فأخذوا يتتبعون أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين والمجتهدين ـ على قواعد أحكموها فى نفوسهم .

قال الدهلوى : وأنا أبينها لك فى كلمات يسيرة ـ كان اذا وجـد فى المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول عنه الى غيره .

واذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية عليه ـ فاذا لم يجدوا فى كتاب الله أخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء

كان مستفيضا دائرا بين الفقهاء • أو لم يعملوا به ومتى كان فى المسالة حديث فلا يتتبع خلاف أثر من الآثار ولا اجتهاد أحد من المجتهدين •

واذا فرغوا جهدهم فى تتبع الأحاديث ولم يجدوا فى المسألة حديثا أخذوا بأقوال مجاعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون بقوم دون قوم ولا بلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم (١) •

فان اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شىء فهــو المقنع وان اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم وأورعهم ورعا أو أكثرهم ضبطا أو ما اشـــتهر عنهم فان وجدوا شيئا يستوى فيه قولان فى مسألة ذات قولين فان عجزوا عن ذلك أيضـــا تأملوا فى عمومات الكتـــاب والسنة وايماآتهما وحملوا نظير المسألة عليها فى الجواب اذا كانتا متقاربتين بادى الرأى لا يعتمدون فى ذلك على قواعد الاصول ولكن على ما يخلص الى الفهم ويثلج به الصدر كما أنه ليس ميزان التواتر عدد الرواه ولاحالهم ولكن اليقين الذى يعقبه فى قلوب الناس ـ كما كان الحال عند الصحابة ـ وكانت هذه الأصول مستخرجة عن صنيع الأوائل وتصريحاتهم ، وعن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وان لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الأمر سنة قضى بها فان أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتانى كذا وكـــذا فهل علمتهم أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى ذلك القضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فيه قضـــاء فيقـــول أبو بكر : الحمد لله الذى جعل فينـــا من يحفظ ســـنة نبينا فان أعيـــاه ان يجد فيه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جمـــع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به وعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب اليه ان جاء لك شىء فى كتاب اللـــه فاقض به ولا يلفتك عنه الرجال فان جاءك ما ليس فى كتاب الله فانظر

---

(١) مقتبس من حجة الله البالغة ١٥١/١ •

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض به فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظـــر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الأمرين شئت ان شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وان شئت تتأخر فتأخر ولا أرى التأخير الا خيرا لك •

وبالجملة فلما مهدوا الفقه على هذه القواعد فلم تكن مســألة من المسائل التى تكلم فيها من قبلهم والتى وقعت فى زمانهم الا وجدوا فيها حديثا مرفوعا متصلا أو مرسلا أو موقوفا صــحيحا أو حسنا أو صالحا للاعتبار أو وجدوا أثرا من آثار الشيخين ـ (أبى بكر وعمر) أو ســائر الخلفاء وقضاة الانصار وفقهاء البلدان أو استنباطا من عموم أو ايماء أو اقتضاء فيسر الله لهم العمل بالسنة على هذا الوجه •• وكان أعظمهم شأنا وأوسعهم رواية واعرفهم للحديث مرتبة واعمقهم فقهـــا أحمد بن محمد بن حنبل ثم اســحاق بن راهوية وهمــا من أســاتذة البخارى ومعاصريه ـ وكان ترتيب الفقه على هذا الوجه يتوقف على جمع شىء كثير من الاحاديث والآثار حتى سئل احمد : يكفى الرجـــل مائة ألف حديث يفتى ؟

قال : لا ـ حتى خمسمائة ألف حديث • قال :

أرجو ، كذا فى غاية المنتهى ، مراده الافتاء على هذا الأصــل ثم أنشأ الله تعالى قرنا آخر فرأوا أصحابهم قــد كفــوهم مؤونة جمــع الأحداث وتمهيــد الفقه على أصــلهم فتفرغوا لفنــون أخرى كتمييز الحديث الصحيح المجمع عليه بين كبراء أهل الحديث كزيد بن هــارون ويحيى بن سعيد القطان وأحمد واسحاق وأضرابهم :

وكجمع أحاديث الفقه : التى بنى عليها فقهاء الأمصار وعلمـــاء البلدان مذاهبهم •

وقد حكم على كل حديث بما يستحقه • وكالشاذة من الأحاديث

التى لم يرووها أو طريقها التى لم يخرج من جهتها الأوائل مما فيه اتصال أو علو سند أو رواية فقيه عن فقيه أو حافظ عن حافظ ونحو ذلك من المطالب العلمية وهؤلاء هم البخارى ومسلم وأبو داود وعبده ابن حميد والدارمى وابن ماجه وأبو يعلى والترمذى والنسائى والدارقطنى والحاكم والبيهقى والخطيب والديلمى وابن عبد البر وأمثالهم .

وكان أوسعهم علما عندى وأنفعهم تصنيفاً وأوسعهم ذكرا رجال أربعة :

(البخارى ، مسلم ، أبو داود السجستانى ، أبو عيسى الترمذى)
— أولهم — أبو عبد الله البخارى وكان غرضه تجريد الأحاديث الصحاح المستفيضة المتصلة من غيرها واستنباط الفقه والسيرة والتفسير منها فصنف .. جامعه الصحيح .. ووفى بما شرط قال الدهلوى : وبلغنا أن رجلا من الصالحين رأى رسول الله صلى الله علية وسلم فى منامه . وهو يقول :

مالك اشتغلت بفقه محمد بن ادريس وتركت كتابى ؟

قال : يا رسول الله وما كتابك ؟

قال : صحيح البخارى — ولعمرى انه نال من الشهرة والقبول درجة لا يرام فوقها .

منهج البخارى فى تدوين فقهه وأثره

أما منهج البخارى . فهو وان اتفق بالنسبة لمصدره مع الأئمة فى الاستنباط من الكتاب والسنة .

الا أنه يختلف عنهم من حيث طريقة تدوين الأحكام فلم ينهج نهجهم فى فرز الأحكام عن أصولها . ولكنه يترجم بها للحديث . ولذا قالوا : فقه البخارى فى تراجمه وقد يعلق على الأحاديث أحيانا فى عقبها بالرأى ويدعم الحكم بمعلقات الصحابة والتابعين وأقوالهم الفقهية . وقد يكتفى بها تعبيرا عن رأيه .

وهى طريقة لها مميزاتها — وهى الاطمئنان الى الأصل الذى أخذ منه الحكم والاطمئنان الى الحكم الذى أيده الصحابى أو التابعى أو قال به — وفتح الباب أمام المجتهد المؤهل : ليرى مدى علاقة الحكم وصلته بالحديث أو الآية ورأيه فى ذلك واذا امتــازت طريقــة البخارى فى تدوين فقهه بهذه المميزات فطريقة الفقهاء لها مميزاتها العظمى فهى تمتاز بكثرتها وتفصيلها للأحكام لتفرغهم لهذه الناحية واقتصارهم عليها بخلاف البخارى فانه كمــا تعرض للفقه فى أبوابه تعرض — للعقيــدة والسيرة والأدب وغير ذلك فلم يبلغ فى كثرة الأحكام وتعريفها مبلغهم •

وكلا الطريقتين تعاونتا على حفظ دين الله واحكامه فقد كان تدوين الحديث فى ذلك العصر الذهبى للسنة الذى كان البخارى هو رائــــد ازدهاره وجاء هذا العصر عقب عصر الفقهاء الأربعة فكان الهاما من الله وتدعيما لآراء الفقهاء وتثبيتا لها على مر الدهور بعرض أصـــــول ما استنبطوا منه أحكامهم حتى تعطى الأحكام صبغة الثبــات والخلود هذا بالاضافة الى ما دون ذلك فى عصر الفقهاء فى كتبهم كالموطـــــأ ومسند الامام أحمد وهكذا تحقق قول الله تعالى : (انا نحن نزلنـــا الذكر وانا له لحافظون) فحفظه كتابا يتلى وسنة موحاه ايضاحا لـــه وتفصيلا لأحكامه — وقوانين مدونة من الوحى قرآنا وسنة — هى الفقه وتحقق قوله عليه السلام : « يحفظ هذا العلم فى كل زمن عدوله فحفظ الحديث بفرز ثماره فى عصر الفقهاء وفى بعض الاحيــــان مع بعض الأصول » • ثم حفظ بالاضافة الى ثماره كما هو فى صحيح البخارى وحفظ أصولا لم تستخرج أحكامها معها كما فى صحيح مسلم حيث ساق الحديث ولم يبوب له •

وشاء الله الذى وعد بحفظ دينه هذا النظام البديع — تحفظ السنة ويجمع الكثير منها فى عصر الصحابة والتابعين ثم تجمع الأحاديث وتبوب منها أبواب الفقه وقوانينه ثم تجمع الأصول مرة أخرى فى صورة زاهية مدعمة للأحكام السابقة مثمرة لأحكام الفقهاء مرجحــة لبعض جوانب الخلاف الفرعى ومعروضة أمام المجتهد يقتبس منهاويستخلص الحكم

لما يجد فى فروع الحياة العامة من مسائل مطبقا على اصول الاسـلام وروح الشريعة ويرجح ما شاء من أحكام الخلاف والرجل وذكاءه والرجل وفطنته .

وهذا ما لم يتوفر لأى تراث أو قانون على الاطلاق .

هل البخارى من منتسـب لمذهب معين ؟

لقد تنازع أتباع الأئمة الأربعة نسبة مذهب البخارى اليهم .

فترجم له ابن السبكى فى طبقات الشافعية ترجمة ضافية (١) وروى أنه سـمع من الزعفرانى . وأبى ثـور . والكرابيسى . وتفقـه على الحميدى وكلهم من أصحاب الشافعى ولم يرو عن الشافعى فى الصحيح لأنه أدرك أقرانه — والشافعى مات مكتهلا فلا يرويه نازلا .

وروى عن الحسين وأبى ثور مسائل عن الشافعى . وذكر الشافعى فى موضعين فى جامعه الصحيح فى باب الركاز الخمس .

وفى باب العرايا والبيـوع — ورقم شـيخنا المزى فى التهـذيب للشافعى بالتعليق وذكر هذين المكانين أ . هـ .

كما ترجم له الفرء فى طبقات الحنابلة (٢) . ومعلـوم بأن من أساتذته الامام احمد بن حنبل ، وقال المالكية : هو مالكى — روى الموطأ عن عبد الله بن يوسـف التنيسى وسـعيد بن عنبر وابن بكير . وقـال الاحناف : ان استاذه الذى أشار عليه بجمـع الصـحيح اسحاق بن راهوية وهو حنفى — وقد تلقى عنه البخارى فهو حنفى .

وهذه أدلة لاثبات لها — يشير الى وهنها . تعارضها .

فليست الرواية عن شخص تستلزم أن يكون الآخذ متبعا لمذهب من أخذ عنه ويكون غير مجتهد — ولو كان الأمر كذلك لكان كل أمام من

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى ٢/٤ .
(٢) طبقات الحنابلة ٢٧١/١ .

الأئمة على مذهب السابق له مع أن الأمر ليس كــذلك فمن المعلوم أن الشافعى رضى الله عنه تتلمذ على الامام مالك رضى اللـــه عنه وحفظ موطأه وأخذ الامام أحمد عن الشافعى فقهه وأخذ الشافعى عن الامام أحمد الحديث وكان يقول للامام أحمد : أنتم أعلم بالأخبار الصـــحيحة منا فاذا كان خبر صحيح فأعلمونى حتى أذهب اليه كوفيا كان أو بصريا أو شاميا •

وأخذ الامام مالك أكثر فقهه عن ربيعة الرأى وحكى : أن ربيعـــة تعلم عن أبى حنيفة وأخذ أبو حنيفة عن ابراهيم النخعى ثم ان محمدا ابن الحسن أحد أركان المذهب الحنفى تفقه على أبى حنيفة وأبى يوسف ثم رجع الى نفسه فطبق مذهبه على الموطأ ثم خرج الى المدينـــة فقرأ الموطأ على الامام مالك •

وكل هؤلاء من الأئمة الاعلام فقهاء مجتهدون واســـتفادوا ممن سبقهم واجتهدوا فى استنباط الأحكام طبقا للكتاب والسنة وما يشيران به من أقوال الصحابة والتابعين والقياس والاجماع فأبرزوا للعلم ثروة فقهية قانونية مرجعا ومادة واسعة للتشريع الاسلامى وهكذا شـــأن البخارى حفظ الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين وأقوالهم واطلع على الفقه عامة فأصبح صاحب ملكة صافية فى اســـتنباط احكام من الحديث باجتهاده مستنيرا بثروته العلمية والفقهية •

يقول الكشميرى (1) : ان البخـــارى مجتهد لا ريب فى ذلك ومـــا اشتهر أنه شافعى فلموافقته اياه فى المسائل المشـــهورة والا فموافقته للامام الأعظم أبى حنيفة ، ليس أقل مما وافق فيه الشافعى وكونه من تلامذة الحميدى • ولا ينفع لأنه من تلامذة اسحاق بن راهوية أيضا وهو حنفى فعده شافعيا باعتبار الطبقة ليس بأولى من عده حنفيا وأمـــا الترمذى فهو شافعى المذهب لم يخالفه صراحة الا فى مســـألة الأبراد والنسائى وأبو داود حنبليان صرح به الحافظ ابن تيمية — وزعم آخرون

---

(1) فيض البارى ج 1 ص 58 •

أنهما شافعيان وأما مسلم وابن ماجه فلايعلم مذهبهما وأما أبواب مسلم فليست مما وضعها المصنف رحمه الله تعالى بنفسه ليستدل منها على مذهبه . أ ٠ هـ ٠

ولا يصح أن يقال أن البخارى مجتهد مذهب بحجة أنه لم يؤثر عنه أنه أصل الأصول كالشافعى اذ لو صح هذا المقياس لما كان الامام مالك وأبو حنيفة من المجتهدين على الاطلاق [1] ٠

ومن الناحية التطبيقية فان الدارس لصحيح البخارى وتراجمه يجد أنه لم يلتزم مذهبا معينا بل هو دائر مع معنى الحديث يستنبط منه الحكم المناسب عنده وافق أى مذهب أو خالفه مستدلا على ايضاح معنى الحديث بما يرويه من المعلقات والآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين ثم هو على معرفة واسعة بفقهاء الصحابة والتابعين وآرائهم — ويتضح ذلك مع ذكر آرائهم يقول قال : ابن عمر — قل عثمان بن عفان — قال الحسن — قال عطاء : قال ابن عباس وهذا النهج يدل على معرفته بفقه الصحابة والتابعين فهو يعطى للقارىء فى صحيحه صورة رائعة ومرآة مجلوة بها رأيه ورأى الفقهاء واصل الرأى وهو الحديث مثال ذلك من صحيحه قوله فى كتاب الوضوء (باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر) [2] وكرهه الحسن وأبو العالية ٠

وقال عطاء التيمم أحب الى من الوضوء (ثم جاء بالحديث) الذى ترجم ما استنتجه فيه من الحكم بعدم الجواز — وذكر فيه كراهية الأئمة قال حدثنا على عن الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا الزهرى عن أبى سلمة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل شراب أسكر فهو حرام ٠

قال الكشميرى [3] : اعلم أن محل الخلاف فيما ألقيت فى المــاء

---

(1) بمقدمة الشيخ عبد الغنى ٠
(2) الجامع الصحيح ٤٨/١ ٠
(3) فيض البارى ٣٤٠/١ ٠

تميرات حتى صار حلوا رقيقا غير مطبوخ ولا مسكر فان أسكر أو طبخ فلا خلاف فى عدم الجواز كما فى المبسوط وفى البحر نقلا عن (قاضيخان) ان الامام أبا حنيفة رجع عنه الى مذهب الجمهور وهو عدم الجواز مطلقا والطحاوى أيضا تركه ولم ينتصر للمذهب المرجوع عنه أ . هـ .

وفى كتاب الاضاحى من الصحيح (باب سنة الأضحية) وقال ابن عمر هى سنة ومعروف ، وجاء البخارى بالسند المتصل عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : من ذبح قبل الصلاة فانما ذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين .

وفى كتاب الصيد « باب صيد المعراض »[1] وقال ابن عمر فى المقتولة بالبندقة تلك الموقوذة وكرهه سالم والقاسم ومجاهد وابراهيم وعطاء والحسن وكره الحسن رمى البندقية فى القرى والأمصار ولا يرى بأسا فيما سواه وذكر الحديث بالاسناد المتصل منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو هنا كما ترى لم يفصح برأى اكتفاء برأى الأئمة تعبيرا عما يهدف اليه الحديث .

وهكذا يجد من أقوال الصحابة والتابعين ومن أخذ عنهم الأئمة الأربعة ثروة طائلة قد يعبر بها عن فهمه للحديث فى كثير من الأحيان ويلاحظ أنه لم ينص معتمدا على رأى امام من الأئمة معتمدا عليه وحده فى فهم الحديث وان كان يتفق بطبيعة الحال مع أى مذهب منها فى كثير مما ذهب اليه فى اختيار للحكم كما يختلف معه ويتفق مع غيره حسبما يدل عليه الحديث كما هو الشأن فى المذاهب الأربعة بعضها مع بعض اتفاقا واختلافا وقد أكسبه اطلاعه على آراء الصحابة والتابعين والفقهاء عامة مقدرة فائقة وملكة وقادة فى استنباط الحكم من الحديث

---

(١) المعراض خشبة محدودة الطرف أو فى طرفها حديدة يرمى بها الصيد وقيل سهم لاريش له ولا نصل ــ صحيح البخارى ٧/٧٤ .

وأمر اتفاقه فى كثير مما ذهب اليه أى امام من الأئمة الأربعة فى كثير من الأحيان أمر طبيعى كاتفاق الأئمة فى الاصول وكثير من الفروع فى كثير من الأحيان فمن المعلوم أن الأصل واحد فمصــدر تشريع الأئمــة باتفاق — الكتاب والسنة — والسنة مفسرة لمجمل القرآن ولا رأى مع وجود الحكم المصرح به فى الكتاب والسنة أو المســتنبط من الكتــاب والسنة وهذا هو نهج البخارى كما هو نهج جميع المجتهدين واذا وجد خلاف فى هذه الدائرة فانما هو فى النــوع المستنبط من نص يحتمــل الوجوه المختلفة ويتفاوت الرأى حسب اجتهــاد المجتهد ومقــدرته فى استنباط الحكم وقد بوب البخارى فى صحيحه فى الجزء التاسع كتــاب الاعتصام بالكتاب والسنة وبين فيه أن من السنة القــدوة بالصــحابة وروى عنه وراقة ما يفيد ان عنده المقدرة على تطبيق أحكام المسائل على الكتاب والسنة وما يشيران اليه قال وراقه سمعته يقول لا أعلم شيئا يحتاج اليه الا وهو فى الكتاب والسنة فقلت له يمكن معرفة ذلك ؟ قال نعم (1) فمذهب البخارى هو ما تضمنه الكتاب والسنة وما يشيران به وهو مذهب الأئمة عامة .

وقد روى عن الأئمة الأربعة اذا صح الحديث فهو مذهبى وقال الشافعى فى هذا المعنى اذا صح الحديث فاضربوا برأيى عرض الحائط فلو وجد أمام من الأئمة حديثا صحيحا لم يكن معلوما له ينص على أمر مخالف لرأى من اجتهاده بقياس أو غيره لرجع اليه وهذا من أسباب رجوع الشافعى عن بعض ما دون فى مذهبه القديم الى مذهبه الجديد .

فلا رأى مع الكتاب والسنة عند الجميع وكلهم يقر ما قاله عمر بن عبد العزيز عن الأوزاعى قال كتب أنه لا رأى لأحد فى كتاب الله وانمــا رأى الأئمة فيما لم ينزل فيه الكتاب ولم تمض فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ولا رأى لأحد فى سنة سنها رسول الله صلى اللــه

---

(1) مقدمة الفتح ص ٢٠ .

عليه وسلم ، وهم فى ذلك ملتزمون للمنهج المعلوم الذى أقره النبى صلى الله عليه وسلم فى القضاء لمعاذ بن جبل ، على أنه قد ينتج خلاف يسير غير ذى بال فى الفروع المستنبطة من الكتاب والسنة حسب مقـــدرة المجتهد فى فهمه والمامه بالآيات والأحاديث التى تفسر بعضها بعضا فيما هو مبهم غير صريح فى النص على الحكم ونظرا لوجود ذلك فى الفروع واحتمال أخذه من النص كان الخلاف يسيرا فى كثير من الأحيـــــان ومن الممكن أن يعتبر تعدد الأوجه فى كثير من المسائل آراء متعددة كلهـــا محتملة ، وفى هذا المجال كان اجتهاد البخارى رضى الله عنه واختلافه واتفاقه مع الأئمة ، ويفيد تصريح الأئمة اذا صح الحديث فهو مذهبى وعملهم بذلك أنهم لو فرض أن امتد بهم الأجل وقد رأوا حديثا صحيحا من الأحاديث الصحيحة فى البخارى ومسلم وغيرهما لم يظفــروا به لأصبح مذهبا لهم ذلك الحديث ، ومما يستحب التنبيه عليه حتى لايكون أمر التزام البخارى بمذهب أمرا ضروريا شغل الكثير من الباحثين ــ أنه لم يكن حتى عصر البخارى بل حتى بعد المائة الرابعة أن يكون الناس مجمعين على التقليد (١) الخالص على مذهب واحد بعينه والتفقه به .

قال الدهلوى ــ أعلم أن الناس كانوا قبل المـــائة الرابعـــة غير مجمعين على التقليد الخاص لمذهب واحد بعينه قال أبو طالب المكى فى قوت القلوب أن الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب واحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له من كل شىء والتفقه على مذهبه لم يكن الناس قديما على ذلك فى القرنين الأول والثانى أ.هـ قال الدهلوى وبعد القرنين حدث فيهم شىء من التخريج غير أن أهل المائة الرابعة لم يكونوا مجتمعين على التقليـــد الخالص على مذهب واحد والتفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من التتبع بل كان فيهم العلماء والعامة وكان من خبر العامة أنهم كانوا فى المسائل الاجتماعيـــة التى لا اختلاف فيها بين المسلمين أو جمهـــور المجتهـــدين لا يقلدون الا

(١) حجة الله البالغة جـ ١ ص ١٥٠ و ص ١٥٣ باب حكاية حال الناس قبل المـــائة الرابعة .

صاحب الشرع — وكانوا يتعلمون صفة الوضوء والغســل والصــلاة والزكاة ونحو ذلك من آبائهم أو معلمى بلدانهم فيمشون حسب ذلك واذا وقعت لهم واقعة استفتوا فيها أى مفت وجدوا من غير تعين مذهب وكان من خبر الخاصة أنه كان أهل الحديث منهم يشــتغلون بالحديث فيخلص اليهم من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة مالا يحتاجون معه الى شىء آخر فى المسألة ، من حديث مستفيض أو صحيح قد عمل به بعض الفقهاء ولا عذر لتارك العمل به ، أو أقــوال متظاهرة لجمهور الصحابة والتابعين مما لا يحسن مخالفتهم ، فان لم يجد أحدهم فى المسألة ما يطمئن به قلبه لتعارض النقل وعدم وضــوح الترجيح ونحو ذلك رجع الى كلام بعض من مضى من الفقهاء فان وجد قولين اختار أو ثقهما سواء كان من أهل المدينة أو أهل الكوفة •

وكان أهل التخريج منهم يخرجون فيما لا يجدونه مصرحــــا به ويجتهدون ، وكان هؤلاء ينسبون الى مذهب أصحابهم فيقــال فــلان شافعى وفلان حنفى •

وكان صاحب الحديث أيضا ينسب الى أحد المذاهب لكثرة موافقته له كالنسائى والبيهقى ينسبان الى الشافعى فكــان لا يتولى القضــاء ولا الافتاء الا مجتهد ولا يسمى الفقيه الا مجتهدا وقد قال الشافعى مهما قلت من قول أو أصلت من أصل فبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت ، فالقول ما قاله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد — ليس لأحد مع الله رسوله كلام وقال أيضا لرجل لا تقلدنى ولا تقلدن مالكا ولا الأوزاعى ولا النخعى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة .

البخارى مجتهد مطلق وفقيه

اذا كان الاجهاد هو بذل الوسع والجهد فى الدليل التفصــــيلى السمعى لاستنتاج حكم شرعى فان البخارى قد بلغ فى ذلك المكانة العليا — وقد تجلى ذلك فى صحيحه على أعظم وجه — ترجمة وتعليقا عــلى

الحديث وله فى ذلك تصرف فريد لا يبارى فيه فهو مجتهد مطلق لا يشك فى ذلك من درس صحيحه •

واذا كان الفقه هو العلم أو الظن بالأحكام (النسبة التامة الشرعية العملية) باكتساب كما قال المتقدمون هو المستمد من الأدلة التفصيلية الجزئية أو بدون قيد الاكتساب كما عند المتأخرين سواء نظر فى الأدلة أم نشأ عن تقليد بعض الأئمة •

فان البخارى فقيه حصل الأدلة التفصيلية كتابا وسنة على أوسع نطاق واستنبط منها الأحكام مباشرة وحصل آراء الفقهاء عامة من أئمة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة بما فيهم الأئمة الأربعة دون الاقتصار على امام معين •

فهو المجتهد المطلق والفقيه اكتسابا وتحصيلا أو قد فيه وأزهر فيه ملكة الاكتساب — اطلاعه الواسع على آراء الصحابة والتابعين وحديث رسول الله وعنايته بالقرآن الكريم وليس هذا القول بالأمر المستكشف أو المستحدث بل هذه هى الحقيقة التى شهد له بها وقررها أئمة العلماء فى عصره وبعد عصره ولعمرى ماذا يكون المجتهد والفقيه اذ البخارى لم يكنه •

مكانة اجتهاده وفقهه فى عصره

يقول وراقة (1) سمعته يقول : ما جلست للتحــديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت فى كتب أهل الرأى وما تركت حديثا الا كتبته :

ويقول : سمعته يقول لا أعلم شيئا يحتاج اليه الا وهو فى الكتاب والسنة فقلت له يمكن معرفة ذلك ؟ قال نعم •

---

(1) المقدمة ٢٠١/٢ •

ويقول (١) فيه نعيم بن حماد الخزاعى « محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة » .

ويقول بندار « محمد بن بشار » فى البخارى : هو أفقه أهل زماننا والدارمى (٢) يقول : انى رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن اسماعيل هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبا .

ويقول وراقه « محمد بن حاتم » (٣) سمعت محمد بن يوسف يقول كنت عند أبى رجاء « قتيبة بن سعيد » فسئل عن طلاق السكران فدخل محمد بن اسماعيل فقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل وابن المدينى وابن راهوية قد ساقهم الله اليك . وأشار الى محمد بن اسماعيل وكان مذهب محمد انه اذا كان مغلوب العقل لا يذكر ما يحدث فى سكره انه لا يجوز عليه من أمره شىء .

وقال وراقه (٤) راويا عن البخارى قوله : كنت عند اسحاق بن راهوية فسئل عمن طلق ناسيا فسكت طويلا مفكرا : فقلت أنا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمته ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تكلم . وانما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث العمل . والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتمد قلبه .

فقال اسحاق بن راهوية — وهو الامام الفقيه المحدث — قويتنى قواك الله وأفتى به وقال (٥) صالح بن محمد بن جزره : ما رأيت خراسانيا أفهم من محمد بن اسماعيل وقال (٦) سليم بن مجاهد : ما رأيت بعينى منذ ٦٠ سنة أفقه ولا أروع ولا أزهد من محمد بن اسماعيل .

---

(١) المقدمة ٢/١٩٧ .
(٢) تهذيب الاسماء واللغات .
(٣) طبقات الشافعية .
(٤) المقدمة ٢/١٩٨ .
(٥) مقدمة شرح النووى للبخارى ١/٤ .
(٦) طبقات السبكى ٢/١١ .

وقال (١) أبو سهل محمد بن النضر الشافعى :
دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم •

ولما قدم (٢) البخارى البصرة قال محمد بن بشار : قدم اليوم سيد الفقهاء •

وقال عبد الله بن محمد المسندى — محمد بن اسماعيل امام ومن لم يجعله امامافاتهمه •

وقال (٣) فيه أبو الطيب حاتم بن منصور كان محمد بن اسماعيل آية الآيات فى بصره ونفاذه فى العلم •

ولم تكن هذه المكانة السامية التى تتراءى من شهادة الأئمة لاجتهاد البخارى وفقهه عن سطحية حتى تكون بالأمر الهزيل الذى يستطيع الزمن أن يحد من قوته •

ولكنها حقيقة واضحة مرتبطة بصحيحه ومكانته الخالدة •

فاستمرت هذه المكانة على مر الأيام والقرون يزكيها الدارسون لصحيحه من أقطاب العلم والسنة فى كل عصره كالامام النووى من أعلام القرن السابع المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فقد وضع فى مقدمة شرحه للبخارى فى أسلوب علمى متين مكانة البخارى فى الاجتهاد فى صحيحه•

وكما بينها الحافظ ابن حجر من أعلام القرن التاسع المتوفى سنة ٨٥٢ هـ فى مقدمته فتح البارى وهو المتخصص والمرجع فى تصرفات البخارى فى صحيحه وقد استغرق فى دراسته وتأليف مقدمته وشرحه فتح البارى ستة عشر عاما قدر المدة التى استغرقها البخارى فى تأليف صحيحه •

---

(١) تاريخ بغداد ١٩/٢ •
(٢) تهذيب التهذيب ٥/٩ •
(٣) تاريخ بغداد ٢٨/٢ •

واستمرت هذه المكانة حقيقة سافرة للعلماء فى كل عصر وزمن • يشهد بها كل دارس ومتصد لشرح الصحيح وقد تعرض لها وشهد بذلك المحدث الكبير محمد أنور الكشميرى الديوبندى المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ وهو أحد أئمة الحديث فى الهند • ومرجع أيضا لدراسة البخارى وسأشير الى مزيد من آرائهم عند الكلام على تراجمه التى هى محل فقهه •

تراجم صحيح البخارى

ان تراجم الجامع الصحيح للبخارى تعطى صورة واضحة ان مصنفه صافى الذهن حاد الذكاء قوى الحفظ يمتاز بفهم عميق للكتاب والسنة وله المقدرة التامة على استنباط الأحكام منها وحسن التصرف فى ترجمته وكأن الكتاب والسنة صفحة مرسومة فى ذاكرته يقطف منها ما شاء استشهادا واستنباطا •

فحق لامام الحديث النووى (١) أن يقول : ان البخارى رحمه الله كانت له الغاية المرضية من التمكن فى أنواع العلوم وأما دقائق الحديث واستنباط اللطائف منه فلا يكاد أحد يقاربه فيها • وقد شهد له اعلام المحدثين من شيوخه وغيرهم واذا نظرت فى كتابه جزمت بذلك لا شك ثم ليس مقصوده الاقتصار على الحديث وتكثير المتون بل مراده الاستنباط منها • والاستدلال لأبواب ارادها من الأصول والفروع والزهد والأدب والأمثال وغيرها من الفنون كما قال الاسماعيلى ان احدا من المحدثين لم يبلغ من التشدد مبلغ ابى عبد الله ولا تسبب الى استنباط المعانى واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ماله وصلة بالحديث المروى فيه تسببه ولله الفضل يختص به من يشاء •

وقال الحافظ ابن حجر فى شأن صحيح البخارى •• ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة فاستخرج بفهمه من المتون

(١) شرح البخارى للنووى ج ١ صفحة ٦ •

معانى كثيرة فرقها فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى بآيات الاحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك فى الاشارة الى تفسيرها السبل الوسيعة (1) •

ويقول الكشميرى فى تراجمه ان المصنف سباق غايات وصاحب آيات فى وضع التراجم لم يسبق به احد من المتقدمين ولم يستطع أن يحاكيه أحد من المتأخرين فهو الفاتح لذلك الباب وصار الخاتم وضع فى تراجمه آيات تناسبها مما يتعلق من هذا الباب ونبه على مسائل مظان الفقه فى القرآن بل أقامها منه ودل على طرق التأنيس من القرآن وبه يتضح ربط الفقه والحديث بالقرآن بعضه مع بعض ومن رفعه اجتهاده ودقته فى الاجتهادات وبسطها فى التراجم قبل ان فقه البخارى فى تراجمه فكان فى تراجم المصنف علوم متفرقة من الفقه وأصوله والكلام أومأ اليها بايجاز واختصار أ • هـ •

واذكر هنا انماطا من تصرفه فى تراجمه لا على سبيل الاستيعاب محاولا قدر الجهد المحدود ان أدعمها بالأمثلة من صحيحه فيما لم أصادف التمثيل عليه من المتقدمين المتكلمين على تراجمه كابن حجر فى مقدمته وولى الله الدهلوى فى تراجم صحيح البخارى والنووى فى مقدمة شرحه للبخارى والكشميرى فى مقدمة فيض البارى على صحيح البخارى •

منهجه فى التراجم

قد يكون من تراجمه ما هو ظاهر والترجمة فيه دالة بالمطابقة لما ترجم له ولا فائدة لها سوى الاعلام بما ورد فى ذلك الباب مثاله باب ذكر هند بنت (2) عتبة بن ربيعة رضى الله عنها وجاء بالاسناد المتصل

---

(1) مقدمة فتح البارى ج 1 ص 9 •
(2) صحيح البخارى 59 ص 23 وفتح البارى ج 7 ص 97 والعينى ج 8 ص 24 •

الى عروة أن عائشة رضى الله عنها قالت جاءت هند بنت عتبة قالت يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء احب اليه ان يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب اليه أن يعزوا من أهل خبائك .

فهذا وما ماثله ليس فيه اجتهاد انما هو مجرد عنوان لما ترجم له وقد يأتى بالترجمة بلفظ المترجم له مثال ذلك (باب قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب) وجاء بالحديث المتصل عن ابن عباس قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «اللهم علمه الكتاب» (١) وقد يترجم ببعض المترجم له مثاله باب من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين — وجاء بالاسناد المتصل قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله (٢) .

وقد يأتى بالترجمة تفسيرا للمعنى المراد من كلمة فى الحديث بها يتضح المعنى مثاله « باب الاغتباط فى العلم والحكمة » وقال عمر تفقهوا قبل أن تسودوا وجاء بالحديث المسند عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل أتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) فهو بهذه الترجمة بين ان المراد بالحسد انما هو الغبطة وهى تمنى مثل ما للمغبوط من غير زواله بخلاف أصل الحسد فانه مع تمنى الزوال عنه (٣) فالترجمة هنا بيان بتأويل ذلك الحديث معينة لمعناه .

وقد يأتى للحديث الخاص بترجمة عامة فتكون الترجمة كتأويل للحديث نائبة مناب قول الفقيه المراد بهذا الحديث الخاص

---

(١) كتاب العلم ج ١ ص ٢٢ .

(٢) كتاب العلم ص ٢١ .

(٣) القسطلانى ج ١ ص ١٧١ .

العمـــوم اشعارا بالقيـــاس لوجـــود العلة الجـــامعة مثال ذلك بـــاب التسمية على كل حال وعند الوقاع (١) وجاء بالاســـناد المتصل عن ابن عباس يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال (لو أن أحـــدكم اذا اتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشـــيطان ما رزقتنـــا فقضى بينهما ولد لم يضره) •

فمطابقة الحديث لأحد شقى الترجمة الذى هو الخاص وهو قوله عند الوقاع وليس فيه ما يطابق الشق الآخر الذى هو العام وهو قوله على كل حال من ذكر اسم الله تعالى ومع ذلك تسن التسمية فيـــه ففى سائر الاحوال بالطريق الأولى فلذلك أورده البخارى فى باب الوضـــوء وهو كما قال العينى للتنبيه على مشروعية التســـمية عند الوضـــوء ولم يذكر حيث لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه لأنه ليس على شرطـــه وان كثرت طرقه وقد طعن فيه الحفاظ واستدركوا على الحاكم تصحيحه بأنه انقلب عليه اسناده واشتبه (٢) •

وقد يأتى الحديث العام بترجمة خاصة وذلك كقول الفقيـــه المراد بهذا الحديث العام الخصوص مثاله من كتـــاب الصلاة باب جهر الامام بالتأمين (٣) وقال عطاء أمين دعـــاء أمن ابن الزبير ومن وراءه حتى أن للمسجد للجه (ضجيجا) وكان أبو هريرة ينادى الامام لا تفتنى بأمين قال نافع كان ابن عمر لا يدعه ويحضهم وسمعت منه فى ذلك خيرا ••• وجاء بالحديث المسند عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الامام فأمنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر لـــه ما تقدم من ذنبه فليس فى الحديث الجهر كما فى الترجمـــة وانمـــا فى التأمين فبين فى الترجمة بأن المراد ليس مطلق التأمين وانما هو التأمين فى الصلاة الجهرية بالجهر بها وأخذه من قوله صلى الله عليه وسلم اذا

(١) العينى ج ٢ طبع المنيرية ص ٢٦٦ •

(٢) العينى ج ٢ ص ٢٦٦ طبع المنيرية •

(٣) صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٩ والفتح ج ٢ ص ١٧٧ والعينى ج ٢ ص ١٠٦ وفيض البارى ج ٢ ص ٢٥٩ •

أمن الامام فأمنوا فتوقيتها بحين تأمين الامام بعد جهر الامـام لتمكين المقتدى أن يؤمن على تأمين امامه ويكون المأموم على شاكلة امامه .

وقد يأتى بلفظ الترجمة ثم يورد بعدها آية أو أثرا لا حديثا مسندا فكأنه يقول لم يصح فى الباب شىء على شرطه مثـاله . باب (١) عفـو المظلوم (لقوله تعالى) (ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفـوا عن سـوء فان الله كان عفوا قديرا) .

(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ان الله لا يحب الظالمين) (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سـبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغـون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور) وترى الظالمين لما رأو العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل) وانتهى البـاب على ذلك وكأنه يريد ان يبين أن دليل الحكم المستفاد من الترجمة ثابت بالكتاب لا بالسنة عنده .

وقد يترجم بحديث مرفوع ليس على شرطه ويذكر فى الباب حديثا شاهدا له على شرطه مثاله .

(باب (٢) لا تقبل صلاة بغير طهور) وجاء بالسند المتصل عن أبى هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبـل صـلاة من أحدث حتى يتوضأ قال رجل من حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط) فهذه الترجمة لفظ حديث رواه مسلم وغيره من حديث ابن عمر رضى الله عنهما بزيادة قوله (ولا صدقة من غلول) .

وأخرجه أبو داود والنسائى من طريق أبى المليح عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقبل الله صدقة من غلول ولا صـلاة بغير

---

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ١١٣ وفتح البارى ج ٥ ص ٦٢ والعينى ج ٦ ص ١١١ والقسطلانى ج ٤ ص ٥٢٧ والكرمانى ج ١١ ص ٢٠ .

(٢) من كتاب الوضوء صحيح البخارى ج ١ ص ٢٣ العينى ج ١ ص ١٦٣ والفتح ج ١ ص ١٦٦ والقسطلانى ج ١ ص ٢٢٦ والكرمانى ج ٢ ص ١٦٩ .

طهور وله طرق كثيرة لكن ليس فيها شيء على شرط البخاري فلهذا عدل عنه مع أن حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مطابقا لما ترجم له وحديث ابى هريرة يقوم مقامه وقد قيل ان الحديث ليس بمطابق للترجمة لأن الترجمة عام والحديث خاص قال العينى والجواب انه وان كان خاصا ولكنه يستدل به على أن الأعم نحوه بل أولى ولما كانت الأحاديث التى تطابق الترجمة حسب الظاهر ليست على شرطه فلذلك لم يذكرها وذكر حديث ابى هريرة هذا على شرطه عوضا عنها لأنه يقوم مقامها من الوجه المذكور — وكأنه أراد ان يتابع حديثه بحديث غيره .

وقد يترجم بآية ويأتى بعدها بالحديث مثاله من كتاب العلم (١) (باب قول الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وجاء بالسند المتصل عن علقمة عن عبد الله قال بينا أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألن فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه وقمت فلما انجلى عنه فقال (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) قال الأعمش هكذا قرأتها . يريد البخاري أن يفيد اثبات الحكم بالمصدرين الكريمين الكتاب والسنة .

وقد يترجم بلفظ الاستفهام كقوله باب هل يكون كذا أو من قال كذا أو نحو ذلك حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين وغرضه بيان هل يثبت ذلك الحكم أو لم يثبت فترجم على الحكم ومراده ما تفسر بعد من اثباته أو نفيه أو أنه محتمل لهما وربما كان أحد المحتملين أظهر وغرضه أن يبقى للنظر مجالا مثاله (باب (٢) هل يدخل الجنب يده فى الاناء قبل أن يغسلها ؟ اذا لم يكن على يده قذر غير الجنابة وأدخل

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٣١ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الغسل ج ١ ص ٥١ القسطلانى ج ١ ص ٣١٥ والعينى ج ٢ ص ٣ والفتح ج ١ ص ٢٥٠ والكرمانى ج ٣ ص ١١١ .

ابن عمر والبراء بن عازب يده فى الطهور ولم يغسلها ثم توضأ ولم ير ابن عمر وابن عباس بأسا ينتضح من غسل الجنابة حدثنا عبد الله ابن مسلمة أخبرنا أفلح بن حميد عن القاسم عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا والنبى صلى الله عليه وسلم من اناء واحد تختلف أيدينا فيه وحدثنا مسدد قال حدثنا حماد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة غسل يده .

قال القسطلانى ومطابقة هذا الحديث للترجمة من حيث جواز ادخال الجنب يده فى الاناء قبل أن يغسلها اذا لم يكن عليها قذر لقولها تختلف أيدينا فيه واختلافهما فيه لا يكون الا بعد الادخال فدل ذلك على أنه غير مفسد للماء اذا لم يكن عليها ما ينجس يقينا .

ومما قاله ابن حجر (1) ومثل له قوله — وكثيرا ما يترجم بأمر ظاهر قليل الجدوى لكنه اذا حققه المتأمل أجدى كقوله باب قول الرجل (2) ما صلينا فأنه أشار به الى الرد على من كره ذلك ومنه قوله باب (3) قول الرجل فاتتنا الصلاة وأشار بذلك الى الرد على من كره اطلاق هذا اللفظ .

وكثيرا ما يترجم بأمر مختص ببعض الوقائع لا يظهر فى بادىء الرأى كقوله باب استياك (4) الامام بحضرة رعيته فانه لما كان الاستياك قد يظن أنه من أفعال المهنة فلعل بعض الناس يتوهم أن اخفاءه أولى مراعاة للمروءة فلما وقع فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم استاك بحضرة الناس دل أنه من باب التطيب لا من الباب الآخر نبه على ذلك ابن دقيق العيد .

ومما ذكره ولى الله الدهلوى أحمد بن عبد الرحيم فى كتابه شرح تراجم أبواب صحيح البخارى ، وقد أتممت تمثيل ما ترك الدهلوى

---

(1) المقدمة ج 1 ص ٦ .

(2) كتاب الجماعة صحيح البخارى ج 1 ص ١٠٩ .

(3) صحيح البخارى ج 1 ص ١٠٨ .

(4) ذكره ابن حجر على سبيل المثال ولم اجده فى الصحيح ثم وجدت الكشميرى نبه على انه غير موجود فى صحيح البخارى .

وغيره التمثيل ومن ذلك أن يترجم بمسألة اختلف فيها الأحاديث فيأتى بتلك الأحاديث على اختلافها ليقرب الى الفقيه من بعده أمرها مثاله : باب خروج النساء الى البراز ، جمع فيه بين حديثين مختلفين •

وقد ذكر ذلك البخارى فى كتاب الوضوء (١) من صحيحه والحديث الأول عن عائشة قول عمر لسودة ألا قد عرفناك يا سودة ، حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله آية الحجاب •

والحديث الثانى عن عائشة أيضا وفيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال • قد أذن أن تخرجن فى حاجتكن قال هشام يعنى البراز (وهو الفضاء تقضى فيه الحاجة) •

ويمكن أن يجمع بينهما بأنه لا تنافى فانها قد تخرج مغطاة محجبة لا تعرف والمنهى عنه السفور والتبرج •

ومنها انه قد تتعارض الأدلة ويكون عند البخارى وجه التطابق بينها بحمل كل واحد على محمل فيترجم بذلك المحمل اشارة الى وجه التطبيق مثاله باب خوف المؤمن ان يحبط عمله وما يحذر من الاصرار (٢) على التقاتل والعصيان ، ذكر فيه حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وذكر حديث خرج النبى صلى الله عليه وسلم للاخبار بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم خرجت لأخبركم بليلة القدر وانه قد تلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم ، الحديث •

فبين البخارى فى الترجمة الجمع بين الحديثين بأن الكفر والفسوق فى التقاتل والعصيان حين الاصرار من غير توبة قال وما يحذر من الاصرار من غير توبة لقوله تعالى « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » •

---

(١) مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ١١٠ •

(٢) صحيح البخارى كتاب الايمان ج ١ ص ١٥ •

ومنها أنه قد يجمع فى باب أحاديث كثيرة كل واحد منها يدل على الترجمة ثم يظهر له فى حديث واحد فائدة أخرى سوى الفائدة المترجم عليها ويعلم على ذلك الحديث بعلامة الباب وليس غرضه ان الباب الأول قد انقضى بما فيه وجاء الباب الأخير برأسه ولكن قوله باب هنالك بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ تنبيه أو لفظ فائدة أو لفظ قف مثاله .

باب قوله (وبث فيها من كل دابة) ثم قال بعد اسطر باب خير (١) مال المسلم غنم يتبع فيها شعب الجبال ثم ذكر حديث (والفخر والخيلاء فى أهل الخير ثم ما ليس فيه ذكر الغنم فكأنه اعلم على هذا الحديث بأنه مع دخوله فى الباب فيه فائدة أخرى مع حقتية الغنم) .

ومنها أنه قد يكتب (ح) حيث جاء حديث باسنادين مثاله باب ذكر الملائكة (٢) وأطال فى الكلام حتى أخرج حديث الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار رواية شعيب عن أبى الزناد عن أبى هريرة ثم كتب باب اذا قال أحدكم أمين والملائكة فى السماء أمين فوافقت أحدهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ثم أخرج حديث أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صور ثم ما ليس فيه ذكر آمين الا بعد كثير قال الاسماعيلى فى موضع (ح) وبهذا الاسناد وكأنه يشير الى لفظ (ح) علامة لقوله وبهذا الاسناد أ . هـ .

وبهذه المناسبة أذكر ما قاله النووى فى مقدمة صحيح مسلم ان حرف (ح) تستعمل اذا كان للحديث اسنادان أو أكثر فتكتب عند الانتقال من اسناد الى اسناد والمختار أنها مأخوذة من التحول لتحوله من الاسناد الى اسناد وانه يقول القارىء اذا انتهى اليها (ح) ويستمر فى قراءة ما بعدها وقيل أنها من أحال بين الشيئين اذا حجز لكونها حالت بين الاسنادين وانه لا يلفظ عند الانتهاء اليها بشىء وليست من

---

(١) كتاب بدء الخلق صحيح البخارى ج ٤ ص ٤ .

(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٩ .

الرواية وقيل أنها رمز الى قوله « الحــديث » وان أهــل المغرب كلهم يقولون اذا وصلوا اليها ــ الحديث • فقــد كتب جمــاعة من الحفــاظ موضعها صح فيشعر بأنها رمز صح وحسن ها هنا كتابه صح لئلا يتوهم أنه سقط من الاسناد الأول ثم هذه الحاء توجد فى كتب المتأخرين كثيرا وهى كثيرة فى صحيح مسلم (١) قليلة فى صحيح البخارى أ • هـ •

أمثلة لبعض آراء البخارى الفقهية مع ذكر آراء الأئمة فيها

مســح الرأس كله

قال البخارى باب مســح الرأس كله لقــوله تعالى « وامســحوا برءوسكم » وسئل مالك عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه أن رجلا قال لعبد الله بن يزيد وهو جد عمرو بن يحيى أتستطيع أن ترينى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ؟ فقال عبد اللــه بن زيد : نعم فدعا بماء فأفرغ على يديه مرتين ثم مضــمض واســتنثر ثلاثا : ثــم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه • ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه ثم غسل رجليه • فاستدل البخارى على وجوب مسح الرأس بالآية ووجهه أن الرأس اسم لجميع العضــو فلا يكـــون المأمور بالمسح الا هو . وهو موافق لرأى الامام مالك ومخالف للشافعى والاحناف ورأيه انما هو اتباع لما استبان له من معنى الآيــة فى ضــوء الحديث فى قوله ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر ، بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه •

فهذا يفيد استيعاب مسح الرأس كله فهو يســير تجاه الحــديث حسب اجتهاده مدعما بآراء الصحابة وان خالف الشافعى والحنفى أو غيرهما وأما وجهة نظر الشافعى وأبى حنيفة فهى : ان الفعل اذا أمــــر

---

(١) مقدمة الامام مسلم جـ ١ ص ٣٨ •

بأيقاعه على محل فأنه يكفى فيه وقوعه على بعضه فالاية فيها نوع اجمال يفصله ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على بعض رأس يقول الكشميرى : فنحن معاشر الاحناف تفحصنا حال النبى صلى الله عليه وسلم فى المسح فلم نجد فيه أقل من الربع فقلنا به وعلمنا أن الايقاع على الربع يحكى الكل ويقوم مقامه فى نظر الشارع ويؤدى مؤداه عنده لحديث المغيرة رضى الله عنه فانه لا يدل الا على أنه مسح على بعض الرأس وعند أبى داود أنه مسح مقدم رأسه وفيه أبو معقل قيل أنه مجهول قال الكشميرى : وقد تبين لى اسمه وهو حسن عندى وهو عبد الله بن معقل كما فى الفتح ج ١٤ ص ٤ وفى تهذيب التهذيب •

وعن عطاء بن أبى رباح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر وكان على رأسه عمامة فوضعها على رقبته ثم مسح رأسه . فلمثل هذه الاحاديث قال الاحناف والشافعية أن الاستيعاب ليس بفرض وقدره الشافعية على ما يسمى مسحا فعلم بأن الاستيعاب لم يكن شرطا عند السلف « وقالوا فى الآية الباء للتبعيض وقالوا فى الحديث أنه ربما يكون ذلك قصد به الأكمل » •

فالشافعية وقد خالفهم البخارى فالوا يكفى مسح بعض الرأس ولو قليلا واستدلوا بما روى من فعل الرسول ولما لم يثبت حديثهم عند البخارى بشرطه لم يعتبره واقتصر على ما عنده من مسح الرأس كله والحنابلة قالوا (١) بمسح جميع الرأس ومنها الاذنان فيفرض مسحهما مع الرأس فالحنابلة متفقون مع المالكية الا أنهم اعتبروا الاذنين جزءا من الرأس •

وانما أخذ البخارى بهذا المبدأ نظرا لأن الأدلة الاخرى لم تقم عنده ومن هنا نستطيع أن نقول بأن البخارى لم يكن ملتزما بمذهب معين وانما مذهبه الحديث •

---

(١) الفقه على المذاهب الاربعة للجزيرى ج ١ ص ٥٦ طبعة ثانية شركة فن الطباعة •

مسح الرأس مرة

قال البخارى : « باب (1) مسح الرأس مرة » حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب قال : حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه قال : شهدت عمرو بن أبى حسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبى صلى الله عليه وسلم فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم فكفأ على يديه فغسلهما ثلاثا . ثم أدخل يده فى الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثلاثا بثلاث غرفات من ماء ثم أدخل يده فى الاناء فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فى الاناء فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر بهما ثم أدخل يده فى الاناء فغسل رجليه فحدثنا موسى قال حدثنا وهيب قال فمسح رأسه مرة .

قال الكشميرى : جزم الامام البخارى بمذهب أبى حنيفة وترك مذهب الشافعية وقد قال الحنفية أن الاسباغ فى المسح هو الاستيعاب لأنه لا يناسبه التثليث وجاء بالرواية مسح برأسه مرة وفهم هذا الراوى عين ما فهمه الحنفية أن الاقبال والادبار حركتان والمسح واحد ولم يحملها على التكرار فى المسح كما فهمه الشافعية .

وقال القسطلانى : وهو الشافعى المذهب فى قوله مسح برأسه مرة أى واحدة وتمام الاسناد وهيب عن عمرو بن يحيى عن أبيه قال شهدت عمرو بن أبى الحسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبى صلى الله عليه وسلم الى أن قال مسح رأسه مرة قال القسطلانى وأحاديث الصحيحين أى المسندة ليس فيها ذكر عدم المسح وبه استدل فى تدعيم رأى الشافعى قال أكثر العلماء : نعم . روى أبو داود وابن ماجه من وجهين صحح أحدهما ابن خزيمة وغيره من حديث عثمان فى تثليث مسح الرأس والزيادة من الثقة مقبولة وهو مذهب الشافعى

---

(1) صحيح البخارى ج ١ ص ٤٢ .

ويحتج للتعدد أيضا بظاهر رواية مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وبالقياس على المغسول لان الوضوء طهارة حكيمة ولا فرق فى الطهارة الحكيمة بين الغسل والمسح .

وأجيب بما يؤيد رأى البخارى بأن ثلاثا ثلاثا مجمل . قد بين فى الروايات الصحيحة أن المسح لا يتكرر فيحمل على الغالب ويختص بالمغسول وبأن — المسح مبنى على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذى المراد منه المبالغة فى الاسباغ فثبت وجاهة رأى البخارى .

لا نقض للوضوء من مس المرأة

قال البخارى : « باب (١) من لم ير الوضوء الا من المخرجين القبل والبر وقول الله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط .

وقال أبو هريرة لا وضوء الا من حدث .

وقال ابن عباس لمستم وتمسوهن (٢) النكاح قال (٣) الكشميرى : شرع فى النواقض ووافق أبا حنيفة فى مس الذكر والمرأة ولم ير بهما وضوءا وخالف الشافعى فى ذلك ثم أن الآية عند الشافعى اقامت أصلين فى النواقض .

الأول الخارج من السبيلين وهو المشار اليه بقوله أو جاء أحد منكم من الغائط فقال المراد به الخروج من السبيلين .

والثانى مس المرأة وألحق به مس الذكر أيضا لكونهما من باب الشهوة فى قوله (أو لامستم النساء) فالملامسة عند الشافعية هى لمس المرأة وقد ثبت عنده حديث من مس ذكره فليتوضأ وتفسير الملامسة عند الأحناف هو الجماع .

---

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٣٩ .
(٢) ج ٦ ص ٤٢ من صحيح البخارى .
(٣) فيض البارى ص ٢٧٨ .

والملامسة كمـا ذهب اليه ابن عباس وعلى وغيرهمـا واختـاره البخارى هى الجمـاع ولذا لم يوجب من مس المرأة والذكر وضـوءا ، فالمراد من الملامسة المباشرة بالجمـاع لأن لفظ الملامسـة أصـدق على الجماع والمباشرة باللمس وهكذا يجد الباحث أن البخارى يخالف ويوافق جريا وراء اجتهاده وفهمه من النصوص غير مقيد بامام بعينه •

جواز قراءة القـرآن للجنب والحائض

قال البخارى : قال ابراهيم لا بأس أن يقـرأ الجنب الآية ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأسا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه •

وقال ابن عباس أخبرنى أبو سـفيان أن هرقل دعا بكتـاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة » الآية :

فجوز البخارى قراءة القرآن للجنب وخالف فى ذلك جمهور الفقهاء فقد حرموا قراءة شىء من القرآن للجنب لحديث على رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يحجبه عن القرآن شىء ليس الجنابة ورواه أصحاب السنن وصححه الترمذى وغيره •

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح وضعف بعضهم بعض رواته وعن على رضى الله عنه أيضا قال رأيت رسـول الله صلى الله عليـه وسلم « توضأ ثم قرأ شيئا من القرآن » • ثم قال هكذا ليس الجنب • قـال الشوكانى فان صح هذا صلح للاستدلال به على التحريم أما الحـديث الأول فليس فيه ما يدل على التحريم لأن غايته أن النبى صلى الله عليه وسلم ترك القراءة على الجنابة ومثله يصـلح متمسـكا للكراهة فكيف يستدل به على التحريم •

وقال ابن حجر تعليقا على هذا لم يصـح عند البخـارى شىء من الأحاديث الواردة فى ذلك « منع الجنب والحائض من القراءة » •

فثبت بذلك أن البخارى لايلتزم مذهب أمام وانما يسير على ضوء فهمه فى الحديث الثابت على شرطه .

من جامع فى نهار رمضان فعليه الكفارة ولا قضاء عليه

قال البخارى (١) : اذا جامع فى رمضان ولم يكن له شىء فتصدق عليه فليكفر حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل فقال يارسول الله هلكت قال مالكَ ؟ قالَ : وقعت على امرأتى وأنا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تجد رقبة تعتقها قال : لا — قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال لا — فقال فهل تجد اطعام ستين مسكينا قال لا . فمكث النبى صلى الله عليه وسلم — فبينما نحن على ذلك أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر « والعرق المكتل » قال : أين السائل ؟ فقال أنا . قال خذها فتصدق به فقال الرجل على أفقر منى يا رسول الله والله ما بين لابتيها « يريد الحرتين » أهل بيت أفقر من أهل بيتى ؟فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال أطعمه أهلك » فعند الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية (٢) أن الجماع يوجب القضاء والكفارة ودليلهم أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر المجامع فى نهار رمضان بالقضاء والكفارة .

قال الكشميرى : واختار البخارى أن لا قضاء وعليه الكفارة فلما لم يثبت أمر النبى صلى الله عليه وسلم عند البخارى بالقضاء اقتصر على الكفارة .

وقال ابن حجر (٣) والذى يظهر لى أن البخارى أشار بآثاره التى ذكرها الى أن ايجاب القضاء مختلف فيه بين السلف وان الفطر بالجماع

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٩ .
(٢) مذاهب الائمة الاربعة ج ١ ص ٥٦٠ باب ما يوجب القضاء والكفارة .
(٣) فتح البارى ج ٤ ص ١٣٠ .

لابد فيه من الكفارة فقال البخارى : باب اذا جامع فى رمضـــان ويذكر عن أبى هريرة رفعه من أفطر يوما من رمضان من غير عـــذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر • وان صامه وبه قال ابن مسعود وقال سعيد بن المسيب والشعبى وقتادة يقضى يوما مكانه ثم قال البخارى اذا جـــامع فى رمضان فليكفر قال ابن حجر قول البخارى وبه قال ابن مسعود أى بما دل عليه حديث أبى هريرة ، وأثر ابن مسعود وصله البيهقى قال : حدث عبد الله بن مسعود قال من أفطر يوما فى رمضان من غير علة لم يجبره صيام الدهر حتى يلقى الله فان شاء غفر له وان شاء عذبه •

وجاء البخارى مرجحا رأى من قال بالتشديد على من جامع حتى لا يقبل فيه القضاء وهكذا نجد أن البخارى له رأيه ترجيحا وتعليـــقا حسب فهمه بما ثبت عنده من الأحاديث وبين الكشميرى ان البخـــارى رجح التشديد فى ذلك استعظاما لحرمة نقض الصيام بالجماع متعمـــدا فلا ينجبر بالقضاء وأما انتقاء الكفـــار فلكونها تعذيرا وليس بدلا عـــن الصـــوم (١) •

وان الناظر الى ترجمة البخارى يحكم بمذهبه فى الحكم المبوب له•

البخارى وموقفه من الأحناف فى آرائه الفقهية

والبخارى كما تبين يجتهد لاستنباط الحكم من الحـــديث وقـــد يستأنس لرأيه بأقوال الصحابة والتابعين بل يذكرها أحيانا مكتفيا بها • ومقتنعا بالموافقة لفهمه من الحديث • ولم يذكر بعض الأئمة الأربعة فى صحيحه الا نادرا للغاية وافق رأيهم أو خالفهم • غير أنه نظـــرا لتوفر مادة الحديث عنده لم يضطر للاسراف فى الرأى ومن هنا يختلف أحيانا مع آراء أبى حنيفة فيقول عند ذلك « خلافا لبعض الناس » ولم يذكر اسم أبى حنيفة مطلقا فى صحيحه فظن بعض المتعصبين للامام أبى حنيفة أن هذا تجاهلا لأبى حنيفة وتنقيصا من شأن آرائه وليس الأمر كذلك ،

(١) الفيض ج ٢ ص ١٥٩ •

وسيرة البخارى كلها أدب ورقة واحترام لأبطال الاسلام ، وهل يعـرف الفضل من الناس الا ذووه ؟ بل انه يفعل ذلك تأدبا وتقديرا لأبى حنيفة ولأن غيره قد يكون مشاركا له فى هذا الرأى الذى اعترض عليه البخارى فعبر بعبارة جامعة وهى « بعض الناس » وكلا الامامين حريص على نشر الاسلام وبث تعاليمه .

وقد كان من جراء ذلك أن ألف بعض الهنود (١) كتابا فى الرد على البخارى سماه « بعض الناس فى دفع الوسواس » وهو اعتراضات على البخارى فيما اعترض به على أبى حنيفة ، وكتاب آخر يسمى « كشف الالتباس عما أورده البخـارى على بعض (٢) النـاس » ورد على ذلك سلطان الفقهاء والمحدثين مولانا محمد نزير حسين الديلوى فى كتـاب سماه « رفع الالتباس عن بعض الناس (٣) قال فى مقدمته وبعد فقـد وقفت فى جزء من هذا الزمان على رسالة وعنوانه « بعض الناس فى دفع الوسواس » وأجيب فيها عما وقع فى الصحيح للامام الهمـام المجتهد المطلق محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى من بعض تعاريضه على الامام أبى حنيفة النعمان الكوفى رحمة الله تعالى بلفظ بعض الناس فنظرت فيها نظرة التأمل فوجدتها جامعة لشتات ما أجـاب عنـه بعض ناصرى ملة الأحناف من شراح الصحيح ونظـاره ولم يأت جامع ذلك الشتات من عند نفسه بشىء يدافع عن مذهبه أو يدارى عن مسلكه غير أنه أفحش وذهب مذهب الاعتسـاف واعترض على مسـلك الانصـاف فأردت حسبة له تعالى وذبا عن أوليائه أن أزيل الالتباس عـن بعض الناس كى لا يقعوا فى هذا الوسواس .

وجاء مولانا محمد نزير فى كتـابه بمـا يقرب من ست وعشرين مسألة أورد منها بعض الأمثلة :

---

(١) موجود بالمكتبة الازهرية طبع الهند تحت رقم ٧٢٠ خصوصية حديث سنة ١٣١١ بالخط الحجرى .

(٢) مخطوط دار الكتب المصرية ولم يعلم مؤلفه طبع الهند .

(٣) مخطوط بدار الكتب بالخزانة التيمورية .

الركاز دفن الجاهلية وليس المعدن بركاز

قال الامام البخارى رحمه الله تعالى فى باب الركاز من صحيحه قال مالك وابن ادريس : الركاز دفن الجاهلية فى قليله وكثيره الخمس ليس المعدن بركاز وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى المعدن (1) جبار وفى الركاز الخمس وأخذ عمر بن عبد العزيز رحمه الله من المعادن من كل مائتين خمسة ثم قال بعد ذلك وقال « بعض الناس » المعدن ركاز مثل دفن الجاهلية لأنه يقال اركز المعدن اذا أخرج منه شىء قيل له فقد يقال لمن وهب له الشىء أو ربح ربحا كثيرا أو كثر ثمرة اركزت ، ثم ناقضه فقال لا بأس ان يكتمه ولا يؤدى الخمس أ • هـ •

وغرضه من كل ذلك ان الركاز هو دفن الجاهلية كما ذهب اليه الجمهور وليس المعدن ركازا فى ذلك الحكم الشرعى المذكور كما ذهب اليه بعض الناس واحتج على ذلك بحديث أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم العجماء جبار والبئر جبار والمعدن جبار وفى الركاز الخمس ، وذكر أن عمر بن عبد العزيز أخذ من المعادن من كل مائتين خمسة تقوية لما ادعاه وتعيينا لما أراده النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث من لفظ الركاز وتأييدا لمذهبه بتعامل الفقهاء العرفاء باللسان العلماء بمراد النبى صلى الله عليه وسلم ، وتفصيله أن النبى قال المعدن جبار وفى الركاز الخمس عطف الركاز على المعدن وفرق بينهما فى الحكم فعلم منه أن المعدن ليس بركاز عند النبى صلى الله عليه وسلم بل هما شيئان متغايران •

ولو كان المعدن ركازا عنده لقال المعدن جبار وفيه الخمس ولما لم يقل ذلك ظهر أنه غيره لأن العطف يدل على المغايرة قال الامام الحافظ ابن حجر فى فتح البارى والحجة للجمهور والبخارى التفرقة من النبى صلى الله عليه وسلم بين المعدن والركاز بواو العطف وتغاير الحكم فصح أنه غيره ومن هنا تبين قوة حجة البخارى •

---

(1) ومعنى فى المعدن جبار يعنى اذا حفر معدنا فى ملكه أو فى موات فوقع فيه شخص ومات أو استأجره لعمل فى المعدن فهلك لا يضمنه به دمه هدر وليس المراد انه لازكارة فيه ، واستدل بفعل عمر بأن حكم هذه فى الزكاة ربع العشر وهو مخالف لحكم الركاز وهو الخمس فى دفن الجاهلية قسطلانى ج ٣ ص ٨١ •

قبول شهادة القاذف والسارق والزانى بعد التوبة

قال الامام البخارى باب شهادة القاذف والسارق والزانى وقــول الله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أولئك هم الفاسقون الا الــذين تابوا الآية وجلد عمر أبا بكر وشبل بن معبد ونافعا بقــذف المغيره ثم استتابهم وقال من تاب قبلت شهادته وأجازه عبد الله بن عتبة وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير وطاووس ومجاهــد والشــعبى وعكــرمة والزهرى ومحارب ابن دثار ومعــاوية بن قره وقــال ابو الزناد والأمر عندنا بالمدينة اذا رجع القاذف عن قوله فاستغفر ربه قبلت شهادته وقال الثورى اذا جلد العبد ثم أعتق جازت شهادته واذا استقضى المحــدود فقضاياه جائزة . وقال « بعض الناس » لا يجوز شهادة القاذف وان تاب ثم قال لا يجوز نكاح بغير شاهدين فان تزوج بشهادة محدودين جاز وان تزوج بشهادة عبدين لم يجز « وأجاز شهادة المحدود والعبد والأمة لرؤية هلال رمضان » أقول غرضه من ذلك أن شهادة القاذف مقبولة فى الشرع بعد ما تاب كما ذهب اليه الجمهور لا كما قال به « بعض الناس » انها لا تقبل بعد التوبة أيضا واستدل عليه بقوله تعالى :ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية وبتعامل الفقهــاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مثل عمر رضى الله عنــه وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الذين ذكرهم البخارى فانهم كانوا أعلم بكتــاب الله وبمراده تعالى بذلك .

لا اسقاط للزكــاة بالاحتيــال

ومذهب البخارى رحمه الله عدم جواز اسقاط الزكاة قبل تمــام الحول بالاحتيال واحتج فى ذلك بأحاديث منها حــديث « لا يجمع بين المتفرقة ولا يفرق بين المجتمعة خشية الصدقة » ومذهب الامــام أبى حنفية فى ذلك انه لا بأس به فلما ثبت عند البخارى أن هذا القول خلاف الأحاديث بينه فى كتاب الحيل فى باب الزكاة بقوله وقال « بعض الناس » فى عشرين ومائة بعير حقتان فان أهلكها متعمدا أو وهبها أو احتــال فيها فرارا من الزكاة فلا شىء عليه أ . ه .

قال الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب الحيل باب الـزكاة وأن لايفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة ثم قال بعد نقل الأحاديث الواردة فى هذا الباب وقال « بعض الناس » فى عشرين ومائة بعير حقتان فان أهلكها متعمدا أو وهبها او احتال فيها فرارا من الزكاة فلا شيء عليه أ • هـ •

وغرضه من ذلك التعريض بأبى حنيفة رحمه الله أنه جوز اسقاط الفرض الذى هو من أركان الدين بتجويز الحيلة لسقوطه ، مع أن النبى صلى الله عليه وسلم صرح بالنهى بقوله لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة .

من غصب جارية فهى حق لصاحبها وان دفع الغاصب قيمتها

قال الامام البخارى رحمه الله فى كتاب البيوع من الحيل باب اذا غصب جارية رجل فزعم أنها ماتت فقضى بقيمة الجارية الميتة ثم وجدها صاحبها فهى له • وترد القيمة ولاتكون القيمة ثمنا أ • هـ •

وقال أبو حنيفة : الجارية للغاصب والقيمة ثمن لاترد ، فعـرض الامام البخارى وقال : قال « بعض الناس » الجارية للغاصب لاخـذه القيمة منه وفى هذا احتيال لمن اشتهى جارية رجل لا يبيعها فغصبها واعتل بأنها ماتت حتى يأخذ ربها قيمتها فتطيب للغاصب جارية غيره وحـكم النبى يخالف ذلك • قال النبى صلى الله عليه وسلم : أموالكم عليـكم حرام ولكل غادر لواء يوم القيامة •

لا ينعقد النكاح بشهادة الزور

قال الامام البخارى فى كتاب الحيل من صحيحه فى باب النكاح تحت حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر فقيل يا رسول الله كيف اذنها قال اذا سكتت وقال « بعض الناس » ان لم تستأذن البكر ولم تتزوج فاحتال رجل فأقام شاهدين زورا انه تزوجها برضاها وأثبت القاضى نكاحها والزوج يعلم أن الشهادة باطلة فلا بأس أن يطأها وهو تزويج صحيح أ • ه •

ثم قال بعد ذلك تحت حديث أبى سلمه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا كيف اذنها قال أن تسكت وقال « بعض الناس » ان احتال انسان بشاهدى زور على تزويج امرأة ثيب بأمرها فأثبت القاضى نكاحها اياه والزوج يعلم أنه لم يتزوجها قط فانه يسعه هذا النكاح ولا بأس بالمقام له معها أ • ه •

ثم قال بعد ذلك تحت حديث عائشة رضى الله عنها وقال « بعض الناس » ان هوى انسان جارية ثيبة أو بكرا فأبت فاحتال فجاء بشاهدى زور على أنه تزوجها فأدركت فرضيت اليتيمة فقبل القاضى بشهادة الزور والزوج يعلم ببطلان ذلك حل له الوط أ • ه •

وقال الجميع التعريض على أبى رحمه الله بتجويزه النكاح بشهادة الزور وحل الوطء بها مع علم الزوج ببطلانها والاذن لم يثبت والرضا لم يوجد والنصوص ناطقة باشتراط الاستئذان فظهر بهذا وجاهة رأى البخارى •

جواز انفراد الترجمان الواحد للحاكم

قال البخارى « باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد » وذكر حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه ثم قال : وقال « بعض الناس » لابد للحاكم من مترجمين واستدل البخارى على مـذهبه من جـواز ترجمان واحد بترجمة زيد بن ثابت رضى الله عنه وحده للنبى صلى الله عليه وسلم وأبى حمزة لابن عباس واعترض على من لم يجوز الاكتفاء على واحد لمخالفته الحديث فقال بعضهم المراد به هو محمد بن الحسن وأبو يوسف وزفر ولم يرد بذلك أبا حنيفة لأن أبا حنيفة يجوز الاكتفاء على واحد وقال الحافظ فى الفتح ونقل الكرابيسى عن مالك والشـافعى رحمهما الله الاكتفاء بترجمان واحد وعن أبى حنيفة رحمه الله الاكتفاء بواحد وعن أبى يوسف رحمه الله اثنين ونزلهما منزلة الشهادة أ • هـ •

وهذا يدل على أن الخلاف فى هذه المسألة مع محمد وأبى يوسف وزفر ولم يختلف مع أبى حنيفة فى هذه المسألة •

وقال الديلوى لا ننكر فضائل أبى حنيفة ، كيف وقد أقر الشافعى رحمه الله بنفسه أن الناس فى الفقه عيال لأبى حنيفة وأحاط صـيت فضائله المشارق والمغارب ولكن كل ذلك لا يثبت منه العصمة وكما أن وجود فضائله الجمة لا يستلزم عصمته كذلك بعض زلاته لا يجوز اساءة الأدب فى حضرته فانه مجتهد والمجتهد يخطىء ويصيب وقد سـلك البخارى مسلك الأدب معه حيث لم يصرح باسمه الشريف وقد قـال أبو حنيفة اذا صح الحديث فهو مذهبى ولا شبهة أن الأحاديث لم تدون وتجمع التدوين الكامل والجمع الكامل فى عصره فاحتمل عدم وجدان الحديث وعدم ظهوره للامام حتى خالفه وهذا عذره ولو وقف على هذه الأحاديث لاتبعها فرضى الله عن الامامين الجليلين •

اعادة البخارى الحديث فى مواضع كتابه

يكرر البخارى الحديث فى مواضعه اللائقة به لأمور هامة تتعلق بالاسناد أو المتن أو هما معا •

من ذلك أنه يخرج الحديث عن صحابى ثم يورده عن صحابى آخر ليخرج به عن حد التفرد والغرابة وكذلك يفعل فى أهل الطبقة التالية للصحابة فمن بعدهم الى مشايخه كما يتضح ذلك فى المتابعات •

ومن ذلك أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ويرويها بعضهم مختصرة فيوردها كما جاءت تحريا للدقة وليزيل الشبهة عن ناقليها • وليصل المنقطع منبها على أصله فيقوى بعضها بعضا ومثال ذلك فى صحيحه •

باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب قاله ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذا تعليق •

ولكنه أسنده فى كتاب الحج فى باب الخطبة أيام منى عن على بن يحيى بن سعيد عن سعيد بن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : أيها الناس أى يوم هذا قالوا يوم حرام وفى آخره « اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت »•

قال ابن عباس فو الذى نفسى بيده انها لوصية الى أمتى فليبلغ الشاهد الغائب وذكر الحديث (١) •

وأورد فى هذا الباب حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنى الليث قال حدثنى سعيد عن أبى شريح انه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبى صلى الله عليه وسلم •• الخ •. الحديث ذكره مطولا ثم ذكر فى كتاب الحج (٢)

---

(١) كتاب العينى ج ٢ ص ١٢٨ ط المنيرية شرح صحيح البخارى •
(٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢٣ •

باب فضل الحرم باسناد مغاير ومتن مختصر قال حدثنا على بن عبد الله حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رســـــول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكـــة ان هـــذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكه ولا ينفــــر صيده ولا تلتقط لقطته الا من عرفها ، وليس فى هذا الحديث الجزء الذى بوب له فى الباب السابق •

ويشير البخارى بذلك الى أن ترك بعض السند أو المتن اختصارا لا يضر فيزيل الشبهة عن ناقلة بذكر الروايتين •

ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والارسال ورجح عنده الوصل واعتمدت وأورد الارسال منبها على أنه لا تأثير له لأنه عنده فى الموصول مثال ذلك ما رواه عن مالك عن يزيد بن رومان (١) •

عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف وأخرجه من حديث شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عـــن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن أبى حثمة وأخرجه من حديث يحيى ابن سعيد عن القاسم عن صالح عن سهل موقوفا قال ابن حجر تعارض الرفع والارسال فى حديث سهل والرفع مشهور عنه •

ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة فى الاســـناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوى سمعه من شـــــيخ حدثه به عن آخر ثم لقى الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين مثـــــال ذلك •

حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب عن حمزة بن عبد الله انه أخبره عن أبيه قال لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل فى الصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة أن أبا بكر رجل رقيق اذا قرأ غلبه البكاء قال مروه

---

(١) مقدمة الفتح ج ٢ ص ١١٠ •

فيصلى فعاودته قال مروه فيصلى انكن صواحب يوسف ، تابعه الزبيدى وابن أخى الزهرى واسحاق بن يحيى الكلبى عـن الزهرى وقال عقيل ومعمر عن الزهرى عن حمزة عن النبى صلى الله عليه وسلم •

وقد يورد الحديث لتسمية راو أو التنبيه على زيادة فى الرواية ويراعى تقديم الحديث الأولى •

وفى باب هل يجعل للنساء يوم على حدة فى العلم (١) •

قال : « حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنى ابن الاصـبهانى قال سمعت أبا صالح ذكوان يحدث عن أبى سعيد الخدرى قالت النساء للنبى صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها حجاب من النار فقالت امرأة واثنين قال واثنين » •

ثم قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا غندر عن شـعبة عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن ذكوان عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا (٢) وعـن عبد الرحمن بن الأصـبهانى قال سمعت أبا حازم عن أبى هريرة قال ثلاثة لم يبلغوا الحنث •

وقصد من هذه الاعادة فائدتين أحدهما تسمية ابن الاصبهانى لأنه كان مبهما فى الحديث الأول وهذه الرواية فسرته وانما لم يصرح باسمه هناك محافظة على لفظ الشيخ وهو من غاية احتياطه حيث وضعه كما سمعه عن شيخه •

والفائدة الثانية التنبيه على زيادة فى طريق أبى هريرة وهى قوله « لم يبلغوا الحنث » •

وقدم الحديث الأول على الثانى لأنه أعلى درجة من الثانى اذ فيه

---

(١) العينى جـ ٢ ص ١٣٥ •
(٢) العينى جـ ٢ ص ١٣٥ ط المنيرية •

بين شعبة والبخارى رجل واحد وهو آدم بخلاف الثانى فان بينهما رجلين وهما محمد بن بشار وغندر .

وحديث أبى هريرة هذا موصول وليس بتعليق من البخارى كما فهم الكرمانى وقد بين ذلك العينى قال :

وذلك لأن شعبة يرويه عن عبد الرحمن باسنادين :

الاسناد الأول حدثنى محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن الأصبهانى عن ذكوان عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ما منكن امرأة .. الخ الحديث » أثار الى هذا بقوله بهذا الحديث المذكور .. وتقدير الاسناد الثانى حدثنى محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الأصبهانى قال سمعت أبا حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الحديث بزيادة ثلاثة لم يبلغوا الحلم .

والبخارى لا يعتمد أن يخرج فى كتابه حديثا معادا لجميع الاسناد ومتنه وان كان قد وقع له من ذلك شىء فهو قليل جدا عن غير قصد كما نبه عليه ابن حجر .

وقال النووى رحمه الله (1) لم يقصد البخارى فى كتابه اخراج المسانيد فقط بل أراد التنبيه على المسائل أيضا فلزمه أن يخرجها مكررا فى الأبواب وقلما يورد حديثا فى موضوعين باسناد واحد فمن أراد أن يأخذ حديثا بريئا عن العلل فليأخذه عن البخارى .

وفى مقدمة شرح القسطلانى قال القسطلانى وقد وجدت ورقة بخط الحافظ ابن حجر تعليقا أحضرها الى المحدث البدر المشهدى نصها نبذة من الأحاديث التى ذكرها البخارى فى موضوعين سندا ومتنا حديث عبد الله بن مغفل رمى انسان بجراب فيه شحم فى آخر الخمس وفى الصيد والذبائح .

---

(1) فيض البارى ج 1 ص 42 .

حديث فى نحر البدن فى الحج عن سهل بن بكار عن وهب ذكره فى موضوعين متقاربين • وأورد بقية الأحاديث وهى ثلاثة وعشرون بزيادة حديث من ذكر القسطلانى وجده زيادة على ما ذكره ابن حجر •

وأما اقتصار البخارى على بعض المتن فى بعض الأحيان مع عدم ذكر الباقى فى موضوع آخر لا يقع له ذلك فى الغالب الا حيث يكـــون المحذوف موقوفا على الصحابى وفيه شىء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التى يحكم لها بالرفع ويحــــذف الباقى لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه كما وقع فى حديث هزيل بن شرحبيل عن عبد اللـــه بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : ان أهل الاسلام لا يسيبون وان أهل الجاهلية كانوا يسيبون ، هكذا أورده وهو مختصر ، جاء مطـــولا فى حديث موقوف أوله جاء رجل الى عبد الله بن مسعود فقـــال انى أعتقت عبدا لى سائبة فمات وترك مالا ولم يدع وارثا . فقـــال عبد اللـــه ان أهل الاسلام لا يسيبون وان أهل الجاهلية كانوا يسيبون فأنت ولى نعمته فلك ميراثه فان تأثمت وتحرجت فىشىء فنحن نقبله منك ونجعله فى بيت المال فاقتصر البخارى على ما يعطى حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله: أن أهل الاسلام لايسيبون لانه يستدعى بعمومه النقل عن صاحب الشرع لذلك •

واختصر الباقى لأنه ليس من موضوع كتابه •

وهذا كما قال ابن حجر من أخفى المواضع التى وقعت له فى هذا الجنس وبذلك يعلم أن البخارى لا يعيد الا هادفا للفائدة حتى لو لـــم تظهر لاعادته فائدة من جهة الاسناد ولا من جهة المتن لكانت الفـــائدة لاعادته من أجل مغايرة الحكم الذى تشتمل عليه الترجمة الثانية موجبا أنه لا يعد مكررا بلا فائدة مع أنه على أى حال هو لا يخلو من الفائدة الاسنادية وهى تعدد الطرق فضلا عن ابراز الأحكام المتعددة •

الدافع للبخار على التزامه هذا المسلك فى التراجم

ان البخارى رحمه الله قد أورد فى كتابه من الأحاديث الجامعة لجل مقاصد العلم ومن ذلك العقيدة المتمثلة فى الوحى وكتاب الايمان فى أول كتابه وكتاب التوحيد فى آخره والتفسير الرائع بالمأثور من صحاح الأحاديث وفتاوى الصحابة والتابعين المتمثل فى كثير من أبوابه وخاصة فى كتاب التفسير فى صحيحه .

ومن السيرة العطرة الممثلة فى كتاب المغازى ومن الأدب النبوى الرائع الممثل فى كتاب الأدب ومن تعرضه لطرق التلقى فى كتاب العلم وفضله واصلاحات المحدثين الممثلة فى كتاب العلم وفيه جاء بصيغ الأداء مثل باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا وباب مايذكر فى المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم وباب كتابة العلم ، ويقيمها على أدلة ثابتة من السنة وتعرض لمسائل أصولية يقيمها على أساس متين ميسر من السنة ككتاب ما جاء فى اجازة خبر الواحد ، والى علاقة الكتاب بالسنة والدعوة الى التزامها وأن على موائدهما كل خير كما يتمثل ذلك فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ومن مقاصد الفقه وفروعه وغير ذلك من الأبواب المنبثة فى صحيحه متفرقة متعددة عدد فروع العلم الاسلامى .

واستطاع بمهارته أن ينظمها فى دقة وافية ويبرهن على أن المحدث المتمكن من سنة رسول الله يجد فيها كل دور العلم ويمكن أن يكون من أقصر الطرق وأوفاها — مفسرا لكتاب الله ومؤرخا اسلاميا لسيرة رسول الله ومتكلما عن هدى وبصيرة فى العقيدة وفقيها قانونيا فى أحكام الدين وأخلاقيا مؤدبا بآداب النبوة وأخلاقها .

وغير ذلك من فروع العلم التى تشهد أن من الجهل الصريح أن يفهم المحدث المتمكن أنه بمعزل عن فروع العلم خاصة عن التفسير الذى هو أساس بيانه ، وكيف تقتصر همته فى شىء وهو المتتبع هدى الرسول الداعى الى الله باذنه والسراج المنير . ومن أجل هذا العموم الجامع فى

صحيح البخارى كان من شروحه ما وصل الى أكثر من أربـع وعشرين مجلدا كالكرمانى ومع ذلك سمى البخارى صحيحه مختصرا .

والواقع أنه اختصار العارف الموجز فى دقة من غير اخـلال وان اختصاره انما هو بالنسبة الى كثرة مقاصده وكيف أورده فى هذا الحجم مع أنه موسوعة علمية جامعة مستوفاة .

ان الذى ساعده على ذلك مقدرته وتفننه بمسلكه فى تراجمـه فى اعادة الحديث واختصاره وتقطيعه والا لما كفى هذا العدد من الأحاديث التى فيه على كثرتها لأن يوفى هذه الثروة الفريدة العامة الشاملة .
ولو لم ينهج هذا النهج لاحتاج الى مجلدات لا نهاية لها حتى يوفى هذه الكتب والأبواب .

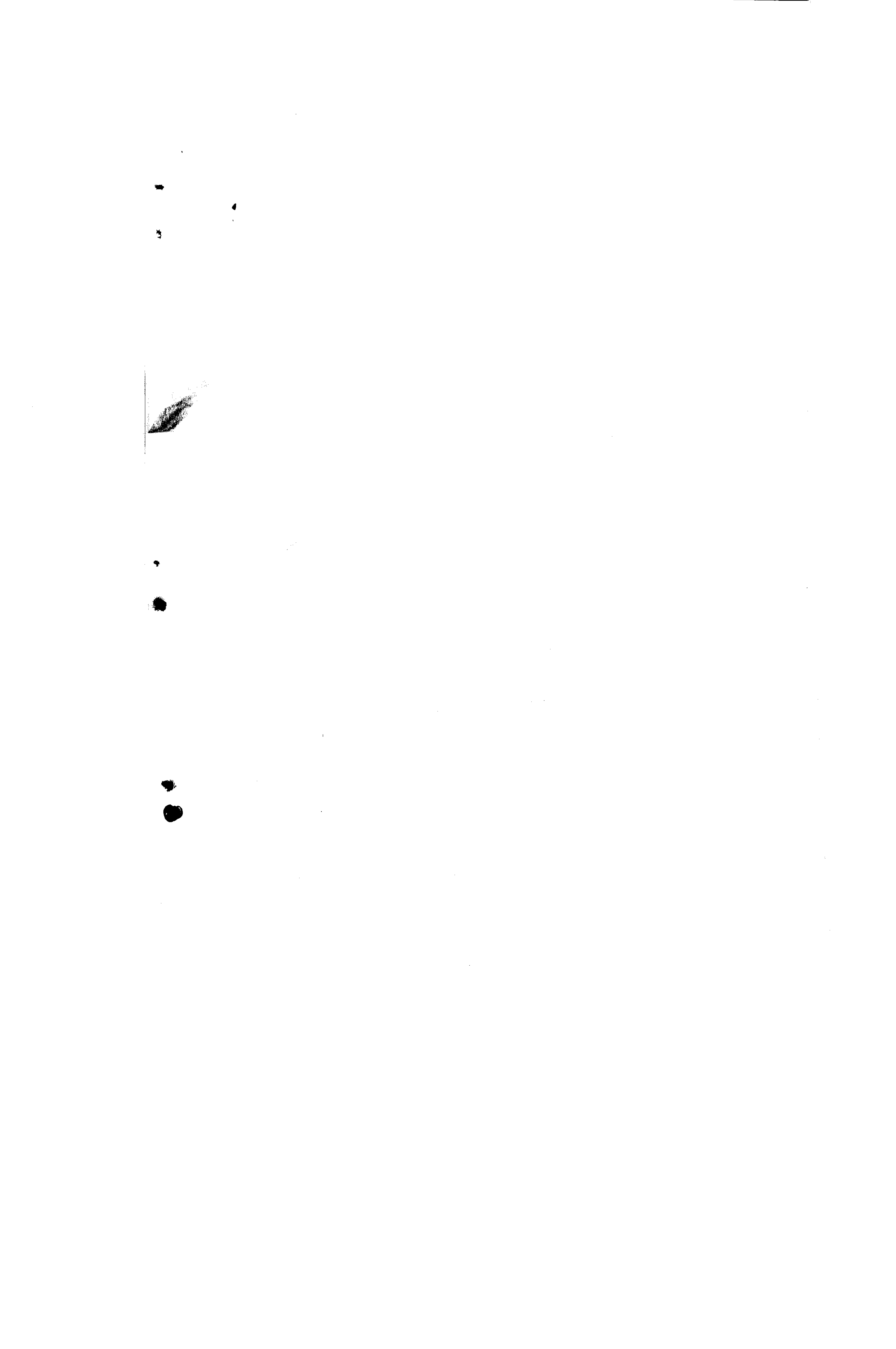
وقد ألزم نفسه باخراج الحديث الصحيح لذاته فى مسنده بل ألزم نفسه ألا يخرج كل صحيح عنده أو عنـد القوم فى صـحيحه فالتزم بخالص الصحيح لذاته وصفوته مشددا على نفسه بالشروط وهذا ماجعله امام المحدثين والمجتهد الفقيه .

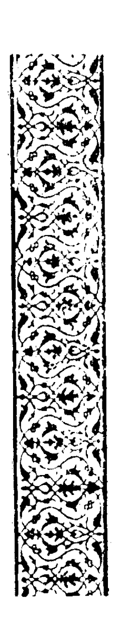
يقول صاحب الفيض [1] ثم ان المصنف رحمه الله العلام لـما شدد فى شروط الأحاديث حتى أغمض عما حسبه حسنا بل صحيحا أيضا قلت ذخيرة الحديث فى كتابه ثم لما أراد أن يتمسك منها على جملة أبـواب الفقه اضطر الى التكرار والتوسع فى وجوه الاستدلال وذلك من كمال بداعته ومن لا دراية له بغوامضـه ولا ذوق له فى علومه فيتعجب من صحيحه ولا يدرى أن التوسع فيه من أجل تضييقه على نفسه فى مـادة الأحاديث فيستدل بالايماءات ويكتفى بالايماضات .

أعيا فحول العلم حل رموز ما | أبداه فى الأبـواب من أسرار

---

(1) فيض البارى ج ١ ص ٤٠ .





الباب الخامس

نقد المتقدمين لحديث البخاري

ومنذ أن ألف الجامع الصحيح للبخارى اتجهت الهمم اليه وأصبح قبلة المحدثين وأئمتهم وقد شهد له فى عصره بالصحة .

وحسبك شهادة الأئمة على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وتقدير أئمة العلماء له كما تقدم ، وأصبح كتابه قبلتهم وورد‌هم المورود ، ومن الأئمة من دعتهم همتهم العالية وعنايتهم به بعد وفـــاة البخارى الى تطبيق أحاديثه على ما التزمه البخارى فى صحيحه وما بدا لهم فى أحاديثه أنه لم يوافق شرطه تناولوه بالنقد .

وكان من أعلام هذا الميدان الامام الحافظ أبو الحسين على بـــن عمر بن أحمد الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

ووجه نقده الى أحاديث انفرد بها البخارى وبعضها اتفق فيها معه الامام مسلم بن الحجاج .

وكذلك كان من النقاد أبو مسعود الدمشقى وأبو عـلى الغســانى قال الامـــام النووى محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مـــرى الخزامى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فى مقدمة (١) شرحه للامام مسلم .

قد استدرك على البخـــارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما التزماه ، فقد ألف الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى فى بيان ذلك كتابه المسمى بالاستدراكات والتتبع وذلـــك فى مائتى حديث مما فى الكتابين .

---

(١) شرح النووى ج ١ صفحة ٢٧ .

ولأبى مسعود الدمشقى أيضا عليهما استدراك ولأبى على الغسانى الجيانى فى كتابه تقييد المهمل فى جزء العلل منه استدراك أكثره على الرواة عندهما قال النووى وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره . وفى مقدمة شرحه للبخارى (١) قال قد استدرك الدارقطنى على البخارى أحاديث وطعن فى بعضها وذلك الطعن الذى ذكره فاسد مبنى على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول ولقواعد الأدلة فلا تغتر بذلك . أ . هـ

وهذه شهادة الامام النووى رجل السنة وأصولها شارح صحيح مسلم والبخارى وصاحب كتاب التقريب فى أصول قواعد الحديث ، وقد وضع ابن حجر قاعدة أصلية عامة فى الرد على النقاد اعتبرها الجواب الاجمالى المقنع فى الرد على كل ما انتقد على البخارى ومسلم . ومن الأئمة المذكورين الدارقطنى وأبو مسعود الغسانى وغيرهم .

ولا يوفق المجيب .

وفى جواب ابن حجر الاجمالى يتوفر الرد على نقد كل معترض مع ملاحظة أن عدم التوفيق فى الاجابة فرضا . فى بعض نقاط الاعتراض لايكون مسوغا للتسليم بالنقد لانه من الممكن أن يخطىء المعترض ولا يوفق المجيب .

ولو كان الاعتراض فى حال حياة البخارى ووجه اليه لكان ملزما عند عدم الاجابة عليه وأنت ترى أنه لو لم يوفق الله ابن حجر وأمثاله فى قوتهم العلمية لما كان من المعلوم الاجابة على نقد النقاد رغم عدم وجاهتها وعدم ثبوتها فى الواقع .

على أن ابن حجر قد وفى ووفق فى الاجابة وأنصف فى تقديم الدليل الاجمالى ردا على كل نقد موجه للشيخين ثم أعقب ذلك تأكيدا وتبيانا بالأدلة التفصيلية ، ثم تتبع الأحاديث حديثا حديثا بالرد عليه وهى مائة وعشرة .

---

(١) شرح النووى جـ ١ ص ١١ .

على أنه من الطريف الذى لايدع مجالا لمعترض أنه قد أثبت ابن حجر أن جميع ما اعترض على البخارى به قد جاء وورد من طرق أخرى صحيحة غير معترض عليها وبذلك قد بين أن قيمة هذا النقــد لا تمس صحة المتن حيث أنه قد ورد بأسانيد أخرى صحيحة .

وقال الحافظ ابن حجر فى الكلام فيما أعل من الأحاديث المسندات.

وعدة ما اجتمع لنا من ذلك مما فى كتاب البخارى وان شـــاركه مسلم فى بعضها مائة وعشرة أحاديث منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا .

ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا .

الجــواب الاجمالى

والجواب عنه على سبيل الاجمــال أن نقــول لا ريب فى تقــديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفــــن فى معرفة الصحيح والمعل فانهم لا يختلفون فى أن على بن المــدينى كــان أعلم أقرانه بعلل الحديث . وعند أخذ البخارى ذلك حتى كان يقــــول ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى . ومع ذلك فكان على بن المدينى اذا بلغه ذلك عن البخارى يقول دعوا قوله فانه ما رأى مثل نفسه . وكان محمد بن يحيى الذهلى أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهرى وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا .

وروى الفربرى عن البخــارى قال ما أدخلت فى الصحيح حديثا الا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته .

وقال مكى بن عبد الله سمعت مسلم بن الحجاج يقول عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته .

فاذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث الا مالا علة له أو له علة الا أنها غير مؤثرة عندهما .

فبقدر توجيه كلام من انتقــد عليهمــا يكــون قوله معارضـــا

لتصحيحهما • ولاريب فى تقديمهما فى ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة •

الاجابة التفصيلية وأمثلتها

وأما من حيث الاجابة التفصيلية فيحتاج الامر الى تقسيم الأحاديث المنتقدة أقساما حسب مقاييس المنتقدين فقسمها الى ستة أقسام ثم تتبع الأحاديث حديثا حديثا بالرد عليه وسأكتفى بالتقسيم التفصيلى مع استخلاص التمثيل لكل قسم من الأحاديث المنتقدة •

القسم الاول :

(أ) (1) ما يختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الاسناد فان خرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطنى •

مثاله (2) :

قال الدارقطنى : وأخرجا جميعاً حديث ابن جريج عن الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه وعمه عبيد الله بن كعب عن كعب بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد ، الحديث وقد خالفه معمر فقال عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه وقال عقيل عن الزهرى عن ابن كعب عن أبيه وهو يشبه رواية معمر • قال : الدارقطنى ورواية ابن جريج أصح ولا يضره من خالفه قال ابن حجر قول معمر وغيره عن عبد الرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبة الى جده فتكون روايتهم منقطعة ، وهذا الجواب صحيح من الدارقطنى فى أن الاختلاف فى مثل هذا لايضر كما قرر .

لأن الراوى (3) ان كان سمعه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمعه

---

(1) المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد •

(2) المقدمة صفحة ٩٥ من كتاب الجهاد •

(3) المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد •

بواسطة عن شيخه فى الطريق الزائدة ثم لقيه فسمعه منه مباشرة • وان كان لم يسمعه فى الطريق الناقصة فهو منقطع والمنقطع من قسم الضعيف لا يعل الصحيح مثاله :

قال الدارقطنى وأخرجا جميعا حديث يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه فى قصة المسىء صلاته وقول النبى صلى الله عليه وسلم له ارجع فصل فانك لم تصل ، وقد خالف يحيى القطان أصحاب عبيد الله كلهم منهم أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعبسى بن يونس وغيرهم فرووه عن عبيد الله عن سعيد عن أبى هريرة لم يذكروا أباه • ويحيى حافظ ويشبه أن يكون عبيد الله حدث به على الوجهين والله أعلم • قال ابن حجر ورجح الترمذى رواية يحيى القطان •

وان أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف •

فينظر — ان كان ذلك الراوى صحابيا — أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه ادراكا بينا أو صرح بالسماع ان كان مدلسا من طريق أخرى فان وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك ، وان لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهرا فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح انه انما أخرج مثل ذلك فى باب ماله متابع وعاضد أو ما حفته قرينة فى الجملة تقوية ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع •

مثال ذلك (1) :

قال الدارقطنى : أخرج البخارى حديث أبى مروان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أم سلمة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها اذا صليت الصبح فطوفى على بعيرك والناس يصلون الحديث ، هذا منقطع وقد وصله حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة ،

---

(1) المقدمة صفحة ٩١ من كتاب الجهاد •

ووصله مالك عن أبى الاسود عن عروة كذلك فى الموطأ قال ابن حجـــر حديث مالك عند البخارى فى هذا المكان مقرون بحديث أبى مـــروان • وقد وقع فى بعض النســـخ وهى رواية الاصيلى فى هذا عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة موصولا وعلى هذا اعتمد المزى فى الأطراف ولكن معظم الروايات على اسقاط زينب قال ابو على الجيـــانى وهـــو الصحيح ، ثم ساقه من ريق ابى على بن السكن عن على بن عبد الله بن مبشر عن محمد بن حرب شيخ البخارى فيه على الموافقة وليس فيه زينب وكذا أخرجه الاسماعيلى من حديث عبده بن سليمان • ومحاضر وحسان ابن ابراهيم كلهم عن هشام ليس فيه زينب وهو المحفوظ من حـــديث هشام وانما اعتمد البخارى فيه رواية مالك التى أثبت فيها ذكر زينب ثم ساق معها رواية هشام التى سقطت منها ، حاكيا للخلاف فيه عـــلى عروة كعادته مع أن سماع عروة من أم سلمة ليس بمستبعد •

(ب) وربما علل بعض النقاد أحاديث أدعى فيها الانقطاع لكونهـــا غير مسموعة • كما فى الاحاديث المروية بالمكاتبة والاجازة وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالاجازة بل تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالاجازة عنده •

مثاله (١) :

قال الدارقطنى : وأخرجا جميعاً حديث موسى بن عقبة عن أبى النضر مولى عمر بن عبد الله قال كتب اليه عبد الله بن أبى أوفى ، فقرأته أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تمنوا لقاء العدو واذا لقيتموه فاصبروا « الحديث » قال وأبو النضر لم يسمع من ابن أبى أوفى وانما رواه عن كتابه فهو حجة فى رواية المكاتبة •

قال ابن حجر فلا علة فيه لكنه ينبىء على أن شرط المكاتبة هل هو من الكاتب الى المكتوب فقط أم كل من عرف الخط روى به وان لـــــم يكن مقصودا بالكتابة اليه •

---

(١) صفحة ٩٣ من كتاب الجهاد •

الأول هو المتبادر الى الفهم من المصطلح • وأما الثانى فهو عندهم من صور الوجادة ، لكن يمكن أن يقال هنا أن رواية أبى النضر هنا تكون من مولاه عمر بن عبيد الله عن كتاب ابن أبى أوفى اليه • ويكون أخذه كذلك عن مولاه عرضا لأنه قرأه عليه لانه كان كاتبه فتصير والحالة هذه من الرواية بالمكاتبة كما قال الدارقطنى والله أعلم •

القســـم الثانى :

ما تختلف الرواية فيه بتغيير رجال بعض الاسناد • فالجواب عنه ان أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوى عــلى الوجهــين جميعا فأخرجهما المنصف ولم يقتصر على احداهما حيث يكون المختلفون فى ذلك متعادلين فى الحفظ والعدد مثاله (١) •

قال الدارقطنى أخرج البخـــارى من حديث اسرائيل عن الأعمش ومنصور جميعا عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فنزلت والمرسلات الحديث ولم يتابع اسرائيل عن الأعمش عن علقمة أما منصور فتابعه شيبان عنه وكذا رواه مغيرة عن ابراهيم •

قال ابن حجر وقد حكى البخارى الخلاف فيه وهو تعليل لا يضر • أ هـ •

ويجمل أن أبين ما حكاه البخـــارى قال حدثنى محمـــود حـــدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمـــة عن عبيد الله رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزلت عليه والمرسلات وانا لنتلقاها من فيه فخرجت حية فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتـــم شرها حدثنا عبده بن عبدالله أخبرنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عنمنصور بهذا وعن اسرائيل عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله مثله وتابعه أسود بن عامر عن اسرائيل وقال حفص أبو معاوية وسليمان بن قرم عن الأعمش عن ابراهيم عن الأسود قال يحيى بن حماد أخبـــرنا

(١) المقدمة ص ٩٦ •

أبو عوانة عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وقال بن اسحاق عن عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه عن عبد الله حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم عن الأسود قال . قال عبد الله بينما نحن مع النبى الحديث .

وان امتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين فى الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير اليها فالتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف غير قادح اذ لا يلزمه من مجرد الاخلاف اضطراب يوجب الضعف فينبغى الاعلام أيضا فيما هذا سبيله .

مثاله (1) قال الدارقطنى أخرج مسلم حديث الأشج عن أبى خالد عن الأعمش عن الحكم ومسلم البطين وسلمة ابن كهيل عن سعيد وعطاء ومجاهد عن أبن عباس أن امرأة زعمت أن أختها ماتت وعليها صوم الحديث قال . وقال البخارى ويذكر عن أبى خالد فذكره قال الدارقطنى وخالفه جماعة منهم شعبة وزائدة وابن نمير وأبو معاوية وجرير وغير واحد عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن بن عباس وبين زائده فى روايته من أين دخل الوهم على أبى خالد فقال فى آخر الحديث فقال الحكم وسلمة بن كهيل وكانا عند مسلم حين حدث بهذا الحديث ونحن سمعناه من مجاهد عن ابن عباس قال ابن حجر قلت قد أوضحت هذه الطريق فى كتابى تغليق التعليق وتبينت أنه لا يلحق الشيخين فى ذكرها لطريق أبى خالد لوم لأن البخارى علقه بصيغة يشير الى وهمه فيه وأما مسلم فأخرجه مقتصرا على اسناده دون سياق متنه .

القسم الثالث (2) :

ما تفرد بعض الرواة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل به الا ان كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر

---

(1) المقدمة ص 91 .

(2) مقدمة فتح البارى ج 2 ص 82 .

الجمـــــع أما ان كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكـــون كالحـــديث المستقل فـــلا .

اللهم الا ان وضح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة فى المتن من كلام بعض رواته فما كان من هذا القسم فهو مؤثر مثاله (١) قـــال الدار قطنى وأخرجا جميعا حديث قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة من أعتق شقيصا (٢) وذكر فيه الاستســـــعاء من حديث بن أبى عروبة وجرير بن حازم وقد روى هذا الحديث شـــعبة وهشام وهما أثبت الناس فى قتادة فلم يذكروا فى الحديث الاســـتسعاء ووافقهما همام وفصل الاستسعاء من الحديث فجعله من رأى قتــــادة لا من رواية أبى هريرة قال المقبرى عن همام وقال أبو مســـعود حديث همام عندى حسن وعندى انه لم يقع للشيخين ولو وقع لهما لحكم بقبوله وتابعه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة وكذا رواه أبو عامر عن هشـــام قال الدارقطنى وهذا أولى بالصواب من حديث أبى عروبة وجرير بـــن حازم قال ابن حجر وقد اختلفت فيه على همام وعلى هشام ولم يفصح بالاجابة ابن حجر وجاء بها العينى وحكى العينى (٣) احتجاج أبى حنيفة بما رواه البخارى من الاستسعاء قال احتج أبو حنيفة بما رواه البخارى من أعتق شقصا له فى مملوك فخلاصه عليه فى ماله ان كان له مال والا قوم عليه واستسعى به غير مشقوق أى لا يشدد عليه ورواه مســـــلم أيضا وقال ابن حزم على ثبوت الاستسعاء ثلاثون صحابيا .

وقد رواه البخارى عن مسدد عن يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة وتابعه حجاج بن حجاج وابان وموسى بن خلف عن قتادة أى تابع سعيد ابن أبى عروبة فى روايته عن قتادة حجاج .

قال العينى : أراد البخارى بذكر متابعة هؤلاء الرد على من زعم أن الاستسعاء فى هذا الحديث غير محفوظ بل مدرج وأن سعيد بن أبى

---

(١) الحديث رقم ٣٤ ص ٩٣ من الشرب من كتاب البيوع من مقدمة الفتح .
(٢) شقيصا — نصيبا .
(٣) شرح البخارى للعينى ج ٥ ص ١٧٥ .

عروبة تفرد به فاستظهر له بمتابعته هؤلاء المذكـورين وكـــذلك رواه حجاج بن أرطأة عن قتـــادة كمـــا أخرجها الطحاوى وأخرج رواية ابان أبو داود ورواه النسائى برواية الطحاوى وبرواية موسى بن خلف أخرجه الخطيب فى كتاب الفصل والوصل وكل ذلك بذكر الاستسعاء فلا وجه للاعتراض .

القسم الرابع :

ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف من الرواة وليس فى الجامـع الصحيح للبخارى من هذا القبيل غير حديثين وتبين أن كلا منهما قـــد توبع وهمـــا .

الأول ، قال الدارقطنى [1] وأخرج البخـــارى حديث أبى بــن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : كان للنبى صلى اللـــه عليه وسلم فرس يقال له اللحيف قال وأبى هذا ضعيف وترجم لـــه ابن حجر فى الرجال [2] قال ابى بن عباس بن سهل بن سعد الســـــاعدى الانصارى المدنى ضعفه احمد وابن نعيم وقال النسائى ليس بالقوى قال ابن حجر له عند البخارى حديث واحد فى ذكر خيل النبى صلى الله عليه وسلم وهو الحديث المذكور الذى معنا وقد تابعه عليه أخوه عبد المهيمن ابن العباس وروى له الترمذى وابن ماجة فاندفع الاعتراض عليه .

الحديث الثانى :

قال الدارقطنى [3] ووجده ابن حجر بخطه أخرج البخارى حديث اسماعيل بن أبى أويس عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيـــه أن عمـــر رضى الله عنه استعمل مولى يدعى هنيا . على الخمس الحديث بطوله قال واسماعيل ضعيف قال ابن حجر [4] وروينا فى مناقب البخـــارى بسند صحيح أن اسماعيل أخرج للبخارى أصـــوله وأذن له أن ينتقى منها وأن يعلم ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه وهو مشـــعر

---

(١) شرح البخارى للعينى ج ٥ ص ١٧٥ .

(٢) العينى ج ٥ ص ٢١٠ .

(٣) المقدمة ص ٩٤ كتاب الجهاد .

(٤) ص ١١٥ من المقدمة .

بأن ما خرجه البخارى عنه هو من صحيح حديثه لأنه كتب من أصـولة وعلى هذا لا يحتج بشىء من حديثه غير ما فى الصحيح من أجل ما قدح فيه النسائى وغيره الا أن يشاركه فيه غيره فيعتبر به ، على انه لم ينفرد بهذا الحديث كما ظن الدارقطنى بل تابعه عليه معن بن عيسى فرواه عن مالك كرواية اسماعيل سواء فاندفع به الاعتراض •

وبهذا ثبت أن كل ما انتقد على البخارى فضلا عن رده انه ما من حديث الا وقد ورد من طريق آخر فثبتت صحة المتون كلها •

القسم الخامس :

ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن فهذا أكثره لا يترتب عليه قدح الامكان الجمع فيما اختلف من ذلك أو الترجيح • مثاله (١) حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا قال سمعت عامرا يقول : حدثنى جابر أنه كان يسير على جمل له قد اعيا فمر النبى صلى الله عليه وسـلم فضربه فدعا لـه فسأر سيرا ليس يسير مثله ثم قال بعنيه بأوقية قلت لا ثم قـال بعنيه بأوقية فاستثنيت حملانه الى أهلى فلما قدمنا أتيته بالجمل ونقدنى ثمنه ثم انصرفت فأرسلعلى أثرى• وقال عبيد الله وابن اسحاق عن وهبعن جابر اشتراه النبى صلى الله عليه وسلم بأوقية وتابعه زيد بن أسلم عن جابر وقال ابن جريج عن عطاء وغيره عن جابر أخذته بأربعة دنانير وهذا يكون بأوقية على حساب الدينار بعشرة دراهم ، ولم يبين الثمن مغيرة عن الشعبى عن جابر وابن المنكدر وأبو الزبير عن جابر وقال الأعمش عن سالم عن جابر أوقية ذهب وقال اسـحاق عن سالم عن جابر بمائتى درهم وقال داود بن قيس عن عبد الله بن مقسم عن جابر اشتراه بطريق تبوك أحسبه قال بأربع أواق عن جابر اشـتراه بعشرين دينارا وقـال الشعبى بأوقية أكثر ، والاشتراط أكثر وأصح عندى قال «أبو عبد الله» وهذا تعبير البخارى يريد نفسه أو حكاية عنه من الراوى وقـال ابن

---

(١) شرح فتح البارى ج ٥ ص ١٩٨ باب اذا اشترط البائع ظهر الدابة الى مكان مسمى جـاز .

حجر فى شرحه (١) قوله قال أبو عبد الله هو المصنف الاشتراط أكثر وأصح عندى أى أكثر طرقا وأصح مخرجا وأشار بذلك الى أن الرواة اختلفوا عن جابر فى هذه الواقعة هل وقع الشرط فى العقد عند البيع أو كان ركوبه للجمل بعد بيعه اباحة من النبى صلى الله عليه وسلم بعد شرائه عن طريق العارية .

والحاصل أن الذين ذكروه بصيغة الاشتراط أكثر عددا من الذين خالفوه وهذا وجه من وجوه الترجيح فيكون أصح ويترجح أيضا بأن الذين رووه بصيغة الاشتراط معهم زيادة وهم حفاظ فتكون حجة وليست رواية من لم يذكر الاشتراط منافية لرواية من ذكر لأن قوله لك ظهره وأفقرناك ظهره وتبلغ عليه لا يمنعه وقوع الاشتراء قبل ذلك وقد رواه عن جابر بمعنى الاشتراط أيضا أبو المتوكل عند أحمد ولفظه بمعنى ولك ظهره الى المدينة ولكن أخرجه المصنف فى الجهاد من طريق أخرى عن أبى المتوكل فلم يتعرض للشرط اثباتا ولا نفيا ورواه احمد من هذا الوجه بلفظ أتبيعنى جملك قلت نعم قال أقدم عليه المدينة .

قوله وقول الشعبى بأوقية أكثر أى موافقة لغيره من الأقوال وقد جمع عياض وغيره بين هذه الروايات فقال سبب الاختلاف أنهم رووا بالمعنى والمراد أوقية الذهب والأربع أواق والخمس بقدر ثمن الاوقية الذهب والاربعة دنانير مع العشرين دينار محمولة على اختلاف الوزن والعدد وكذلك رواية الاربعين درهما مع المائتى درهم قال وكان الاخبار بالفضة عن ما وقع عليه العقد وبالذهب عما حصل به الوفاء أو بالعكس أ . هـ .

قال القرطبى اختلفوا فى ثمن الجمل اختلافا لا يقبله التلفيق وتكلف ذلك بعيد عن التحقيق وهو مبنى على أمر لم يصح نقله ولا استقام ضبطه مع أنه لا يتعلق بتحقيق ذلك حكم وانما تحصل من مجموع الروايات أنه باعه البعير بثمن معلوم بينهما وزاده عند الوفاء زيادة معلومة ولا يضر عدم العلم بتحقيق ذلك .

---

(١) فتح البارى .

قال الاسماعيلى ليس اختلافهم فى قدر الثمن بضار ، لأن الغرض الذى سبق الحديث لأجله بيان كرمه صلى الله عليه وسلم وتواضعه وحنوه على أصحابه وبركة دعائه وغير ذلك ولا يلزم من وهم بعضهم فى قدر الثمن توهينه لأصل الحديث قال الحافظ ابن حجر وما جنح اليه البخارى من الترجيح أقعد وبالرجوع الى التحقيق أسعد فليعتمد ذلك وبالله التوفيق .

فالبخارى هنا قد عرض الروايات وبين قيمتها وصرح برأيه فأى ضير فى ذلك ؟

وفى هذا ومثله فقط وقع النقد فى المتن عند المتقدمين ولهذا القدر فقط كان القول بعدم لزوم حجة الاسناد لصحة المتن ومقياسهم فى ذلك مخالفة اللفظ لما رواه الثقات فأخذ من هنا نقاد العصر الحديث نقد المتن فى أصل الحديث مع صحة السند وقاسوه على مقاييسهم الزائفة ورموا المتقدمين بعدم نقد المتن .

وهكذا نجد أنه لم يثبت الضعف الفرد فى صحيح البخارى وان وجد فيه المضعف الذى انتقد عليه وقد رد هذا النقد وظهر صحة الحديث فى طريقه المنتقد وتعضيده بطريق آخر صحيح لا نقد فيه وأن ما وجه اليه من ناحية النقد فى المتن من حيث الادراج من الرواة وعدمه قد بينه البخارى وذكر رأيه فيه فلا اعتراض عليه فثبت بذلك صحة متونه .

وقد انتهى ابن حجر بعد الدراسة والتحليل منها فى الفصل الثامن فى المقدمة على ما بدأ به من أن ما انتقد عليه وان لم يقدح فى أصل موضوع الكتاب فان جميعها ورد من جهة أخرى صحيحة لا نقد عليها

ومما يؤيد صحة متن البخارى وأن عدم نقدمتنه انما هو لعدم وجود ماينقد فيه من المتن قول الكشميرى (١) .

---

(١) فيض البارى جـ ١ ص ٣٤ .

ثم ان الدارقطنى تتبع على البخارى فى أزيد من مائة موضوع لم يستطع أن يتكلم الا فى الأسانيد بالوصل والارسال غير موضع واحد وهو اذا جاء أحدكم والامام يخطب فليصل ركعتين وليتجوز فيهما فأنه تكلم فيه مما يتعلق بحال المتن •

ووجهه أن الدارقطنى يمشى على القواقد المهدة عندهم فينازعه من القواعد • وشأن البخارى أرفع من ذلك فانه يمشى على اجتهاده وينظر الى خصوص المقام وشهادة الوجدان وانما القواعد لغير الممارس على حد التحديد للعوام فيما لم يرد به التحديد من الشارع ، أ • هـ •

ولما كان هذا الحديث الوحيد الذى تصدر له الدارقطنى بالنقد من حيث المتن فأبين موضع نقده وانه لا يتصل بأصل الحديث كما جاء به ورد نقده ابن حجر •

قال الدارقطنى (1) وأخرجا جميعا البخارى ومسلم حديث شعبة عن عمرو عن جابر اذا جاء أحدكم والامام يخطب فليصل ركعتين وقد رواه ابن جريج وابن عينية وحماد بن زيد وأيوب وورقاء وحبيب بن يحيى كلهم عن عمرو بأن رجلا دخل المسجد فقال له : صليت الحديث•

وقد رد ابن حجر قال : هذا يوهم أن هؤلاء أرسلوه وليس كذلك فقد أخرجه الشيخان من رواية حماد بن زيد وسفيان بن عيينه ، ومسلم من حديث أيوب وابن جريج كلهم عن عمرو بن دينار موصولا وانما أراد الدارقطنى أن شعبة خالف هؤلاء الجماعة فى سياق المتن واختصره وهم انما أوردوه على حكاية قصة الداخل وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة ركعتين والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وهى قصة محتملة للخصوص •

وسياق شعبة يقتضى العموم فى حق كل داخل فهى مع اختصارها أزيد من رواياتهم وليست بشاذة فقد تابعه على ذلك روح بن القاسم

---

(1) المقدمة جـ ٢ ص ٨٨ •

عن عمرو بن دينار أخرجه الداقطنى فى السنن فهذا يدل على أن عمرو ابن دينار حدث به على الوجهين والله أعلم .

نقد الرجال وقيمته

وقد توجه النقد الى ما حكم فيه بالوهم (١) على بعض الرجـال ، وهذا منه ما يؤثر ذلك الوهم قدحا ومنه مالا يؤثر .

والمراد بالتأثير انما هو فى قيمة الرجال والحكم عليهم وان كان ذلك لايؤثر فى متن الحديث كما تقدم بالنسبة للامثلة التى ذكرت فى القسـم الرابع وقد علمنا أنه لم ينفرد الرواه الضعفاء بالحديث فى صـحيح البخارى الا فى حديثين .

وقد تبين أن كلا منهما قد توبع ومعنى ذلك أنه ثبت أنه لم ينفرد ضعيف بالحديث فعلى فرض ثبوت ضعف الراوى لم يتأثر المتن الذى ثبت أنه قد روى من طرق أخرى صحيحة غير الطريق الذى توهم فيـه الضعيف لمتابعته من طريق صحيح وهذا ما بينه ابن حجر . فقال : بعد أو أورد الرجال الذين ورد فيهم طعن (٢) : فجميع من ذكر فى هـذين الفصلين ممن احتج به البخارى لا يلحقه فى ذلك عيب لما فسرناه وامـا ما عدا من ذكر فيهما ممن وصف بسوء الضبط أو الوهـم أو الغلـط ونحو ذلك وهو القسم الثالث فبين أيضا أنه لم يلحقه عيب قال : فـلم يخرج لهم الا ما توبعوا عليه عنده أو عند غيره وقد شرحنا من ذلـك ما فيه كفاية والله الموفق الى سبيل الرشاد ونفع الله بجميع ذلك بمنه وكرمـه .

وبذلك فقد أصبحت قيمة النقد فى الرجال انما هى بالنسبة الى الحكم عليهم والتعريف بهم وسلم المتن لمجيئه من طريق آخر صـحيح وان قيمة السند كما هى لصحة الحديث .

---

(١) المقدمة ج ٢ ص ٨٢ .
(٢) المقدمة ج ٢ ص ١٨٣ .

هى أيضا للبركة بالاسناد المتصل الى صاحب السنة حتى تتصـل الروحانية النبوية فى سلسلة كريمة عاطرة الى راوى الحديث وقـارئه وهذا مما اختصت به الامة الاسلامية فى حفظ تراثها حيا نابضا بالحياة وهى احدى الحكم التى عدت فى اعجام أوائل السور حتى لا يسـتطيع انسان أن يقرأها بدون شيخ حتى يتأكد المتلقى أن النقل من شيخ الى ما فوقه كان بالمشافهة باتصال روحى تلقاه مقرىء عن مقرىء حتى فم النبى صلى الله عليه وسلم المعطر الذى تلقاه من جبريل عن رب العزة سلسلة مباركة مطهرة يتجلى فيها الروحانية والبركة •

مقاييس الطعـن فى الرجال

ونرتاد الى رياض ابن حجر فى مقاييس نقد الرجال ومدارها وقيمة رجال الصحيح •

قال ابن حجر (1) لا يقبل الطعن فى أحد منهم « أى من رجـال الصحيحين » الا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة •

ومدارها على خمسة أشياء :

١ ــ البدعـة •

٢ ــ المخالفة •

٣ ــ الغلط •

٤ ــ جهالة الحال •

٥ ــ دعوى الانقطاع فى السند بأن يدعى فى الراوى أنه كان يدلس أو يرسل •

فأما جهالة الحال فمندفعة عن جميع من أخرج لهم فى الصحيح لأن شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف فى دعواه أنه معروف ولا شك أن المـدعى لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العـلم

(1) المقدمة جـ ٢ ص ١١١ •

ومع ذلك فلا تجد فى رجال الصحيح أحدا يسوغ اطلاق اسم الجهالة عليه أصلا .

وأما الغلط فتارة يكثر من الراوى وتارة يقل .

فحيث يوصف بكونه كثير الغلط فيما أخرج له ان وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية غيره غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريقة وان لم يوجد الا من طريقه فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله وليس فى الصحيح بحمد الله من ذلك شىء .

وحيث يوصف بقلة الغلط كما يقال سىء الحفظ أوله أو هام أو له مناكير وغير ذلك من العبارات والحكم فيه كالحكم فى الذى قبله .

فتارة يكثر وتارة يقل وينظر فيما أخرج له .. الخ .. وليس فى الصحيح بحمد الله شىء من ذلك .

الا أن الرواية عن هؤلاء فى المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك مع عدم التفرد فلا طعن . (أى هى للاستئناس والشواهد وتكثير الطرق فهى معادة) .

وقد نص ابن حجر على ذلك فى باب ما طعن عليه من رجال المعلقات أذكره لأهميته فهو خير دليل لسلامة متن ونصوص المعلقات وبذلك يسلم كل ما جاء بالصحيح من المعلقات كما سلم ما جاء من الأصول وقد عقد ابن حجر فصلا فى سياق من علق البخارى (١) شيئا من أحاديثهم ممن تكلم فيه قال وما يعلقه البخارى من أحاديث هؤلاء انما يورده فى مقام الاستشهاد وتكثير الطرق ومعنى ذلك أنه معاد فى صورة غير معترض عليها فى الكتاب ولذا رتب النتيجة المنطقية قائلا فلو كان ما قيل فيهم قادحا ما ضر ذلك ثم أورد الأسماء على التفصيل .

---

(١) المقدمة ص ١٧٦ .

والأمر الثالث (١) : المخالفة ويثبت بها الشذوذ والنكارة فاذا روى الضابط والصدوق شيئا فرواه من هو أحفظ منه أو أكثر عددا بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شاذ وقد تشتد المخالفة بأن يضعف الحفظ فيحكم على من يخالف فيه بكونه منكرا وهذا ليس فى الصحيح منه الا نذر يسير •

كما تقدم فى نقد المتن فى قصة جمل جابر والروايات الضعيفة فى مقابل الروايات القوية والاكثر عددا التى رجحها البخارى بعد ذكر الجميع وقد علمت أن البخارى ينبه عليه ويذكر فيه رأيه • فلا اعتراض عليه •

(٤) قال ابن حجر : وأما دعوى الانقطاع فمدفوع عمن أخرج لهم البخارى كما علم من شرطه ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو ارسال أن تسبر أحاديثهم الموجودة عنده بالعنعنة فان وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض والا فلا • وقد ثبت السماع فى المعنعن فلا وجه للاعتراض •

والأمر الخامس : البدعة والموصوف بها اما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق . فالمكفر بها لابد وأن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة كما فى غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الألوهية على أو غيره أو الايمان برجوعه الى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك وليس فى الصحيح من حديث هؤلاء شىء البتة والمفسق بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون ذلك الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند الى تأويل ظاهره سائغ فقد اختلف أهل السنة فى قبول حديث ما هذا سبيله اذا كان معروفا بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفا بالديانة والعبادة فقيل يقبل مطلقا وقيل يرد مطلقا والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل غير الداعية ويرد حديث الداعية وهذا المذهب هو الأعدل وصارت اليه

---

(١) المقدمة ص ١١١ •

الطوائف من الأئمة وادعى ابن حبان اجماع أهل النقل عليه لكن فى دعوى ذلك نظر ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل فبعضهم أطلق وبعضهم زاده تفصيلا فقال ان اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد ببدعته ويزينه ويحسنه ظاهرا فلا تقبل وان لم تشتمل فتقبل وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه فى عكسه فى حق الداعية فقال ان اشتملت روايته على ما يرد ببدعته قبل والا فلا وعلى هذا اذ اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على مالا تعلق له ببدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا مال أبو الفتح القشيرى الى تفصيل آخر فيه فقال ان وافقه غيره فلا يلتفت اليه هو اخماد لبدعته واطفاء لناره وان لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث الا عنده مع ما وصفنا من صدقه وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته فينبغى أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة اهانته واطفاء بدعته والله أعلم ٠

واعلم انه قد وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد فينبغى التنبه لذلك وعدم الاعتداد به الا بحق وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا فى أمر الدنيا فضعفوهم لذلك ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط والله الموفق ٠

وأبعد من ذلك كله من الاعتبار تضعيف من ضعف بعض الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو للتحامل بين الأقران ، وأشد من ذلك تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث وقد بين ابن حجر القطع بعدالتهم وحفظهم ٠

قال : ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راو كان ٠ مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولاسيما ما انضاف الى ذلك من اطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه فى الصحيح فهو بمثابة أطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا اذا خرج له فى الأصول فاما ان خرجا له فى المتابعات

والشواهد والتعاليق فهذا تتفاوت درجات من أخرج له منهم فى الضبط وغيره من حصول اسم الصدق لهم وحينئذ اذا وجدنا لغيره فى أحـــد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل الامام فلا يقبل الا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح فى عدالة هذا الراوى وفى ضبطه مطلقا أو فى ضبطه الخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها مالا يقدح وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول فى الرجـل الذى يخـرج عنه فى الصحيح هـذا جاز القنطرة يعنى بذلك أنـه لا يلتفت الى ماقيل فيه •

قال الشيخ أبو الفتح القشيرى فى مختصره وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه الا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد فى غلبـة الظـن على المعنى الذى قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ومن لوازم ذلك تعديل رواتها وبهذا فقد اندفع الاعتراض عن نقد رجال البخارى وبالتالى ثبت المتن سليما ، المسند منه والمعلق •

ويؤكد ذلك المعنى وصل ابن حجر لما لم يوصل فيه •

وقول البخارى ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعيـن الأولى فى ذلك أصل أحفظه من كتاب أو سنة (١) •

وهذه نتيجة يعتز بها المسـلمون وحق لهم أن يباهوا بها تراث الانسانية جمعاء •

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسـلم لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وصدق الله العظيم الذى قال : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون • والقـــائل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع النـاس فيمكث فى الأرض كذلـك يضرب الله الأمثال •

---

(١) الطبقات ج ٢ ص ٨ •

الباب السادس

النقد الحديث في صحيح البخاري

لقــد كانت الحــرب الصــليبية الأوربية فى بلاد الاسلام نابعة بدافعين أساسيين :

الدافع الاول :

العصبية العمياء من رجال الكنيسة محرضين على تخليص مهــد المسيح من أيدى المسلمين مفترين بالتشويش على عقائد الاســـلام ومقاييســـه ٠

الدافع الثانى :

وهو استغلال ثروات المسلمين وكانت النتيجــة أن هزمت الجيوش الصليبية وأخفقت عسكريا فرأوا أن يتجهوا الى دراسة عقائد المسلمين لغزوهم ثقافيا وألفت الجمعيات المسيحية واليهودية لهذا الغرض وهؤلاء هم المبشرون من رجال الدين الذين عنوا بدراستهم لأصول الاســلام وقواعده لبلبلة هــذه الثقافة الحيوية الاسلامية وكان منهم من يتسم فى الظاهر بانصاف الاسلام والاشادة به ، لا لشىء الا ليطمئن الباحث الى أفكاره ثم يأتى بجزئية صغيرة فى حروفها خطيرة فى سمومها بالنســبة الى الاسلام وأصوله وسواء أكان ذلك عن جهل بطبيعة الاسلام أم عن سوء النية فقد كان خطرا على قواعد الاسلام والتهوين من شأن مصادره الصافية ورجاله المعنيين به وكان لهم مدرســة فتن بها بعض الباحثين الاسلاميين الذين يطربون لكل جديد شعورا ســاذجا منهم الى أن ذلك يعلى قدرهم عن صفوف رجال الدين وكان من أشد هؤلاء المستشرقيــن

حطرا المستشرق اليهودى المجرى (١) جولــد تسيهر • وحسبك أن ترى افتراء هذا المستشرق فى آرائه •

فى كتابه مذاهب التفسير الاســـلامى ترجمة الدكتـــور عبد الحليم النجـــــار •

وفى كتابه العقيدة والشريعة فى الاســلام الذى ترجمه الأساتذة الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور على حسن عبد القادر والأســتاذ عبد العزيز عبد الحق وكان من قواعد هذا المستشرق ما هو هدم لكيــان السنة بصفة عامة •

مثال ذلك دعــواه أن الحديث نتيجة لتطور المســلمين يقول جولد تسيهر : ان القسم الاكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الــدينى والسياسة والاجتماع للاسلام فى القرنين الأول والثانى . وهذه دعــوة خطيرة للغاية ومنهارة أمام المقاييس الثابتة من الكتاب والســنة ، فمن أواخر ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضــيت لكم الاسلام دينا » ولم يتوف الرسول الا وقد أكمل الشرائع وترك فينا ســـبيل الهداية ممثلا فى الكتـــاب والسنة « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمســكتم بهما •• كتاب الله وسنتى » •

وأما من السنة فقد روى البخارى قال « الرســول صلى الله عليه وسلم » : « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحــق لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » •

والعناية بالسنة ووضع المقاييس الثابتة لحفظها والمنهج المستقيم الذى لم يتوفر لأى ثقافة كان شغل المسلمين يتلقاها خير خلف عن خير سلف الى أن أوصلوها الينا صحيحة ثابتة كما قالها الرسول ويعلم ذلك من درس منهجهم القويم فى كتب المصطلح وما كان هجوم « أبو ريــه »

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للسباعى .

وأمثاله من التشكيك بالسنة الا ترديدا لقضايا هذا المستشرق وأمثـاله « سبرنجر » ودائرة المعارف الاسلامية البريطانية وما ماثلهم •

آراء المستشرقين

وقد وضع جولد تسيهر أيضا قاعدة خطيرة رددها من بعده المفتونون بكل جديد المغرورون بعقولهم أو تبريزهم فى ميادين أخرى غير ميـدان الحديث • وهذه القاعدة هى أن الاعتراف بصحة الحديث أمر شكلى قال جولد تسيهر •• وقد شعر المسلمون فى القرن الثانى بأن الاعتراف بصحة الأحاديث يجب أن يرجع الى « الشكلى فقط لأنه يوجـد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الاحاديث الموضوعة وساعدهم على هذا ما ورد من الحديث « سيكثر التحـديث عنى فمن حدثكم بحديث فطبقوه على كتاب الله فما وافق منى قلته أو لم أقله هذا هو المبـدأ الذى حدث بعد قليل عند انتشار الوضع أ • هـ •

الرد على المستشرقين

وقد رد الدكتـور السباعى فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » على هذه الفرية فقال :

افترى المستشرقون هنا على علماء الاسلام فى موضوعين :

الأول — زعمه بأن الاعتراف لصحة الحـديث شكلى فقط وأنه يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة وهذا افتراء منه عليهم وهم لم يقولوا بذلك قطعا وكيـف يقرون بأن هنـالك كثيرا من الأحاديث الموضوعة هى جيدة الاسناد ؟

وانما الذى قاله العلماء حين بحثوا مسألة العمل بخبر الواحد • هل يفيد القطع أو الظن ؟ فذهب بعضهم الى أنه يفيد القطع وذهب الجمهور الى أنه يفيد الظن لأنه وان كان صحيحا بحسب الشروط والقواعـد العامة الا أنه يحتمل ألا يكون صحيحا « فى الواقع » وهذا منهم مجرد احتمال عقلى دعاهم اليه الاحتياط فى دين الله والتشبث فى الأحكام فأين هذا مما ينقله عنهم هذا المستشرق •

الثانى — زعمه أن المبدأ الذى حدث بعد قليل هو حديث سيكثر التحديث عنى . الخ .. وهذا افتراء محض اذ أن هذا الحديث نقده الأئمة وحكموا بوضعه كما قال الشافعى وابن حزم ويحيى بن معين وعبد الرحمن بن مهدى فكيف يكون هذا الحديث الذى حكموا بوضعه هو القاعدة التى ساروا عليها والمبدأ الذى قالوا به ؟ .. أ . هـ .

وهذا شأن المستشرقين وأتباعهم يشككون فى الأدلة الصحيحة . ومن الغريب أنهم يتشبثون لتقويض الصحيح بكل ضعيف وأى مكذوب فيأخذونه قاعدة مسلمة وهم بذلك يناقضون أنفسهم اذ الوضع لوصح فى الحديث الصحيح كما يدعون على مذهبهم لألزمهم مذهبهم بالوضع من باب أولى فيما يستدلون به من الضعيف الواهى أو على الاقل يتطرق الاحتمال اليه فلا يستدل به وكأنهم ما علموا أن الاعتناء بالسند انما هو من أجل العناية بالمتن وأن المحدثين يقولون السند للخبر كالنسب للمرء يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حديثهم « وهم الذين لايكذبون وأصحاب المقاييس الصحيحة » وينظر الى أهل البدع « ممن يظن فيهم الكذب أو الضعف » فلا يأخذ حديثهم (١) وقال سيفان « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » (٢) .

وقال الامام مالك «لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من سفيه يعلن بالسفه وان كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وان كنت لاتتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف مايحدث به » وهذا هو نهج المحدثين والبخارى وكان نهجا عمليا تطبيقيا فمايزوا بين الصالحين للرواية وغير الصالحين كما يتضح ذلك فى كتاب التاريخ الكبير

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٨٤ .

(٢) الكامل لابن عدى ج ٣ ص ٤ .

وكتاب الضعفاء للبخارى ووضح الامر وأشرق اليقين ، على أنهم وضعوا قواعد للمتن على خلاف ما زعم «جولد تسيهر» وما ردده بعده المستشرق « غاستون ويت » كاتب مقال الحديث فى التاريخ العام للديانات (١) .

وقد قال : لقد درس رجال الحديث السنة باتقان الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن . « ورتب النتيجة الخبيثة لهذه الفكرة الخطيرة بقوله ولذلك فلسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف اليه الرواه شيئا عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعى أن يكونوا قد زادوا شيئا فى أثناء روايتهم مشافهة ومهما كان هذا الرأى صحيحا فان المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح » أ . هـ .

وهكذا يرمون القضايا جزافا حتى غير مشيرين الى أن هناك مصادر للصحيح معلومة وأخرى جمع فيها كلام الوضاعين وأصبح الأمر معلوما ، والحق أن المسلمين يتقبلون الحديث الصحيح على أنه صحيح لأنهم أعلم بمقاييسهم وأفهم بمصطلحاتهم وأصدق جهدا بالعناية بتراثهم لا كما فهم المستشرق وهذه الدعوى بهرت بعض الباحثين الاسلاميين من أتباع المستشرقين فقد رددها ، الأستاذ أحمد أمين فقال (٢) وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال ــ عنوا بنقد الأستاذ أكثر مما عنوا بنقد المتن فقل أن يظفر منهم بنقد من ناحية أن مانسب الى النبى صلى الله عليه وسلم لايتفق والظروف التى قيلت فيه أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفى يخالف المألوف فى تعبير النبى أو أن الحديث أشبه فى شروطه وقيوده بمتون الفقه وهكذا لم نظفر منهم فى هذا الباب بعشر معشار ماعنوا به من جرح الرجال وتعديلهم أ . هـ .

(١) Histoire gènèrale Islam (p 366)

(٢) فجر الاسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

وهذه الدعوة من حيث السنة العامة بما فيهم الشيخان وغـيرهما .

بل انما تطرق هـذا التطبيق وتعدى الى البخـارى نفسه فيقول الأستاذ أحمد أمين حتى أن البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجربية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال .

وأقول لمثل هؤلاء أن العناية بالسند انما هى من أجـل المتن كمـا أشرت من قبل ثم ان عدم معرفتكم لمقاييس النقد فى المتن لا يعنى عدم وجودها والمحدثون نقدوا المتن كما نقدوا السند الا أن هـذا النقد لم يهتدوا الى مظان بحثه حيث بحثتم عليه فى الأحاديث الصـحيحة السند وهو انما يظهر لكم بوضوح عند عدم التأكد من صحة السند ـ لأن السند الذى فرض عليه الاتصال للثقات العادلين الحافظين المســتمعين من الصعب أن نجد فيه الموضوع ـ لا كما يدعى هؤلاء وكما يقول أبو ريه وهو من أتباع أتباع المستشرقين أو من أتباع المغرورين من أن المحدثين لا يعنون بغلط المتن ؟

ونقل أبو ريه الاتفـاق (1) على أنه ليس كل ما صـح سنده من الأحاديث المرفوعة يصح متنه لجـواز أن يكـون فى بعض الرواه من أخطأ فى الرواية عمدا أو سهوا .

وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلا بل قالوا ان الموضوع من حيث الرواية يكون صحيحا فى الواقـع وان الصحيح السند قـد يكون موضوعا فى الواقع وانما علينا ان نأخذ الظواهر أ . هـ وأقـول قد وضع المحدثون المتقدمون قواعد لمعرفة المتون الموضوعة وهى تظهـر بوضوح فى غير صحيح الاسناد .

قال الامام ابن قيم الجوزيه (2) .

(وسئلت هل يمكن معرفة الموضوع بضابط من غـير أن ينظـر فى سنده) فهذا سؤال عظيم القدر وانما يعلم ذلك من تضـلع فى معـرفة

---

(1) أضواء على السنة ص ٣٠٢ لابى رية .

(2) المنار لابن قيم الجوزيه ص ١٥ ـ وأنظر قواعد الحديث ص ١٤٨ .

السنن الصحيحة واختلط بدمه ولحمه وصار له فيها ملكه وحاله • له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ويخبر عنه ويدعو اليه ويحبه ويكرهه ويشرعه للامة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه ومثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه وما يجوز أن يخبر عنه ومالا يجوز ، مالا يعرفه غيره وهذا شأن كل متبع مع متبوعه فالاخص به الحريص على تتبع أقواله وأفعاله فى العلم بها والتميز بين ما يصح أن ينسب اليه ومالا يصح ما ليس لمن لايكون كذلك •

وقال ابن دقيق العيد (1) فان معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى •

ومن القرائن التى تدل على الوضع فى المتن على سبيل الاجمال ركاكة اللفظ المروى بحيث يدرك من له المام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبى صلى الله عليه وسلم وقد وضعت أحاديث ركيكه تشهد الفاظها ومعانيها لوضعها قال الحافظ المدار فى الركة على ركة المعنى فحينما وجدت دلت على الوضع وان لم ينضم اليها ركاكة اللفظ لأن الدين كله محاسن والركة ترجع الى الرواية •

أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى وغير الفاظه بغير لفظ فصيح ، نعم ان صرح بأنه من لفظ النبى صلى الله عليه وسلم فكاذب •

فساد المعنى كالأحاديث التى يكذبها الحس نحو حديث البازنجان لما أكل له ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه وكل ما يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء كحديث المجرة التى فى السماء من عرق الافعى التى تحت العرش •

---

(1) توضيح الافكار ص ٩٤ •

وما يناقض نص الكتاب والسنة المتواترة أو الاجماع القطعى [1] •

قال ابن قيم الجوزية ومنها مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا وانها سبعة الاف سنة ويجىء فى الالف السابعة وهـــذا من أبين الكذب فهو مخالف لقوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فىالسموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة) •

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يعلم متى تقوم الساعة الا الله [2] وكل ما يخالف الحقائق التاريخية ، وتكونت من الدراسة ملكات خاصة عند المحدثين وفى هذا يقول ابن الجوزى « الحديث المنكـــر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه فى الغالب [3] » •

ويقول الربيع بن خيثم التابعى الجليل أحد أصحاب ابن مسعود « أن من الحديث حديثا له ظلمة الليل نعرفه بها [4] » (وان من الحديث حديثا له ضـــوء كضـــوء نعرفه به) ، ولم تكن هذه المقاييس بخافية على أصحاب الصحاح بل هم فرسأن حلبتها لذا لم يوجد الموضـــوع عندهم ، أفبعد كل هذا مع جمع الاحاديث الموضوعة فى قائمة والصحيحة فى قائمة والتعاون من أبطال المحدثين فى المجتمع الاسلامى تصح دعوى المستشرقين ومن نهج نهجهم فى عدم الاعتناء لنقد المتن الذى من أجله كان السند ومع كل اعتناء بالسند انما هو اعتناء بالمتن فوق ما تقدم من قواعد المتن الخاصة ، والواقع ان سبب عدم وجود نقد المتن فى صحيح البخارى أنه انما لما صدق السند صدق المتن فلم توجد فيه متون مخالفة لقـــواعد نقد المتن — وان قـــواعد المتن تظهر فى غير ماســـنده يكون صحيحا وقد جهلتم يا هؤلاء مظان أماكن البحث فابحثوا عنها تجدوها فى كتب الموضوعات فلو لم يكن الاهتمام بالمتن لما حصرت الموضوعات

---

(١) الباعث الحثيث ص ٩ والمنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠ والسنة قبل التدوين ص ٢٤٤ •

(٢) المنار لابن قيم الجوزية ص ٣١ •

(٣) الباعث الحثيث ص ٩٠ •

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٩٢ والمحدث الفاصل ص ٦٣ •

والا على أى أساس حصرت غير نقد المتن لأنه من المعلوم ان ضعف السند لا يقتضى ضعف المتن بل يتوقف عن قبوله ولا يحكم بوضعه ويقال فيه لم يثبت فاذا أتى من طريق صحيح صح المتن وقبل فاعلموا مظان نقاط البحث تهتدوا سواء السبيل •

ونظرا لهذا اللبس والخطأ فى معرفة نقاط البحث فى السنة قال « أبو رية » فى كتابه « أضواء على السنة المحمدية » المحدثون لا يعنون بغلط المتون وفى معرض عدم العناية بنقد المتون •

قال أبو رية : فان الدار قطنى وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء النقد فيما يتعلق بالمتن كما تعرضوا لذلك فى الاسناد وذلك لأن النقد المتعلق بالاسناد دقيق غامض لا يدركه الا أفراد من أئمة الحديث المعروفين بمعرفة علله ، بخلاف النقد المتعلق (بالمتن) فأنه يدركه كثير من العلماء الاعلام المشتغلين بالعلوم الشرعية والباحثين عن مسائلها الاصلية والفرعية ككثير من المفسرين والفقهاء وأهل أصول الفقه وأصول الدين •

وكأنه يعنى بذلك نفسه وأمثاله غرورا وبهتانا وكأن الدراقطنى ، وهو من أئمة النقاد لم يصل الى مقاييس أبى رية وأتباعه ، ثم بعد ذلك ناقض نفسه فبعد أن قرر أن أئمة الحديث انما يعنون بالسند رجع مباشرة بعد هذا الكلام بدون فاصل فقرر بأن كثيرا من أئمة الحديث تعرضوا لنقد المتن وان كان قليلا بالنسبة للسند وجاء بالمثال الذى جاء به ابن حجر فى المقدمة ورد عليه ابن حجر حيث لم يجد أبو رية غيره •

قال أبو رية :

وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد فمن ذلك يقول الاسماعيلى بعد أن أورد الحديث الذى رواه البخارى عن ابن أبى أويس عن أخيه عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة ــ الحديث هذا خبر فى

صـــحته نظر من جهة أن ابراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد فكيف يجعل ما بأبيه خزيا له مع أخباره ان الله قد وعده ان لا يخـــزيه يوم يبعثون ، وأعلمه أنه لا خلف لوعده وقد أعل الدار قطنى هذا الحديث من جهة الاسناد فقال هذا رواه ابراهيم بن طهمان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة . واجيب عن ذلك بأن البخارى قد علق حديث ابراهيم ابن طهمان فى التفسير فلم يهمل حكاية الخلاف فيه وينبغى للناظر فى الصحيحين أن يبحث عما انتقد عليهما من الجهتين فبذلك تتم له الدلالة فيما يتعلق بالرواية أ . ه أبو رية .

وقد تبين أن البخارى كما ذكر ، حكى الخلاف فيه وبينه ، فلا نقد عليه هذا فضلا على أن مثل هذا من ناحية المعنى هو ماحكاه القـــرآن مع نبى آخر هو الأب الثانى للانبياء نوح عليه السلام حينما قال (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق) فبين الله بأنه ليس من أهله حتى يكون قد أخلف الوعد (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ــ قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) .

وفى هذا الحديث عندما يقول ابراهيم يارب وعدتنى ألا تخذينى يوم يبعثون فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين والمعنى أن ذلك ليس بخزى وليس باختلاف للوعد كما قال لنوح عليه السلام ، ولو أطلقت العقول المغرورة فى مثل هذه الأمور المتشابهة لطعنت فى القرآن بما لايوافق هواها كما طعنت فى السنة وقد بنى هؤلاء النقـــاد قاعدتهم هذه على ما صرح به المحدثون من أنه لا يلزم حتما من صحة المتن صحة السند كما لا يلزم العكس قالوا ذلك من أجل الاحتياط التام ومن حيث الجواز العقلى ومرادهم ان المتن قد يزاد فيه لفظ مدرج أو قد يسهو الراوى على سبيل الندرة ، على لفظ لا يسترعى اهتمامه لعـــدم تعلقه بأصل الحديث والا لما قبل أن ينقله ، على أنه فى حالة نقله يبين عدم تمكنه أو تردده فى هذه اللفظة ووضع المحدثون لمعرفة ذلك مقياسا واستوعبوا مثل هذه الالفاظ النادرة وذلك انها تعرف بمخالفة الثقات حيث وردت بطريق آخر ومثل ذلك فى البخارى الاختلاف فى ثمن جمــل

جابر رضى الله عنه وقد بين البخارى مع عدم تعلق ذلك بالحكم الأصلى الروايات ونص على الأصح منها ومثل ذلك حديث ذى اليـــدين رواه البخارى عن ابن عمر قال النبى يوم الأحزاب أن لا يصلين أحدكم العصر الا فى بنى قريظة ووقع فى رواية أخرى ان لا يصلين أحدكم الظهر وجمع بين الروايتين بأن النبى قال ذلك لقوم ثم قال لفرقةأخرى بعدهم رواية العصر أو بجواز خطأ الراوى لعدم تعلق حكم هام باختلاف العصر أو الظهر وقد نص المحدثون كل ذلك وما ماثله وأصبح الأمر واضحا لا لبس فيـــه •

الاحاديث التى انتقدها أحمد أمين

وعلى المقاييس المهتزة نهج أحمد أمين فقال ان البخارى يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال من ذلك مثلا حديث من اصطبح كل يوم سبعة ثمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم الى الليل قد أخرجه الامام البخارى فى كتاب الطب (١) كما أخرجه الامام مسلم والامام أحمد (٢) وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الأحاديث المقيدة بذلك ومنهم من أطلقه (والذى ارتضـــاه الأكثرون تخصيصه بعجوة المدينة قال ابن القيم فى زاد المعاد « والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به ونفع هذا العدد من التمر من هذا البلد منهذه البقعة بعينها — من السم والسحر بحيث تمنع اصابته من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والاذعان والانقياد مع أن القائل انما معه الحدس والتخمين والظن • فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى أولى بأن تتلقى أقـــواله بالقبول وترك الاعتراض هذا خلاصة ما ذكروه فى هذا المقال واذا كان السحر نوعا من الامراض هذا خلاصة ما ذكروه فى هذا فى شفاء المرضى أو أن أثر الصحة نافع فى الحالة النفسية كما يقرر العلم الحديث فان أثر هذا الغذاء النافع يقى الجسم من الحالة النفســـية

(١) صحيح البخارى بشرح السندى ص ٢٠ ج ٤ •
(٢) صحيح مسلم ص ١٦١٨ ج ٣ •

ويكون له أثر طيب فى حالة المسحور كما قال النبى صلى الله عليه وسلم قال الدكتور السباعى (١) انك لاتشك معى فى أن اقدام مؤلف فجـــر الاسلام على القطع بتكذيب هذا الحديث جرأة بالغة منه لا يمكن أن تقبل فى المحيط العلمى بأى حال مادام سنده صحيحا بلا نزاع ومادام متنه صحيحا على وجه الاجمال ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ، مادل عليه من خواص العجوة ويقينى انه لو كان فى الحجاز معاهد طبية راقية أو لو كان ثمر العالية موجودا عند الغربيين لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة ولعله يســـتطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة أن لم يكن اليوم ففى المســـتقبل ان شاء الله أ . هـ

ويحقق الزمن صدق المدافع عن السنة ويثبت صحة مقاييسه ويبطل مقاييس النقد الحديث فقد كتب الاهرام تحت عنوان (٢) « البلح علاج لأمراض العيون والجلد والانيميا والنزيف ولين العظام والبواســـير ويساعد على الولادة بسهولة » أثبتت الأبحاث العلمية التى أجريت أخيرا بالمركز القومى للبحوث أن البلح غذاء كامل ويفيد فى وقاية الجســـم وعلاجه من أمراض الانيميا وحالات النزيف ولين العظام والبواسير ويساعد المرأة الحامل بسهولة على الولادة صرح بذلك الدكتور عزيز شرف المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومى للبحـــوث وأضـــاف قائلا ان الابحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم فى قيمته الغذائية ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية وذلك بالاضافة الى أنه غنى بالكالسيوم والفسفور والحديد ويحتوى عـــلى غالبية الفيتامينات المعروفة .

وبهذا قد ثبت أن المشاهدة والعلم يكذب نقدهم ويثبت صـــحة

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٢٦٥ .

(٢) جريدة الاهرام يوم الاثنين ١٢ ذو الحجة ١٣٨٢ الموافق ٢٦ مايو ١٩٦٣ لسنة ٩٨ العدد ٢٧٩٠٥ ص ٤ .

الأحاديث التى لم ترق فى نظرهم وهكذا يخطىء النقاد من المحـدثين ويكذبهم العلم .

ومثال ما نقدوه أيضـا فى صـحيح البخارى نتيجة عدم الدقة فى البحث ما نقده الاستاذ أحمد أمين مما رواه البخارى « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة (١) » هذا الحديث أخرجه الامام البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث وفهم منه مؤلف فجر الاسلام أن مراد الرسول صلى الله عليه وسلم الاخبار بانتهاء الدنيا بعد مائة سنة ومن هنا حكم عليه بالوضع لمخالفته للحوادث التاريخية والحس والمشـاهدة .

ولكن هذا الحديث الذى ذكر هو جزء من حديث كامل أخرجه البخارى فى باب السـمر فى الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة وهو أن عبد الله بن عمر قال . قام صلى الله عليه وسلم فى صـلاة العشاء فى آخر حياته فلما سلم قال أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد فوهل الناس فى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وانما قال النبى لا يبقى ممن هو « اليوم » على ظهر الأرض يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن فهذا نص الحديث واضـح فى أن الرسول أخبر صحابته فى آخر حياته وجاء فى رواية جابر قبل وفاته بشهرين حين قال الرسول تلك المقالة لا يعمر أكثر من مائة سنة ولم يفطن بعض الصحابة الى تقييد الرسول بمن هو على ظهرها اليوم فظنوه على اطلاقه وان الدنيا تنتهى بعد مائة سنة فنبههم ابن عمر الى القيد فى لفظ الرسول وبين لهم المراد منه وكذلك فعل على بن أبى طالب فى رواية الطبرانى .

وقد استقصى العلماء من كان آخر الصحابة موتا فوجدوه أبا الطفيل عامر بن واثلة وقد مات سنة عشر ومائة وهى رأس مائة سنة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث معجزة من معجـزات الرسول عليه الصلاة والسلام حيث أخبر بأمر مغيب فوقع كما أخبـر

(١) مقتبس من السنة ومكانتها للدكتور السباعى .

قال الدكتور السباعى فأنت ترى أن هذا الحديث الذى كان فى الواقع معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام ينقلب فى منطق النقد الجديد الذى دعا اليه صاحب فجر الاسلام الى أن يكون مكـــذوبا مفترى •

وان تعجب فعجبك من الاستاذ مؤلف فجر الاسلام ذكر فى آخر فصله أهم مراجع بحثه وفى مقدمتها فتح البارى على البخـــارى والقسطلانى على البخارى وشرح النووى على مسلم وهؤلاء الشراح نبهوا على معنى الحديث وبينوا تقسيم البخار له فى موضعين وأشاروا عند الجزء المختصر الى موضع الحديث الكامل فان كان الاستاذ أطلع على روايات الحديث وأقوال الشراح فكيف حكم بعد ذلك بكذبه ؟ وان لم يطلع عليها فكيف عد تلك الشروح من مرجع بحثه بل كيف استباح الخوض فى هذا الموضوع على غير هدى ؟

نقد الدكتور محمد توفيق صدقى

وحديث الذباب رواه البخارى فى باب اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه فان فى أحد جناحيه داء والاخرى شفاء عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا وقع الذباب فىشراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان فى أحد جناحيه داء وفى الأخرى شفاء أنكره الدكتور محمد توفيق صدقى [1] وطعن فيه لأنه لا يوافق العقل والعرف وثار علماء الازهر فى وجهه لتوهينه حديثا فى صحيح البخارى ثار علماء الازهر فى وجهه ووقف بجانبه الاستاذ محمد رشيد رضـــا ونعى على الازهريين هذا التعصب ضد مسلم من خيار المسلمين علمـــا وعملا ودفاعا عن الاسلام وقال وكيف يحصل منهم ذلك بمجرد شبهة على صحة حديث رواه البخارى عن رجل يكاد أن يكون مجهولا واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلا فى الاسلام وهو عبيد الله بن حنين وموضع ضعفه ليس من عقائد الاسلام ولا من عباداته ولا من شرائعه ولا الزم المســلمون العمل به : ما أســهل التفكير على مقلدى أقوال المتأخرين وحسبنا الله ونعم الوكيل أ • هـ •

(١) السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ •

ونقل هذه الأراء فى موضع الاستشهاد بها أبو رية ، ثم بعد ذلك فى عهد التقدم العلمى والمعامل والتحليل نستمع الى انصاف صحة الحديث وتأكيد صحته كمعجزة للنبى الأمى حيث صرح به فى عهد لم يعلم فيه التحليل وها هو التحليل العلمى يكذب النقاد ويصدق ما أخبر بهالنبى صلى الله عليه وسلم وانقل هنا كلمة الطب فيما قاله العلماء فى العصر الحديث .

كلمة الطب فى حديث الذباب (١)

البحوث والمراجع العلمية تؤيد الحديث الشريف اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه كله فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء . تحقيق علمى للدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حسين .

كثر التعرض لهذا الحديث وخصوصا من جانب أطباء مكذبين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض ونحن نعلم أن من بين الاحاديث التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم ما هو صحيح وما هو مكذوب وكان على فقهاء الحديث أن يبينوا الصحيح ويستبعدوا المكذوب ، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الاعلام بصحة الحديث لاستناده لثقة من الرواه ، وتمسك بعض الاطباء بالناحيه الصحية وكذبوا الحديث وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

١ ــ عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث وكيف يستبعدون الأحاديث المكذوبة .

٢ ــ محاولة البحث العلمى بافتراض صحة الحديث للوصول الى حقائق أنبأنا عنها النبى عليه الصلاة والسلام (وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى (٢) .)

---

(١) مجلة الازهر رجب ١٣٧٨ ص ٥٧٨ .

(٢) سورة النجم .

٣ ـ عدم الخوض فى موضوع مادة الحديث قبل الرجوع الى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات . ولهذا وجدنا بعد قراءة الموضوع والمجادلات المتبادلة بين الفريقين فى الصحف والمجلات منذ مدة طويلة أن نحاول ان نرد الحق الى نصابه ذلك أن بعضنا بعد قراءة أراء فقهاء الحديث عن صحة الحـــديث لم يتردد فى تصديقه وحاول أن يرجع الى المراجع العلمية التى تؤيد صحة الحديث وقد جاء فى المراجع العلمية ان الاستاذ الالمانى بريفلد من جامعة هـــال بألمانيا وجد فى عام ١٨٧١ أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلى من جنس الفطريات ســـماها امبوزا موســكى من عائلة انتوموفتر الى من تحت فصيلة سيجومايسيس من فصيلة فيكوميسيس ويقضى هذا الفطر حياته فى الطبقة الدهنية داخل بطن الذبابة على شكل خلايا خميرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية وفى هذه الحالة يصبح خارج جسم الذبابة وهذا الشكل يمثل الدور التناسلى لهذا الفطر وتتجمع بذور الفطر فى داخل الخلية الى قوة معينة تمكن الخلية من الانفجار واطلاق البذور خارجها ولهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور الى مسافة حوالى ٢ سم من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشـــاش ويوجد دائما حول الذبابة الميتة والمتروكة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر ورءوس الخلية المستطيلة التى يخرج منها البذور حــول القسم الثالث والاخير من الذبابة على بطنها وظهرها وهذا القسم الثالث أو الأخير دائما يكون مرتفعا عندما تقف الذبابة على أى مسند لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل البناء الى قوة معينة وهذا قد يكون مسببا من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة وفى وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جزء من السيتوبلازم من الفطر كما ذكر الاستاذ لنجيرون (أكبر الاساتذة فى علم الفطريات) فى عام ١٩٤٥ أن هـــذه الفطريات كما ذكرنا تعيش فى شكل خميرة مستديرة داخل أنســـجة

الذبابة وهى تفرز أنزيمات قوية تحلل وتزيد أجزاء الحشرة الحاملة للمـــرض •

ومن جهة أخرى تم فى سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضـــادة للحيوية (بواسطة ارنش تين وكوك من انجلترا وبوروليوس من سويسرا فى سنة ١٩٥٠) تسمى جافاسين من فطر من نفس الفصيلة التى ذكرناها والتى تعيش فى الذبابة وهذه المادة المضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوسنتاريا والتيفود وفى سنة ١٩٤٨ عزل بريان وقوروتيس وهيمانج وجيفيرس وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحيوية • تســمى كلوتينيزين من فقريات من نفس فصيلة الفطر الذى يعيش فى الذبابة وتؤثر على جراثيم السالبة لصبغة جرام من بينها جراثيم الدوسنتريا والتيفود وفى سنة ١٩٤٩ عزل كوكس وافارمر من انجلترا وجرمان وروس واتلنجر وبلاتنر منسويسرا مادة مضادة للحيوية تسمى انياتين من فطـريات من نفس صنف الفطر الذى يعيش فى الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ومن بينها جـــراثيم الدوسنتاريا والتيفود والكلوريا • ولم تدخل هذه المواد المضادة للحيوية بعد الاستعمال الطبى ولكنها فقط من العجائب العملية لسبب واحد وأنها بدخولها فى كميات كبيرة فى الجســـــم قد تؤدى الى حدوث بعض المضاعفات بينما قوتها شديدة جدا وتفوق جميع مضادات الحيـــوية المستعملة فى علاج الأمراض المختلفة وتكفى كمية قليلة جدا لمنع معيشة أو نمو جراثيم التيفود والدوسنتاريا والكوليرا وما يشبهها وفى سنة ١٩٤٧ عزل مفتيش مواد مضادة للحيوية من مزرعة الفطريات الموجودة على جسم الذبابة ووجد أنها زات مفعول قوى فى بعض الجـــراثيم السالبة لصبغة جرام مثل جراثيم التيفود والدوسنتاريا وما يشبهها وبالبحث عن فائدة هذه الفطريت لمقاومة الجراثيم التى تسبب أمراض الحميات التى يلزمها وقت قصير للحضانة وجد أن واحد جرام من هذه المواد المضادة للحيوية يمكن أن يحفظ أكثر من الف لتر لبن من التلوث من الجراثيم المرضية المذكورة •

وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد •

أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكليرة التيفود والدوسنتاريا وغيرها التى ينقلها الذباب من المجارى والفضلات أو البراز من المرضى وهى الاماكن التى يرتادها الذباب بكثرة فى مكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو فى برازها وهذا ثابت فى جميع المراجع البكتولوجية وليس من الضرورى ذكر أسـماء المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقة المعلومة •

ويستدل من كل هذا على أنه اذا وقعت الذبابة على الأكل فستلزم الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضـية التيفود والكلـيرة أو الدوسنتاريا أو غيرها • واذا تبرزت على الغذاء كما ذكرنا بأرجلها التى تفرز المواد المضادة للحيوية والتى تقتل الجراثيم المرضية الموجودة فى براز الذبابة وفى أرجلها توجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سـائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحيوية الا بعد أن يلمسها السائل الذى يزيد الضغط الداخلى لسائل الخلية ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل •

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوى الذى يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل أو الغذاء اذا وقعت عليه لافساد أثر الجراثيم المرضية التى تنقلها بأرجلها أو ببرازها وكذلك يؤكـد الحقيقة التى أشار اليها الحديث وهى أن فى أحد جناحيها داء (أى فى أحد أجزاء جسمها الامراض المنقولة بالجراثيم المرضية التى حملتها) وفى الآخر شفاء وهو المواد المضادة للحيوية التى تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتى تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المسـتطيلة للفطريات •

أمثلة من اهتزاز مقاييس النقد الحديث

وهذه أمثلة تبين اهتزاز مقاييس العصر الحديث وعدم دقتهم فى نقدهم وتسرعهم .

وعلى سبيل أمثلة السرعة فى بحثهم : مثلا نرى الأستاذ أحمد أمين

يزعم أن ماجمعه البخارى فى حديث الجامع الصحيح وهو أربعة آلاف من غير المكرر هو كل ما صح عنده من عدد الأحاديث التى كانت متداولة فى عصره وبلغت ستمائة ألف •

وهذه دعوى لها خطرها اذ معنى ذلك ان غير تلك الأحاديث قد حكم البخارى على عدم صحتها وليتهم كما ذكرت قد سلموا بما جمعه البخارى بل يتعقبونه بمقاييسهم المنهارة وفى ذلك خطر على السنة ولم يكلفوا أنفسهم أو لم يثقوا بما سجله الحفاظ من ان البخارى ، كما تقدم صرح بأنه ليس كل صحيح عنده جمعه فى كتابه وثبت أيضا مثل ذلك عن الامام مسلم وقال ابن الصلاح فى مقدمته وهى من أصول الحديث المتداولة (لم يستوعبا البخارى ومسلم) الصحيح فى صحيحهما ولاالتزم أى الاستيعاب وقد صرح بذلك الشيخان •

ومن أمثلة السرعة فى البحث أيضا جزم الاستاذ أبو رية بأن أول من ألف فى الحسن الترمذى وكأن هذا هو القول الوحيد الذى لا غبار عليه وهذه دعوى ابن تيمية قال ان تقسيم الحديث عند قدمائهم كان على قسمين فقط صحيح وضعيف والحسن لذاته كان عندهم داخلا فى الصحيح ونقل الاجماع على ذلك : التمحيص نجد أن هذه الدعوى غير صحيحة قال الكشميرى (1) :

دعوى الاجماع غير صحيح لان البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى وتبع فى ذلك شيخه البخارى فشهره ونوه بذكره وعليه مشى فى جميع كتابه أ • هـ •

والسر فى أن البخارى لم يتعرض له فى صحيحه لالتزامه الصحيح لذاته فى أصل موضوع كتابه •

وهكذا كان منهج النقد الحديث الارتجال فى الحكم وعدم القداسة الى الحديث النبوى وعدم البحث المستفيض والتقديس لكل

---

(1) فيض البارى ج 1 ص 57 •

غربى براق وأعمال المقاييس العقلية الفردية المتغيرة خاصـــــة وأنهـا قد تكون مشغولة بفروع أخرى فى بعض الأحيان ومتخصصة فيهـــا ولا علاقة لها بالسنة وتقحم نفسها فى ميدان السنة من غير معرفة به وبعضهم مريض بحب الظهور ولذا كانت مقاييسهم كما ترى مهزوزة غير ثابتة ينكرون الثابت ويستدلون بكل واه ضعيف ويهولون فى أمر الوضع والوضاعين علما بأن الوضع فى الحديث ولد ميتا حيث لم يسر عـلى منهج يحميه وقد عاش له الجهابذة فروده ووأدوه جميعا قبل أن يشعر بالحياة قيل لابن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة ؟ فأجاب :

بنظرة الواثق المطمئن بكل بساطة قال تعيش لها الجهابذة ويقول الدكتور السباعى (١) فى هؤلاء وأمثالهم وأساتذتهم من المستشرقين :

أما المستشرقون فلم يقفوا من رسول الله الموقف الكريم بل نقدوا أحاديثه على وفق ما يعرفون من أصول النقد العام لأخبار الناس العاديين ذلك لانهم ينظرون الى الرسول كرجل عادى لم يتصل بوحى ولم يطلعه الله على مغيبات ولم يميزه عن بنى الانسان بأنواع من المعارف والكرامات فاذا روى لهم حديث عليه صبغة القانون قالوا ان هذا موضوع لانه يمثل الفقه الاسلامى بعد نضوجه ولا يمثل سناجته وبساطته فى عصر النبى والصحابة واذا رويت لهم بشارة من الرسول واخبار عن أمر يقع للمسلمين فى المستقبل قالوا ان ظروف النبى لم تكن تسمح له أن يقول هذا القول .

وهكذا وقفوا من رسولنا عليه الصلاة والسلام موقف المنكـــر لرسالته المتشكك فى صدق ما بلغ به عن الله الهادى فى سمو روحه التى اتصلت بالملأ الأعلى ففاض منها النور والحكمة والمعرفة ولم يكتفـــوا بذلك بل حملوا على علمائنا لانهم لم يقفوا منه هذا الموقف وعلماؤنا معذورون اذ لم يتجهوا مع المستشرقين فى هذا الاتجاه الخاطىء لانهم

---

(١) السنة ومكانتها ص ٢٥٧ .

مؤمنون بمحمد بن عبد الله رسولا كريما أرسله الله الى الناس أجمعين بشرع محكم وسعادة شاملة للناس فى دنياهم وآخرتهم أما أتباع المستشرقين من المسلمين كمؤلف (فجر الاسلام . فمن المؤسف انهم انساقوا فى ذلك الاتجاه ولم يفطنوا الى خطأ تلك الطريقة فأخذوا ينعون على علمائنا تقصيرهم فى نقد المتن غير مستمسكين من الحجج الا بما أتى به المستشرقون) .

وها أنا لم أكثر فى كل ما كتبه أحمد أمين فى هذا الموضوع على رأى طريف لم يأخذه عن المستشرقين ثم أخذ يضرب هو وأمثاله على وتيرة تحكيم العقل فى نقد الأحاديث ولا أدرى أى عقل يريدون أن يحكموه ويعطوه السلطة أكثر مما أعطاه علماؤنا فى قواعدهم الدقيقة . ليس عندنا عقل واحد نقيس به الأمور بل عقول متفاوتة والمقاييس مختلفة والمواهب متباينة فمالا يعقله فلان ولا يفهمه قد يراه آخر معقول مفهوما كما أن ما يخفى على الناس فى بعض العصور حكمته وسر تشريعه قد يتجلى فى عصر آخر معقول الحكمة واضح المعنى حين تتقدم العلوم وتكتشف أسرار الحياة ففتح الباب فى نقد المتن بناء على حكم العقل الذى لا نعرف له ضابطا .

والسير فى ذلك بخطا واسعة على حسب رأى الناقد وهواه أو اشتباهه الناشىء فى الغالب عن قلة الاطلاع أو قصر نظره أو عقله عن حقائق أخرى :

ان فتح الباب على مصراعيه لمثل هؤلاء الناقدين يؤدى الى فوضى لا يعلم الا الله منتهاها والى أن تكون السنة الصحيحة غير مستقرة البنيان ولا ثابتة الدعائم ففلان ينفى هذا الحديث وفلان يثبته وفلان يتوقف فيه ، كل ذلك لأن عقولهم كانت مختلفة فى الحكم والرأى والثقافة والعمق فكيف يجوز هذا ؟ ثم أليس لنا أكبر عبرة فيما وقع عليه مؤلف فجر الاسلام من أخطاء بشعة حين أراد أن يسير فى هذا الاتجاه فكذب ما لا مجال لتكذيبه وحكم بوضع ما قامت الأدلة والشواهد على صحته أ . هـ .

وهكذا أوقع هؤلاء النقاد جهلهم بمظان البحث وغرورهم العقلى فى هذه الأخطاء حينما حسبوا أن نقد المتن مكانه كتب الصحيح ، ولم يعلموا أن مكان نقد المتن انما هو متوفر فى كتب الموضوعات وفيهـــا عشرات الكتب من نقد المتن ولم يكن النقد فى صحيح البخـــارى فى المتن على ما تصوروه بل قد صح المتن بصحة الاسانيد ولذلك كان الكشميرى دقيقا حينما قال لم يستطع الدارقطنى نقد متن حديث البخارى وان يوجه اليه هذا النقد الا فى حديث واحد ، — وقد بينته فيما سبق ووضحت الرد عليه — وذلك لأن مقاييس نقد المتن لم تنطبق عليه لمتانة مقاييس البخارى فعلى هؤلاء أن يبحثوا عن نقد المتن فى كتب الموضوعات وقــد جمع صاحب السنة قبل التدوين (١) أربعين مؤلفا من أشهرها تذكرة الموضوعات لأبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى (٤٤٨ — ٥٠٧) هـ (٢)٠

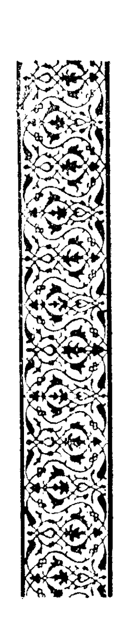
منها الموضوعات فى الأحاديث المرفوعات لأبى عبد الله الحسن ابن ابراهيم الهمدانى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ . ومنها (الموضوعات الكبرى لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى « ٥٠٨ × ٥٩٧ هـ » أربع مجلدات) وغير ذلك ٠

واذا كانت هذه مقاييس النقد الحديث ونظراته القصــيرة فخير لهؤلاء وأمثالهم الا يتكلموا فى السنة الا بعد دراسة مقاييسها وكتبها ٠

---

(١) السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ ٠

(٢) وتوجد الموضوعات الكبرى لابن الجوزى فى دار الكتب تحت رقم ١٤٧ م وتحت رقم ٤٨٨ حديث وكلاهما مخطوط ٠



الباب السابع

البخاري والمنهج الأوربي التاريخي الحديث

اثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج
التاريخى الاوربى الحديث مع المقارنة

وبعد أن وصل تدوين الحديث الى أوج العظمة والدقة فى القرن الثالث « العصر الذهبى » لتدوين السنة الذى حمل لواء نهضته الامام البخارى بمنهجه القويم ومقاييسه الدقيقة وساعده على ثبات منهجه ما كان قبله من عناية المحدثين بالسنة ومناهجهم الدقيقة فوجد الثقات المحافظين على تراث نبيهم فى القرون الخيرة الأولى •

وكان الزمن بين اشتغال البخارى بالعلم وبين وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قرنين فقط بالنسبة للمقياس الزمنى وثلاثة أشخاص بالنسبة للاسناد العالى وبينه وبين وفاة الصحابة قرن واحد — والثقافة ثقافة وحى ونبوة وسعادة دنيا وأخرى والرواة هم الأخيار الأطهار الثقات وضعوا لحراسة السنة المناهج المنظمة الدقيقة المعلومة فى كتب أصول الحديث وقد تقدم منهج البخارى الدقيق •

وأبين هنا أثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج الاوربى الحديث وحقيقة هذا المنهج الحديث وهل بلغ مبلغ منهج البخارى والمحدثين ؟ !

وبعد وفاة البخارى بحوالى عشرة قرون بدأت فكرة تحديد منهج التاريخ تظهر فى أوربا وقوبل هذا المنهج بالحفاوة البالغة والتقدير الكبير ونقله الشرقيون على أنه أمر حدث جديد والحق أنه مأخوذ من حيث الجملة من منهج المحدثين وشيخهم البخارى •

تأثر المنهج الاوربى الحديث بمنهج البخارى والمحـــدثين

يقوول الدكتور محمود قاسم رئيس قسم الفلسفة بدار العلـــوم وعميدها تحت عنوان مراحل البحث التاريخى الأوربى (١) لم يتتبـــع القدماء « الأوربيون » منهجا سليما فى دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب أدبى جذاب •

لكن علماء المسلمين عنوا عناية كبرى بنقـــد الرواة وبتمحيص طرقهم فى النقل ولاسيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وقد حدد ابن خلدون المؤرخ للبخارى وغيره من المحـــدثين العالم بمنهجهم ، قواعد البحث فى التاريخ الى مستوى العلم الجديدة بهذا الاسم ثم اتجه الأوربيون الى العناية بالدراسات التاريخية وبينوا القواعد التى يجب على المبتدىء احترامها وانتهوا الى تحديد مراحل البحث تحديدا دقيقا ويعرض الدكتور قاســـم لدراسة مراحل البحث التاريخى تحت عنوانين أساسيين التحليل ــ والتركيب طبقا لما وصل اليه سينيوبوس ودونو • وفريمان وغيرهم واليك البيان •

التحليل التـــاريخى

اذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ومن جميع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها والتحليل نوعان خارجى ــ وداخلى •

أولا ــ التحليل الخارجى :

وتتكون مرحلته من عمليتين رئيسيتين هما :

(أ) نقد الوثائق يقول سينيوبوس « لا وجود للتاريخ بدون وثائق وكل عصر ضاعت فيه وثائقه يظل مجهولا الى الأبد •

ولما كانت مادة التاريخ لاتقع تحت ملاحظاتنا بطريقة مباشرة ولـــما

---

(١) المنطق الحديث ومناهج البحث العلمى ص ٣٦٨ ط الانجلو المصرية •

كانت الوثائق السبيل الوحيد الى معرفتها فانه يجب الحـــــــدر فى استخدامها والعناية بين الصحيح والزيف منها تتبين ضرورة هذا النقد اذا علمنا أن الانسان يميل بطبعه الى تصديق الأخبار دون تمحيص اذ التصديق أقل مجهودا من المناقشة والتسليم أيسر من النقد وتكديس الوثائق كيفما اتفق أقل عناية من فرزها وتقديرها وقد بين العلامـــة سينيبوس أنه يجب الحذر من بعض العبارات العقلية كالميل الى استخدام أول نسخة تقع لدينا ولو كانت غير دقيقة وكالميل الى الاعتداد على أقدم النسخ ولو كانت أردأ من النسخ الأقرب عهدا وكالميل الى اتخـــاذ الأغلبية حكما اذا اختلفت النسخ فيما بينها مع أن هذا لايدل على شيء البتة وقد ضرب سينيوبوس لذلك مثلا فقال فلنفرض أن هناك عشرين نسخة يشترك فيها ثمانى عشرة نسخة فى نقطة واحدة هى (أ) .

ويشترك النسختان الأخريتان فى نقطة مخالفة هى (ب) ففى هذه الحالة يميل الباحث المتسرع الى تأكيد صحة (أ) دون (ب) .

لكن من المحتمل جدا أن تكون كثرة المجموعة الأولى صورية بأن تكون احدى النسخ أصلا والباقى منها فروعا ولذا فان الباحث المدقق يتساءل فيقول هل (أ) أكثر احتمالا للصدق من (ب) أم لا [1] .

(ب) التحقق من شخصية صاحب الوثيقة .

لا تكفى المقارنة بين مختلف النسخ بل لابد من الوقوف علىمصدر كل وثيقة وأين ومتى كتب ؟ ومن كتبها ؟ وذلك أنه لافائدة من استخدام وثيقة نجهل صاحبها وهذه العملية هامة جدا ولاسيما اذا كان المؤرخ يدرس احدى وثائق العصور القديمة أو المتوسطة .

فان كتابها كانوا يعنون بتوقيع كتاباتهم أو تحـــديد تاريخها وقد يسارع الباحث الى تصديق نسبة احدى الوثائق الى أحد الكتاب اذا رأى أنها تحمل توقيعه لكن يجب الحذر من هذا الميل الساذج الى سرعة التصديق فان الانتحال أمر مألوف وأسبابه عديدة ونحن نعلم أن بعض

(١) المنطق الحديث ومناهج البحث ص ٢٦٨ .

فراعنة مصر ثم يتورعوا عن محو أسماء سابقيهم ونسبةأثرهم الى أنفسهم حقا أن خير وسيلة الى معرفة شخصية الكتاب هى التحليل الداخلى غير أنه يجب الاعتماد قبل ذلك على بعض العلاقات الخارجية كالخط والورق واللغة وكثيرا ما تكون دلالة هذه العلامات حاسمة فتقرر تزوير الوثائق وانتحالها فان كثيرا من المزيفين لا يتخـــذون جميـــع أسباب الحيطة فيستخدمون كلمات وجملا وألوانا من الاساليب التى لم تكن مألوفة فى العصر الذى ينسبون اليه الوثائق ، كذلك يجب المقـــارنة بين الوثائق المختلفة فان ذلك يزيدنا علما بالظروف التى دونتفيهاالوثائق الصحيحة وبمواضع التزييف أو التحريف فى غيرها •

وتســـتخدم المقـــارنة فى التفرقة بين النص الذى اشـــترك فى كتـــابته أفراد عـــديدون لأن اضطراب الاســـلوب أو عـــدم اتباعه دليل على تعـــدد كاتبى الوثيقـــة أو على أن بعضهم ينقل عن بعض وتؤدى هذه العملية الى بعض النتائج السلبية يرى «سينيوبوس» أن التحليل الخارجى لايؤدى الىبعض النتائج الايجابية وانه اذا ارشدنا الى الوثائق الرديئة التى يجب عدم استخدامها انه لا يوقفنا على كيفية استخدام الوثائق الجيدة ولكن مع ذلك يجب الاعتدال فى النقد فان بعض دارسى الوثائق يغلون فى النقد فيرون التحريف والتزوير والطلاسم فى كل مكان على الرغم من وضوح النصوص التى يدرسونها ولذا يجب الوقوف عند حد معلوم والا انتهى الأمر الى الشك المطلق وهنـــاك آخرون يفقدون لمجرد النقد وكلما انتهوا الى وثيقة بحثوا عن غيرهـــا ظانين بأن التاريخ نوع من الرياضة العقلية وان أهمية الوثيقة لا تقاس بما تحتوى عليه من حقائق بما تثيره من صعوبات أ • هـ •

وليت المغرمين بنقد الحديث على غير موازين والمغرمين بتتبع الغربيين يستمعون الى سينيوبوس فانه يعيب على من شك عند وضوح النص فما بال من يشك بوضوح النص وصاحبه وتوفر أسمى المقاييس؟•

ثم ان أصحاب المنهج الحديث لم يطلقوه فى كل شىء بل ذكروا ان من وسائله العلوم المساعدة ــ ذهب دونو الى ضرورة بعض الدراسات

بوسيلة يستعين بها الباحث على فهم الوثائق التاريخية ومن هذه كتب كبار الكتاب والفلاسفة الذين يجب قراءة كتبهم « كهيرودوت » وتاسيت وميكيافيلى ، وفلتير ، ونص على ضرورة الاطلاع على انتاج كبـــــار الفلاسفة والمؤرخين •

وقال « فريمان » يجب على المؤرخ أن يحيط علما بكل شىء فلسفة وقانونا واقتصادا وعلم أجناس وجغرافيـــا وعلوم طبيعية وذلك لأنه سوف يلقى فى أثناء قراءته للنصوص التاريخية أشياء من هذا القبيل وان كان سينيوبوس يرى أن من يقوم بدراسة الوثائق أشد ما يكـــون حاجة الى بعض الفنون والعلوم اذ كيف تجدى الفلســـفة اذا وقف المرء حائرا أمام احدى الوثائق التى يجهل لغتها أو يعجز عن حل رموزها •

والمهم أن سينيويوس يحرم الاسراف فى النقد للنص الواضح كما أن « دونو » وفريمان — ولم يعارضهما سينيوبوس يقررون أن هناك من الكتب ما هى صحيحة معتمدة مسلم بصحتها عندهم ولم يرق اليها الشك بل هى تكون كوسيلة عند بعضهم لايضـــاح الشـــك فى غيرها وتدعيم الباحث وهى كتب كبار كتابهم وفلاسفتهم الـــذين يجب قراءتها كمـــا يقولون رغم أنها ألفت من غير منهج ، فليت أعداء السنة يستمعون لذلك فيعترفون بعد تحقق قوة مقاييس المحدثين بالتسليم والوجوب بالاعتراف لصحة مثل كتاب البخارى حتى تكون لهم أصـــالة كغـــيرهم ولعلهم لا يرتاعون ويرمون بالتأخر من يقـــول بلفظ الوجوب بالاعتراف بالصـــحة للكتب المرسومة بذلك بعدما سمعوا ممن يعتبرون بأقوالهم من الغربيين فى كتبهم التى لاتقاس ولاتوزن فى كفة صحيح البخارى أو غيره واتخذوا هذه الكتب مرجعا سليما لتصحيح ما ارتابوا فيه من المســـائل العلميـــة التاريخية واهتموا بدراسة تلك المراجع ليستعينوا بها فى مهمتهم العلمية، الغربيون يقررون ذلك والناقدون للسنة ينقدون لمجرد الهـــوى والغرض ورغبة منهم فى ادعاء الوصول الى ما لم يصل اليه غيرهم ولو بحثت الحال لوجدتهم بعيدين عن فقه الحديث ومصطلحاته وأساليبه وطرقه وكان من

الحرى بهم أن يدرســوا قبل أن ينقــدوا وأن يتعلموا قبل أن ينصبوا أنفسهم أساتذة على أساتذة الفن •

ونعود الى استكمال مراحل المنهج الأوربى الحديث •

ثانيا — التحليل الداخلى :

يطلق هذا الاسم على مجموعة العمليات التى يستخدمها الباحث فى فهم محتويات الوثائق وتقدير الظروف التى أحاطت بكتابتها فهى خاصة بالتحقيق من صدق النص التاريخى من جهة الموضوع لا من جهة الشكل وهى ضرورية للسبب الآتى وهــو أن الظــواهر الماضــية لا تقع تحت ملاحظتنا ولايمكن الثقة بما يذكره الرواه عنها دون تمحيص أو نقض فان أخبارهم تحتمل الكذب والخطأ وتقوم عمليات هنــا على أســاس استعادة الخطوات التى مر بها الراوى منذ مشــاهدته للحــوادث حتى وقت تسجيلها كتابة •

والتحليل الداخلى نوعان : ايجابى وسلبى •

(أ) التحليل الداخلى الايجابى : يستخدم هذا التحليل للتفرقة بين العناصر الاولية التى يحتوى عليها النص التاريخى تمهيدا لفهم كل عنصر على حدة وللوقوف على المعنى الحقيقى الذى ترمى اليــه الالفــاظ والعبارات غير أن كثيرا من المؤرخين لا يوجهون عناية كافيــة الى هــذه الناحية ويميلون الى قراءة النصوص قراءة سريعة للاقتباس منهــا دون تحديد المعانى الحقيقية التى يرمى اليها الكــاتب • حقــا ربما لم تكن هناك ضرورة كبرى الى تحليل الوثائق الخاصة للعصور الحديثة تحليلا تاما وذلك لقرب لغتها من لغة المؤرخ لكن ليس الأمر كذلك فيمــا يتعلق بوثائق العصرين القديم والوســيط اذلا مندوحة للبــاحث حينئــذ من الاعتماد على تحليل ايجابى دقيق فان لغته وتفكيره يختلفان اختــلافا كبيرا عن لغة وتفكير كاتب الاصــل التاريخى الذى يقــوم بدراســته • وهكذا نجد أنه يقرر بأنه ربما لم تكن هناك ضرورة كبرى الى تحليــل الوثائق الخاصة بالعصور الحديثة تحليلا تاما وذلك لقرب لغتها من لغــة

المؤرخ ويكتفون بذلك فأين هذه من المناولة فضلا عن السماع عند البخارى والمحدثين •

ويقول سينيوبوس أنه من المحتمل أن تستخدم التورية أو الدعابة أو الفكاهة أو التعمية ولا شك فى أن هذه الأمور الاخيرة تختلف باختلاف العصور والحوادث التى يلمح اليها أو يتندر بها وتستخدم القاعدة الآتية فى التفرقة بين المعنى الظاهر والمعنى الحقيقى حينما يكون المعنى الحرفى غامضا أو غير مفهوم أو غير متجانس أو يتعارض مع آراء الكاتب أو الحوادث المعروفة لديه فانه يجب علينا أن نستنتج من ذلك أنه يستخدم التورية ويمكن تحديد المعنى الحقيقى بالمقارنة بين الفقرات التى تحتوى على التعبير الذى يظن أنه ذو دلالة خفية ومع ذلك فليست نتائج المقارنة يقينية بحال ما •

وهكذا لا يسرعون الى رفض النصوص بمجرد غموضها بل يلتمسون التورية والمجازات •

(ب) التحليل الداخلى السلبى :

ويتمثل فى دراسة الظروف التى وجد فيها كاتب الوثيقة أو شهادة الآخرين الذين رأوا الظواهر أو الحوادث التاريخية كما تتمثل فى دراسة الأسباب الخارجية والبواعث النفسية الداخلية التى ربما دعته الى الكذب أو أدت به الى الخطأ والقاعدة العامة تنص على وجوب الشك فى كل راو حتى تتوفر بعض الأسباب القوية التى تدعو الى الثقة به ويحتاج تحليل الأصول التاريخية على هذا النحو الى مجهود كبير قد يصرف كثيرا من الباحثين عن اعطاء هذه المرحلة الأساسية حقها من العناية لكن العادة والدربة يخففان من مشقة هذا العمل ويكسبان المؤرخ نوعا من الحدس الذى يعينه على اصابة مواطن الريبة دون عناء كبير وقد حدد سينيوبوس القواعد العامة التى يجب اتباعها فى هذه الحالة ووضعها على هيئة مجموعتين من الأسئلة تسمى احداهما الدوافع التى تدعو الى الكذب وتسمى الأخرى البواعث التى ينشأ عنها الخطأ وتتكون المجموعة الأولى

من الاسئلة الآتية مع بعض الاقتصار على العناصر الهـامة وسنجد أن أصول هذه المبادىء انما هى كما قرر الدكتور قاســم مأخوذة من رواة المحدثين « وشيخهم البخارى » مع قصور بالغ يجبرهم الواقع على عدم تحققه لاطالة الزمن من ناحية وعدم حراسة المعلومات منذ نشـأتها من ناحية أخرى وعدم قداستها والتزامها المنهج فى الزمن الماضى كمـا قرر الأوربيــون بأن ســير التاريخ على غير منهج وكل ذلك بخــلاف منهج المحدثين فى تراثهم النبوى وهذه هى أسئلة المجموعة الأولى :

١ ــ هل أراد صاحب الوثيقة تحقيق مصلحة خاصة وهل أراد أن يخدع القارىء وأن يحمله على القيام بفعل أو صرفه عنــه ؟ وهل أورد أخبارا كاذبة لتحقيق هذا الغرض ؟ •

٢ ــ هل كان الراوى ينتمى الى جمـاعة خاصــة يميل الى نصرتها ويبرر سلوكها ويظهرها فى وضع مشرف ؟ •

٣ ــ هل وجد الراوى فى مركز أو ظروف أكرهته على الكــذب ؟ وهذا ما يحدث لكاتب الوثائق الرسمية عندما لا يتفق الصدق مع السياسة العامة للدولة أو التقــاليد أو الشعور العام وحينئذ يضطر الكــاتب الى التمويه والى القول بأن الظروف التى يؤرخ لها ظروف عادية •

٤ ــ هل جره الغرور بشخصه أو بجماعته الى الاختلاق والتحريف؟

٥ ــ هل أراد الراوى التقرب الى الجمهور وتملقه واثارة عواطفه وهل شوه الحوادث حتى يكون على وفاق مع آراء معــاصريه ونزعاتهم وأهوائهم ولو كان لا يشاركهم فى شىء من ذلك ؟ واذا يجب الحــذر من عبارات المجاملة والود والاخلاص اذ أننا نسارع عــادة الى تصــديق مثل هذه العبارات من معاصرينا •

٦ ــ هل حاول صاحب الوثيقة التأثير فى الجمهور بأسلوبه الأدبى وهل شوه الحقائق عندما ألبسها ثوبا أدبيا ؟ وهنا يجب تطبيق القاعدة التى تقول بوجوب الشك فى صدق الوثيقة كلما غلب عليها طــابع الأدب أما المجموعة الثانية فتتكون من الأسئلة الآتية :

١ ـــ هل كان الكاتب فى حالة عقلية تسمح له بملاحظة الحـــادثة ؟ وهل سلم من تأثير بعض العوامل الداخلية اللا شعورية التى تدعو الى الخطأ كالوهم أو الهزيان •

٢ ـــ هل تحققت الشروط العلمية فى ملاحظته ؟ وهل كان فى مكان يستطيع أن يرى منه الحوادث ؟ وهـــل كان خلـــوا من الهوى وهل فهم ما سمع أو رأى وهل خلط بين حوادث مختلفة •

٣ ـــ هل أصدر حكمه على حوادث صرفه الكسل أو الاهمـــال عن ملاحظتها وهل ذكر أمورا لم يرها •

٤ ـــ هل كانت طبيعة الحادثة تسمح له بملاحظتها ذلك لأن بعض الحـــوادث يحاط بالكتمان كما أن بعضها الآخر لا يستطيع فرد واحـــد الاستقلال برؤيته كأحد المواقع أو كتطور عادة اجتماعية وفى هذه الحال لا يذكر الراوى ما يرى بل يستنبط ومع ذلك فليس من الممكن أن يتطرق الكذب أو الخطأ الى بعض الأخبار فمثلا لا يكذب الراوى اذا كان الخبر الذى ينقله لا يتفق مع مصلحته أو عاطفته الشخصية أو الدينية أو اذا كانت الظاهرة التى يذكرها معروفة لدى جميع معاصريه ويقل احتمـــال الكذب اذا استمرت هذه الظاهرة مدة طويلة من الزمن أو شغلت مساحة واسعة بحيث يراها عدد كبير من النـــاس وهذه هى حـــال العـــادات الاجتماعية •

وينتهى التحليل الداخلى بنوعيه الى تقرير بعض النتـــائج الجزئية المبعثرة المنعزلة وانما كانت كذلك لأنها تتصـــل بأمور مختلفـــة تذكرها الوثائق دون ترتيب ومن وظيفة المؤرخ التركيب التـــاريخى ويتلخص فى ثلاث نقاط :

١ ـــ تصنيف الظواهر وهو أن يجمع معلوماته وينظمها على أساس أزمانها وأماكنها ونسبتها الى جماعة أو الى أحد الأفراد وتلك هى أسهل طرق التصنيف وقد تبعها القدماء ومؤرخو عصر النهضة واما أن يصنفها على أساس طبيعتها الداخلية ويقسمها الى ظواهر لغوية وعلمية ودينية

الخ •• ويرجع الفضل فى ابتكار هذه الطريقة الى علماء الألمان واما أن يصنفها على أساس طبيعة الشروط الخاصة التى تتصل بمظاهر النشاط الانسانى كالعادات المادية كالمأكل والملبس والنظم الاجتماعية كالعائلة والطبقات •

٢ — الاجتهاد وقد أباحوا فى منهجهم الحديث أن المؤرخ يمكن أن يستخدم الخيال لسد الفجوات فى التاريخ بشرط أن يكون مقيدا بنتائج التحليل والا لو كان الخيال مطلقا لم يؤد الاستنباط فى هذه الحالة الى نتائج جديرة بالثقة •

٣ — التعليل اذا انتهى المؤرخ من سد الفجوات والتحقق من صدق فروضه ، وبتطبيقها على النتائج الجزئية التى هداه اليها التحليل وجب عليه أن يربط هذه النتائج جميعا وذلك بأن يبين العلاقات التى توجد بينها وهذا هو معنى التعليل ثم المرحلة الأخيرة وهى مرحلة العرض ونظرة المحدثين الى التاريخ على أنه وصف للحضارة أى لمختلف مظاهر النشاط الانسانى غير اتجاههم فى طريقة عرضه فجعلوا يستخدمون أساليب واضحة بريئة من طابع الخطابة أو الانشاء أو الفلسفة ويرجع الفضل فى هذا الاتجاه الجديد الى المؤرخين الألمان الذين بدأوا محاولتهم على استحياء فى القرن التاسع عشر وبالجملة لم يعد العرض التاريخى يرمى الى امتاع القارىء أو اسداء النصح اليه أو اثارة عواطفه بل الى مجرد المعرفة وليس معنى هذا أن يتحرر المؤرخ من كل قيد فمن الواجب أن يستخدم لغة واضحة دقيقة حتى يستطيع تحديد تلك الظواهر الانسانية المرنة ويمكن القول بأن المؤرخ لا يمكنه الا اذا أجاد اللغة والا اذا ابتعد عن استخدام تلك الألفاظ التى تدل على معانى مجردة أدعى الى الغموض واللبس منها الى الوضوح ، أ • هـ •

واذا نظرنا الى هذا المنهج خاصة بالنسبة الى الرواة وهو ما سموه بالتحليل الداخلى يجد الباحث أنه مأخوذ من البخارى والمحدثين بالنسبة لنفس الفكرة الأساسية ولكنه عند المقارنة يفوقه منهج المحدثين والبخارى عرضا وموضوعا •

أما عرضا فقد أوجزوه فى كلمات ميسرة عامة شاملة فقد اشترطوا فى الراوى أن يكون مسلما ثقة عدلا ضابطا غير متبع لبدعة يدعو اليها •

وأما موضوعا فهذه الكلمات الموجزة تشتمل على ما قيل فى الرواة وتفوق عنها باشتراط الاسلام الذى هو أصل فى المقاييس ويضفى عليها الثقة بحق ، هذا بالنسبة للرواة أما بالنسبة لطرق التلقى فأين ما شرطوه فى الوثوق للوثائق على الاعتماد • الحفريات والأوراق المتناثرة هنا وهناك التى لا يعترف بها المحدثون ؟ وقد تكون منذ آلاف السنين أين هذا من صيغ الآداء كالسماع والعرض والمناولة ولو شرطوا ذلك لما وصلهم شىء عن تاريخهم القديم والأوسط وكذا أكثر العصر الحديث ولما ثبتت عندهم كتبهم التى عدوها أصولا ثابتة لاتقبل الشك من كتب كبار علمائهم ومؤلفيهم الواجب الاطلاع عليها كما تقدم •

ويلاحظ أن القارىء يبهر حينما يقولون لابد من الشك حتى يتحقق الباحث من صدق جميع تفاصيل الوثيقة أو كذبها وهذا يحتاج الى تحليل الأصول التاريخية ثم بعد ذلك يكون الاستدراك الممتع الذى يخفف من شأن المسألة لقولهم لكن العادة والدربة تخففان من مشقة العمل ويكسبان المؤرخ نوعا من الحدس الذى يعينه على اصابة مواطن الريبة دون عناء كبير •

وأين هذا المنهج من منهج البخارى فى الدقة حيث يقول « كتبت (١) عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندى حديث لا أذكر اسناده (٢)» •

وانظر الى منهج البخارى فى كتابه الحديث : أين هؤلاء منه • يقول لم تكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث ان كان الرجل فهما فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون وبما تقدم فى منهجه •

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٩ •

(٢) مقدمة شرح البخارى للنووى جـ ١ ص ٨ •

ومن من العلماء لا يظن فى نفسه المهارة حتى يحكم حدسه كما يقول الأوربيون لكن البخارى والمحدثين لا يرتضون هذا المنهج مطلقا أساسا لبحثهم العلمى •

وهل سمعت بالمرحلة الثانية من مرحلة التركيب التاريخى وهى اباحة أن المؤرخ يستخدم الخيال لسد فجوات التاريخ بشرط أن يكون مقيدا بنتائج التحليل •

هل يرضى ذلك منهج البخارى والمحدثين ؟ • كلا والله •

ثم هناك فرق جوهرى هام بين منهج الاوربيين ومنهج البخـــارى والمحدثين فهؤلاء أصـــحاب المنهج الاوربى الحديث عليهم ان يطبقوا هذا المنهج بينهم وبين انفسهم ويخرجوا به معلوماتهم التاريخية وما عليك الا ان تخبر بأنهم اتبعوا المنهج فتصدق ولا عليه من حرج اذا لم يوقفك على خطوات بحثه •

أما البخارى والمحدثون فهم يتبعون منهجهم الدقيق فى وصـــــف الرواة وطرق الاداء وصلة الاسناد وفق الشروط التى شرطوها ممــــا يتعذر استلزامه ووجوده عند الغربيين •

فالمحدثون يعرضون عليك المتن برواته حتى تستوثق به أو تبحث عنه فتراه موصولا فى مكان آخر وعند ثقات آخرين هذا فضلا عن قرب زمن التدوين فى عصر النبى وبعده الى عصر البخارى ومن بعده وأهمية الحديث وقداسته وحراسته ، ومعرفتهم أهميتـــه فى الـــدين والدنيــا ومقاييسهم الفريدة وقد كان المستشرق المحقق مرجليوس [1] محقا حينما قال : ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم •

---

(١) تقدمه المعرفة لكتـــاب الجرح والتعديل لشـيخ الاســـلام أبى محمد عبد الرحمن ابن أبى حاتم الرازى ط دائرة المعارة العثمانية بحيدراباد الدكن بالهند •

الباب الثامن

مؤلفات البخاري

مؤلفات الامام البخارى

وللامام البخارى • غير الجامع الصحيح مؤلفات • فى تاريخ الرجال وأحوالهم ومؤلفاته هى خير دليل على سعة أفقه وأمانته ومقدرته فى معرفة أحوال الرواة وتقدمه على غيره فى هذا الشأن •

وخير شاهد يؤكد الثقة بصحة جامعه الصحيح والثقة فى كل مروياته •

التاريخ الكبير

وهو بحق على حد تعبير طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ « تأليف الحافظ النقاد شيخ الاسلام جبل الحفظ وامام الدنيا أبى عبد الله البخارى » •

***

رواية أبى الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى الفسوى عنه•
ورواية أبى أحمد عبد الوهاب بن محمد موسى الغندجانى عنه •
ورواية الشيخ الجليل أبى الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف عنه •

وقد حاول (١) فيه استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم الى طبقة شيوخه والكتاب ثمانية أجزاء فى أربعة مجلدات ضخمة — رتبه على

---

(١) أنظر التاريخ الكبير فى دار الكتب المصرية تحت رقم ح ١٠٣٤٠ أنظر الرسالة المستطرفة ص ٩٦ وتدوين السنة ص ٢٦٥ •

حروف المعجم وبدأه بالمحمدين تكريما لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم ووفق الى حسن المطلع فباركه باسم الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء فى الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا فى الحرف الأول من أسماء الاباء أيضا ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر باب ابراهيم ثم باب اسماعيل ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم هكذا •

ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له وقلما يذكر جرحا وتعديلا (١) ويبين الصحابى بالتنبيه عليه •

والتاريخ الكبير يعطى صورة واضحة عن سعة علم البخارى ومعرفته بالرواة ويضفى الثقة الكاملة على كتابه الجامع الصحيح حيث أن أى ناقد لم يبلغ مبلغه فى معرفة القوم فكأنه شهد القوم على حد تعبير استاذه اسحاق بن راهوية •

ويعجب الباحث من قوة هذه الموهبة التى حباها الله للبخارى والروحانية المباركة التى أمده الله بها حتى يعلم أن الله أفاضها عليه عند قبر صاحب الرسالة الروحانية النبى صلى الله عليه وسلم حيث ألفه حول المقام •

وقد الف البخارى التاريخ الكبير فى مقتبل حياته قبل الجامع الصحيح •

يقول البخارى : فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ الكبير فى المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول •

---

(١) ولعله استغنى عن ذلك بكتابه « الضعفاء والمتروكين » •

وقد قوبل التاريخ الكبير فى عصر البخارى من شيوخه ومن طبقتهم بالتقدير والاعجاب حتى أن شيخه الامام اسحاق بن راهوية لم يتمالك أن قام فدخل به على الأمير عبد الله بن طاهر فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا [1] ؟ .

وقال الاستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف وكتب التواريخ والرجال جمعت بين الثقات والضعفاء وهى كثيرة وفيها أحوال كثير من الوضاعين ومنها كتاب التاريخ الكبير للبخارى وقد ذكر به أسماء رواة الحديث من عصر الصحابة الى زمنه وفيه نحو من أربعين ألفا مابين ثقة وضعيف ورجل وامرأة أ . هـ .

وقال التاج السبكى : أنه لم يسبق اليه وكل من ألف بعده فى التاريخ والاسماء والكنى فعيال عليه وقد جمع الحاكم من ظهر جرحه ممن ذكرهم فكانوا نحوا من ١٢٦ رجلا .

ويصور لنا أبو أحمد الحاكم الكبير مدى أثر التاريخ فيما ألف من كتب ضخمة ذخرت بها المكتبات الاسلامية مثل كتب أبى زرعة وابن أبى حاتم ومسلم بن الحجاج والغسانى وغيرهم وقد حمل البخارى لواء نهضة تاريخ الرواة كما حمل لواء نهضة تدوين الحديث فأصبح بحق العصر الثالث العصر الذهبى والبخارى باعث نهضته فى تاريخ الرجال وتدوين الحديث .

يقول الحاكم : وكتاب محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن ألف بعده شيئا فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه فمنه من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حكاه عنه فالله يرحمه فانه الذى أصل الاصول .

وفى تذكرة الحفاظ على مافى مقدمة المعلمى لتقدمة الجرح والتعديل عن أبى أحمد الحاكم الكبير أنه ورد الرى فسمعهم يقرأون على بن أبى حاتم كتاب الجرح والتعديل قال :

---

(١) سير اعلام النبلاء للذهبى جـ ٨ مخطوط بدار الكتب المصرية .

« فقلت لابن عبدوية الوراق هذه ضحكة أراكم تقرأون كتـــاب التاريخ للبخارى على شيخكم وقد نسبتموه الى أبى ذرعة وأبى حاتم فقال يا أبا أحمد أن أبا زرعة وأبا حاتم لما حمل اليهما تاريخ البخارى قالا هذا علم لايستغنى عنه ولا يحسن بنا أن نذكره عن غيرنا فاقعدا • وعبد الرحمن يسألهما عن رجل بعد رجل وزادا فيه ونقصا » .

وعلق المعلمى بقوله لاريب ان ابن أبى حاتم هذا فى الغالب حذا حذو البخارى فى الترتيب وسياق كثير من التراجم وغير ذلك لكن هــذا لايغض من تلك المزية العظمى وهى التصريح بنصوص الجرح والتعديل ومعها زيادة تراجم كثيرة •

وحاول أن يبرز قيمة كتاب الجرح والتعديل وشخصية صاحبه فيه بأنه تكميل وبه زيادات ونقص وهو كتاب رائع وعظيم لاشك فى ذلك •

ولست أنقص من قيمة كتاب الجرح والتعديل بل كلما زادت قيمـــة كتاب الجرح والتعديل ازدادت النظرة التقديرية الى أصله كتاب التاريخ الكبير للبخارى •

وقد بين الاستاذ المعلمى فى تحليل رائع ما يؤيد ذلك وبين عذر ابن أبى حاتم فى عدم ذكر آراء البخارى •

كما بين أن علم والده انما يرجع الى علم التاريخ الكبير قال «حرص ابن أبى حاتم بارشـــاد زينك الامامين (أبى زرعة ووالده محمد بـــن ادريس) على استيعاب نصوص أئمة الفن فى الحكم على الرواة بتعديل أو جرح وقد جعل فى يده ابتداء نصوص ثلاثة من الأئمة وهم أبـــوه وأبو زرعة والبخارى ، أما أبوه وأبو زرعة فكان يســـائلهما فى أغلب التراجم التى اثبتها فى كتابه ويكتب جوابهما وأما نصوص البخارى فانه استغنى عنها بموافقة أبيه للبخارى فى غالب تلك الاحكام .

« ومعنى ذلك أن أبا حاتم كان يقف على ما حكم به البخارى فيراه صوابا فى الغالب فيوافقه عليه فينقل عبد الرحمن كلام أبيه » •

ثم بين الأستاذ المعلمى أيضا السبب المباشر فى عدم ذكر البخارى ونسبة أحكامه اليه « ويمكن ان تعتبره سببا شخصيا أو سياسيا » فقال

(وكان محمد ابن يحيى الذهلى قد كتب اليهم فيما جرى للبخـــارى فى مسألة القرآن على حسب ما يقوله الناس على البخارى كما ذكره ابـــن أبى حاتم فى ترجمة البخارى فى كتابه فكأنه هذا هو المانع لابن أبى حاتم من نسبة أحكام البخارى اليه .

فعلى كل حال فالمقصود حاصـــل رحم الله مؤصل الاصول الامام البخارى ورحم الله من اقتفى أثره فقدم للاسلام خيرا .

والتاريخ الكبير طبع بمطبعة حيدر أباد الدكن بالهند طبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ ــ ١٣٦٢ هـ فى أربعة مجلـــدات ضخمة جيدة على ورق جيد .

كتاب التاريخ الصغير (١)

وهو كما عرفه الامام البخارى رضى الله عنه .

كتاب مختصر من تاريخ النبى صـــلى الله عليه وســـلم والمهاجرين والانصار وطبقات التابعين لهم باحسان ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم وكناهم ومن رغب فى حديثه .

وابتدأ الجزء الأول بالتحدث عن أخبار مهاجرى الحبشة وآخره التحدث على من مات فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجـــرين والأنصار ممن حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن مات فى خـــلافة أبى بكر رضى الله عنه ومن بعده من الخلفاء وتلاه الجزء الثانى وبه ذكر من مات فى خلافة عثمان وهكذا الى آخـــر الجزء السادس وبه ذكر من مات فى سنة ست وخمسين ومائتين .

وهو رواية أبى ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروى ــ والحافظ قال أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد الفقيه السرخسى بها قراءة

---

(١) والتاريخ الصغير طبع فى الهند بالخط الحجرى سنة ١٣٢٥ هـ الطبعة الاولى اعتنى بطبعه وتصحيحه العبد المسكين محمد محيى الدين الجعفرى الزينبى وقدم له الاســـتاذ محمد حامد على والكتاب بمكتبة الازهر رقم ٣٥٠ تاريخ .

عليه سنة ٣٨٩ تسع وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو محمد بن محمد النيسابورى قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخارى .

كتاب الضعفاء الصغير (١)

ابتدأه مرتبا على حسب الحروف الهجائية مبتدئا بحرف الألف •

قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع بن جارية الانصارى يروى عنه وهو كثير الوهم يروى عن الزهرى وعمرو بن دينار يكتب حديثه •

ابراهيم بن اسماعيل بن أبى حبيبه المدنى الانصارى الأشهلى عن داود بن الحصين ــ منكر الحديث •

وبعد أن انتهى من باب ابراهيم جاء بيان من اسمه اسماعيل ثم من اسمه اسحاق ثم أيوب ثم باب الباء وهكذا الى باب الياء وجاء فى آخره بالكنى من الضعفاء •

قال أبو بكر بن عبد الله بن أبى سيرة المدنى ــ ضعيف ــ أبو الرجال سمع النضر بن النضر بن أنس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم منكر الحديث عنده عجائب ، أبو ماجد الحنفى عن بن مسعود ويقال العجلى قال الحميدى عن بن عيينه عن يحيى ــ (هو منكر الحديث) •

كتاب الكنى (٢)

وقد ذكر البخارى فيه كنى من غلبت كنيته على اسمه ومن لم يعرف الا كنيته وابتدأ بحسب ترتيب الحروف الهجائية بعد لفظ أب أو أم ذكر فيه أولا : باب أبو أميمة بن الأخنس قال قبيصة عن أبى سلمة بن شقيق المخزومى عن أبى أميمة بن الأخنس عن عمر فى الموضحة قال انا لاتتعاقل المضغ بيننا •

(١) وكتاب الضعفاء طبع فى الهند تصحيح محمد حامد على ومحمد محيى الدين الجعفرى وهو فى مجلد واحد مع كتاب التاريخ الصغير ومع كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى فى مكتبة الازهر تحت رقم ٣٥٠ تاريخ •

(٢) فى المكتبة الازهرية تحت رقم ٣٥١٨ تاريخ ــ طبع دائرة المعارف العثمانية الاصفية ، حيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٣٦٠ هـ •

ثانيا : أبو أميمة المخزومى ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بلص فاعترف فلم يوجد معه متاع فقال : ما أخالك سرقت ؟ . قال بلى قال ما أخالك سرقت ؟ مرتين أو ثلاثة قال بلى قال اقطعوه ثم جىء به فقال استغفر الله وتب اليه فقال استغفر الله وأتوب اليه قال اللهم تب عليه قاله موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن اسحاق ابن عبد الله بن أبى طلحة عن أبى المنذر مولى أبى ذر ، وقال حيان أنبأنا همام سمع اسحاق عن أبى المنذر البراد عن أبى أميمة رجل من الانصار عن النبى صلى الله عليه وسلم ونحوه .

وبعد أن انتهى من الألف جاء بالباء والتاء الى آخره . ويذكر أحيانا الاسم مثال ذلك ترجمة رقم ٩٦٦ أبو ريحانة اسمه عبد الله وذكر فيه فى الرجال ٩٩٣ رجلا .

وفى آخره الكنى من النساء واسم أم هانىء بنت أبى طالب هند وقالبعضهم اسمها فاختهواسم أم سلمة هند بنت أبى أميمة ــ وأبو أمية اسمه سهل وأسم أم حبيبة رملة وفى آخره هذا آخر كتاب التاريخ الكبير على حروف المعجم وفى آخره الكنى وذكر من غلبت كنيته على اسمه ، وعلى ذلك فهو جزء من التاريخ الكبير .

تصنيف أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله

وبآخر الكتاب بحث عن كتاب الكنى للامام البخارى بقلم الأستاذ الناقد فى الرجال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى المعلمى .

ومن خلاله يتبين اعتماد الأئمة كالامام مسلم بن الحجاج وابن أبى حاتم والحاكم وابن عبد البر فى تاريخ الرجال على الامام البخارى كما يتبين منه صلة كتاب الكنى بالتاريخ الكبير وعناية العلماء بمؤلفات البخارى .

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمى أما بعد فان جمعيتنا العلمية دائرة المعارف العثمانية لما اعتزمت طبع كتاب التاريخ الكبير للامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى ظفرت بالجزء الرابع منه فى الخزانة الآصفية بحيدر أباد الدكن فسارعت الى استنساخه

ثم بعد البحث والتنقيب علم بأن فى بعض مكاتب استامبول نسخة من الكتاب • وفى المكتبة المصرية نسخة أخرى فاستحصلت الجمعية على صورة مأخوذة منها وعند المقابلة تبين أن المصرية منقولة عن الاستامبولية ووجد فى آخر المجلـــد الرابع من النسخة الآصفية زيادة مشتملة على الكنى لا توجــــد فى الاسلامبولية مع أن فى آخر الاسلامبولية ما لفظه « كمل جميع كتاب التاريخ الكبير » •

وذلك صريح فى أن أبواب الكنى المتصلة بآخــر النسخة الآصفية كتاب مستقل عن التاريخ •

ولكن الذى تبين بامعان النظر أن هذا الجزء المشتمل على الكنى تأليف البخارى قطعا وانه ان لم يكن قطعة من التاريخ فهو تتمة له •

فان ابن أبى حاتم مع اقتفائه فى ترتيب كتابه أثر البخارى فى التاريخ غالبا قال فى أواخره (باب ذكر من روى عنه العلم ممن عــرف بالكنى ولايسمى) ثم اقتفى فى الترتيب أثر البخارى فى هذا الجزء غالبا وربما سماه (أى البخارى) كقوله أبو المعلى بن رؤية كما قاله البخــارى فى كتابه •

وبالمراجعة وجــد ذلك فى الكنى رقم ٦٨٥ كما ذكره البخــارى ووجدنا ابن عبد البر فى الكنى من الاستيعاب ربما نقل عن هذا الجزء فيما يظهر كقوله فى الترجمة (أبو خالد ذكره البخارى قال وقال وكيع عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبى خالد وكانت له صــــحبه قال وفدنا الى عمر رضى الله عنه ففضل أهل الشام) •

وتجد هذه العبارة بتغيير يسير فى الترجمة رقم ٢٢٣ من هذا الجزء أ • هـ وقد رجعت اليها كما أرشــد الشيخ عبد الرحمن فوجدتها عنــد البخارى على الوجه الآتى ٢٢٣ • أبو خالد له صحبه وسمع عمر روى عنه مالك بن الحارث قال عبد الله بن محمد العبسى حدثنا وكيــع عــن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبى خالد وكانت له صحبة قال وفــدت الى عمر ففضل أهل الشام علينا فى الجائزة أ • هـ وهكذا كــل ما أشار اليه الشيخ عبد الرحمن راجعته فوجدته مطابقا •

قال الشيخ وقد نقل ابن حجر فى كتبه كثيرا عنها تارة يسميها الكنى المفردة وتارة يسميها الكنى المجردة •• وربما اقتصر على قوله كتاب الكنى أو الكنى أو ذكره البخارى فقط ويظهر من مواضع فى كلامه أنه وقف على هذا الكلام وفى مواضع أنه ينقل عنه بواسطة كتاب الكنى للحاكم أبى أحمد كأنه كان فى نسخته نقص •

وقد عد فى مقدمة الفتح تصانيف البخارى الى أن قال « وكتاب الكنى ذكره الحاكم أبو أحمد ونقل منه » (١) •

قال (٢) أبو أحمد الحاكم فى الكنى قال مسلم أبو بشر — يعنى بالمعجمة — قال وقد بينا أن ذلك خطأ أخطأ فيه مسلم وغيره وخليق أن يكون محمد يعنى البخارى قد اشتبه عليه مع جلالته فما نقله مسلم من كتابه تابعه عليه ومن تأمل كتاب مسلم فى الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد حزو القذة وتجلد فى نقله حق الجلادة اذ لم ينسبه الى قائله والله يغفر لنا وله •

قال الشيخ عبد الرحمن أقول قول الحاكم أبى أحمد (ومن تأمل كتاب مسلم فى الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد) يعنى البخارى أراد بكتاب البخارى التاريخ مع هذا الجزء — نقل مسلم كنى من عرفت أسماؤهم من التاريخ وكنى من لم تعرف أسماؤهم من هذا الجزء وقد علمت تسمية الحافظ بن حجر لهذا الجزء (الكنى المفردة) أو (الكنى المجردة) والاسم الاول يقتضى أنها ليست من التاريخ لأن معناه الكنى المفردة عن التاريخ كما سموا الأدب للمؤلف (الأدب المفرد) يريدون المفرد عن الجامع الصحيح والاسم الثانى محتمل والظاهر أن معناه الكنى المجردة عن الأسماء أى أنها فيمن لم تعرف الا كنيته مجردة عن الاسم وذلك بالنظر الى الغالب •

وبالجملة فعبارة الحاكم أبى أحمد (علم أنه منقول من كتاب محمد الخ) وأراد ما يشمل أصل التاريخ وهذا الجزء مع ما يدل عليه صنيع

(١) مقدمة فتح البارى •

(٢) تهذيب التهذيب ص ٣٥٨ •

ابن أبى حاتم كما تقدم ظاهر فى أن هذا الجزء ان لم يكن من التاريخ فهو تتمة له والله أعلم .

كتاب الادب المفرد (1)

ذكر فيه البخارى جملة من الأحاديث النبوية الداعية الى مكارم الاخلاق وحسن المعاملة وابتداه بعد البسملة بباب قوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) .

أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن بن حامد بن هارون ابن عبد الجبار البخارى المعروف بابن النيازكى قرأه عليه فأقر به قدم علينا حاجا فى صفر سنة سبعين وثلاثة مائة قال أخبرنا أبو الخير أحمدبن محمد بن الخليل بن خالد بن حريث البخارى الكرمانى العبقسى البزار سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيلبن ابراهيم بن المغيرة بن الاحنف الجعفى البخارىقال حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة قال الوليد بن العيز أو أخبرنى قال سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول حدثنا صاحب هذه الدار وأومأ بيده الى دار عبد الله قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله عز وجل قال الصلاة على وقتها ، قلت ثم أى قال بر الوالدين ، قلت ثم أى قال ثم الجهاد فى سبيل الله قال حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى .

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا يعلى بن عطاء عن أبيه عبد الله بن عمر قال رضا الرب فى رضا الوالد وسخطه فى سخط الوالد (باب بر الأم) حدثنا أبو عاصم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت يا رسول الله من أبر ؟ قال أمك قلت ثم من أبر ؟ قال أمك قلت من أبر ؟ قال أمك قلت من أبر قال أباك ثم الاقرب فالأقرب .

حدثنا سعيد بن أبى مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر بن أبى كثير قال أخبرنى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه أتاه رجل

---

(1) انظر كتاب الادب المفرد طبع فى المطبعة التازية لصاحبها عبد الواحد محمد التازى الطبعة الاولى ٣ صفر سنة ٣٤٩ هـ . والادب المفرد شرحه محب الدين الخطيب طبع المكتبة السلفية .

فقال أني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه فغرت عليها فقتلتها فهل لي من توبة • قال أمك حية قال لا قال تب الى الله عز وجل وتقرب اليه ما استطعت فذهبت فسألت ابن عباس ثم سألته عن حياة أمه فقال اني لا أعلم عملا أقرب الى الله عز وجل من بر الوالدة

(باب بر الأب) حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب بن خالد بـــن شريحة قال سمعت أبا زرعة عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله من أبر قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك •

قال حدثنا بشر بن محمد قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال حدثنا أبو زرعة عن أبي هريرة أتى رجل نبي الله صلى الله عليه وسلم فقـــال ما تأمرني قال بر أمك ثم عاد فقال بر أمك ثم عاد فقال بر أمك ثم عـــاد الرابعة فقال بر أمك ثم عاد الخامسة فقال بر أباك •

(باب بر والديه وان ظلما) حدثنا حماد وهو ابن سلامة عن سليمان التيمي عن سعيد القيسي عن ابن عباس قال ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح اليهما محتسبا الا فتح بابين يعني من الجنة وان كان واحدا فواحدا وان أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه قيل وان ظلماه قال وان ظلماه •

(باب لين الكلام لوالديه) ثم باب جزاء الوالدين وباب عقـــوق الوالدين وباب لعن الله من لعن والديه وباب بر والديه ما لـــم يكـــن معصية وهكذا وآخر الكتاب باب أحبب حبيبك هونا ما •

حدثنا عبد الله قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا محمـــد بن عبيـــد الكندي عن أبيه قال سمعت عليا يقول لابن الكراء هل تـــدري قول النبي صلى الله عليه وسلم أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكـــون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يـــوما ما

(باب لا يكن بغضك تلفا) حدثنا سعيد بن أبي مريم قال أخبرنا محمد ابن جعفر قال حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه عمر بن الخطاب قال لا يكـــن حبك كلفا ولا بغضك تلفا فقلت كيف ذلك قال اذا أحببت كلفت كلـــف الصبي واذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف •

ويروى الادب المفرد عـن البخـارى أبو الخير أحمد بن الجليل البخارى الكرمانى البزار وقد طبعه طبعة حجرية ببلد آره بالهند سـنة ١٣٠٩ هـ ثم طبـع بالآستانه بهامشه سند أبى حنيفـة سـنة ١٣٠٩ هـ وبالقاهرة فى مطبعة التازى سنة ١٣٤٩ هـ وهى النسـخة الموجـودة معى ثم بالسلفية سنة ١٣٧٥ هـ مـع تقديم الاستاذ محب الدين الخطيب وتعليق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

وهو يقع فى طبعة التازى فى مائة واحـدى وتسعين صفحة قال فيه الحافظ ابن الحجر فى فتح البارى وكتاب الأدب المفـرد يشـتمل على أحاديث زائدة على ما فى الصـحيح وفيه قليل من الآثار الموقوفة وهو كثير الفائدة .

والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخـلاق وقيل الوقوف مع المستحسنات وقيل تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك . ويقـال أنه مأخوذ من المـأدبة وهى الدعـوة الى الطعام سمى بذلك لأنه يدعى اليه أ . هـ .

* * *

وقد قال محقق كتاب الأدب طبعة التـازى الأسـتاذ محمد عياد الخمسى أحمد المولى الصمد وأصلى على سيدنامحمد وبعد : قد وفقنى الله لتصحيح الكتاب الأوحد المسمى الادب المفرد فاذا به كتاب وأيـم الله لو اقتصر المرء على بعض ما فيه من الاخلاق لكفاه عـن سائر ماصنف فى بابه على الاطلاق كيف لا ونا سجه من لانظير له ولا اخال أن الزمان يسمح بمثله فى هذه السويعات القادمة ، امام السنة ومنقذ الأمة حامل لواء السمحة الغراء ومقوم تاريخ الشريعةالبيضاء أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن بردزبه البخارى الجعفى رحمه الله (وأنى لمثل أن يعرف بمثله ماذا تصنع الصعاليك عند الملوك) فلو لم تسطر يده غـير هـذا

الأدب المفرد الذى طابق اسمه مسماه بل وأزيد لكان كافيــا لكل باحث
عن دينه الصحيح المنقب عما يوصله للسعادتين راحته فى ذى الدار من
عدم الاشتغال بأحوال العباد واقتصاره على ما ينجو به يــوم الميعــاد
فهو بغية ما يقتفى وخلاصـــة ما يقتنى فعليك به أيها المؤمن تنجح والزم
مطالعته والعمل به تربح فليس الخبر كالعيان وعلى الله التكلان أ . هـ .

من مؤلفات البخارى

رفع اليدين فى الصلاة

طبع الهند موجود بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٣٢٧ ب

خير الكلام فى القراءة خلف الامام

طبع الهند ثم الخيرية فى القاهرة

التاريخ الأوسط كما ذكره كشف الظنون
كتاب الاشربة ذكره الدارقطنى على ما فى الكشف
أسامى الصحابة كما فى الكشف
بر الوالدين كما ذكره ابن حجر

التفسير الكبير للقرآن : موجود بمكتبة الجزائر كما فى دائرة المعـــارف الاسلامية وفى مكتبة باريس كما ذكره المستشرق برو كلمان على ما فى أدب اللغة .

الجامع الكبير كما فى الكشف
خلق أفعال العباد كما فى الكشف وقد طبع مع كتاب العلو للذهبى
كتاب العلل فى الحديث ذكره الكتانى فى المستطرفة
قضايا الصحابة والتابعين كما فى تاريخ بغداد
كتاب المسند الكبير كما فى مقدمة الفتح
كتاب الوحدان وهو من ليس له الا حديث واحد كما فى الفتح

كتاب المبسوط كما فى المقدمة

كتاب الهبة كما فى المقدمة

مشيخته ذكر فيه الشيوخ الذين أخذ عنهم كما ذكره ابن السبكى فى الطبقات

وذكر ابن النديم فى الفهرست كتاب سنن الفقهاء للبخارى ولم أره لغيره فى المراجع الأخرى .

وفـــاة البخارى

وفى السنة الثانية والستين من حياة هذا الامام العظيم خرج الى خرتنك ــ قرية من قرى سمرقند ــ فنزل ضيفا على غالب بن جبريل وهو من ذوى قرباه قال غالب فسمعته ليلة وقــد فرغ من صلاة الليل يقول فى دعائه « اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضنى اليــك » • وأقام فى خرتنك أياما فمرض • حتى وجه اليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج اليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمــم فلما مشى عشرين خطوة أو نحوها الى الدابة ليركبها وأنا آخذ بعضده قال : « أرسلونى فقد ضعفت » فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضــطجع فقضى وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيــد الفطر سنة ٢٥٦ بعد أن مــــلأ الدنيا نورا بأحاديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم وترك الاثر الخالد الذى ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الصراط المستقيم . رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين وعن الانسانية بقدر ما قدم من خــير

مراجع الكتاب المطبوعة

اسم الكتاب :

١ — الجامع الصحيح للبخاري .
٢ — فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .
٣ — عمدة القاري شرح صحيح البخاري للبدر العيني .
٤ — ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني .
٥ — الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني .
٦ — شرح البخاري للامام النووي ومعه عون الباري لصديق بن حسن القنوجي .
٧ — فيض الباري على صحيح البخاري للمحدث الشيخ محمد انور الكشميري ثم الديوبندي ومعه حاشية البدر الساري الى فيض الباري الأستاذ محمد بدر عالم الميرتهي من اساتذة الحديث بالجمعية الاسلامية بدابهيل .
٨ — الأدب المفرد للبخاري .
٩ — التاريخ الكبير للبخاري .
١٠ — التاريخ الصغير للبخاري .
١١ — كتاب الضعفاء للبخاري .
١٢ — كتاب الكنى للبخاري .
١٣ — مقدمة تنزيه الشريعة عن الأخبار الموضوعة لأبي الحسن على بن محمد الكتاني — تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف .
١٤ — هدى الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر .
١٥ — تقدمة المعرفة لشيخ الاسلام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم مع تقديم الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني .
١٦ — مفتاح صحيح البخاري للتوقادي .
١٧ — رفع الالتباس عن بعض الناس .
١٨ — الطبقات الكبرى لابن سعد .
١٩ — اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير .

٢٠ ـ اصول الفقه ـ طه عبد الباقى الدسوقى .
٢١ ـ العقيدة والشريعة للمستشرق جولد تسيهر ـ ترجمة الدكتور محمد يوسف وزملائه .
٢٢ ـ السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور مصطفى السباعى .
٢٣ ـ الحديث والمحدثون للأستاذ محمد أبو زهو .
٢٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووى .
٢٥ ـ تدريب الراوى على تقريب النواوى للسيوطى ـ تقديم وتعليق الدكتور الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف .
٢٦ ـ منهج ذوى النظر لمحمد محفوظ الترمسى ومعه شرح منظومة علم الأثر للسيوطى .
٢٧ ـ علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح ومعه التقييد والايضاح للعراقى .
٢٨ ـ الأم للامام الشافعى .
٢٩ ـ الرسالة للامام الشافعى .
٣٠ ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
٣١ ـ قواعد التحديث للقاسمى .
٣٢ ـ مقدمة ابن خلدون .
٣٣ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر .
٣٤ ـ جامع بيان العلم لابن عبد البر .
٣٥ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووى .
٣٦ ـ شرح تراجم أبواب صحيح البخارى لمولانا شاه ولى الله الدهلوى.
٣٧ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .
٣٨ ـ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب ابن تقى الدين السبكى .
٣٩ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى .
٤٠ ـ تحفة البارى بشرح صحيح البخارى لشيخ الاسلام زكريا الأنصارى السنيكى الشرقاوى .
٤١ ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى .
٤٢ ـ هدية المغيث فى أمراء المؤمنين فى الحديث للشنقيطى .
٤٣ ـ رفع اليدين فى الصلاة للبخارى .
٤٤ ـ تاريخ حياة البخارى للقاسمى .

٤٥ — حاشية التاودى .
٤٦ — روح التوشيح على البخارى لعلى بن سليمان الدلنتى الجامعوى .
٤٧ — تأويل مختلف الحديث للرد على أعداء أهل الحديث لابن قتيبة .
٤٨ — دائرة المعارف الحديثة .
٤٩ — دائرة المعارف البستانية .
٥٠ — نهاية الارب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى .
٥١ — مسند الامام أحمد وبهامشه كنز العمال لعلاء الدين على ابن الحسام .
٥٢ — موطأ الامام مالك — شرح الزرقانى — تقديم محب الدين الخطيب .
٥٣ — مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى .
٥٤ — شذرات الذهب فى اخبار من ذهب .
٥٥ — البداية والنهاية لابن كثير .
٥٦ — وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان .
٥٧ — تاريخ الاسلام للذهبى .
٥٨ — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر .
٥٩ — معجم المؤلفين — تأليف عمر رضا كحالة .
٦٠ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة — تعليق محمد شرف الدين المدرس بجامعة استنبول .
٦١ — رجال الفكر والدعوة لأبى الحسن الندوى .
٦٢ — السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب .
٦٣ — أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والاسلام للأستاذ على الجندى وزملائه .
٦٤ — المنهج الحديث فى علوم الحديث قسم المصطلح للأستاذ محمد السماحى .
٦٥ — المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم .
٦٦ — المنهل الحديث فى علوم الحديث للأستاذ عبد العظيم الزرقانى .
٦٧ — شروط الأئمة الخمسة للحازمى — تعليق الكوثرى .
٦٨ — ترجمة جامع صحيح البخارى لمحمد بن الدمشقى .
٦٩ — حجة الله البالغة لولى الله الدهلوى .

٧٠ ــ الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى .
٧١ ــ فجر الاسلام للأستاذ أحمد أمين .
٧٢ ــ ضحى الاسلام للأستاذ أحمد أمين .
٧٣ ــ مفتاح السنة للاستاذ عبد العزيز الخولى .
٧٤ ــ أبو هريرة راوية الاسلام لمحمد عجاج ــ سلسلة المؤسسة المصرية لأعلام العرب .
٧٥ ــ مالك تجارب حياة للاستاذ امين الخولى .
٧٦ ــ ابن قتيبة للدكتور عبد الحميد سند الجندى ــ سلسلة المؤسسة المصرية لاعلام العرب .
٧٧ ــ أضواء على السنة المحمدية ــ للاستاذ محمود أبو رية .
٧٨ ــ منهاج السنة لابن تيمية .
٧٩ ــ النور السارى من فيض صحيح البخارى للشيخ حسن العدوى .

المراجع المخطوطة :

٨٠ ــ المدخل للحاكم ــ مخطوط بدار الكتب .
٨١ ــ سير أعلام النبلاء للذهبى ــ مخطوط بدار الكتب المصرية .
٨٢ ــ النكت وهو مختصر فتح البـــارى لابن حجر ــ مخطوط بمكتبة الأزهـــر .
٨٣ ــ تغليق التعليق لابن حجر ــ مخطوط بمكتبة الازهر .
٨٤ ــ دروس فى الكلام على الجامع الصحيح لعبد الرحمن الشـــهير بابن الغزى ــ مخطوط بدار الكتب المصرية .
٨٥ ــ ثلاثيات البخارى ــ جمـــع الشيخ أحمـــد العجمى ــ مخطـــوط بمكتبة الأزهر .
٨٦ ــ الرموز اليونينية للعلامة أبى الحسين محمد على بن محمد بن أحمد المعروف باليونينى عـــلى هامش نسخته مـــن الجامع الصـــحيح مخطوط بالازهر .
٨٧ ــ شرح ابن بطال المالكى المغربى القـــرطبى ــ للجامـــع الصحيح بالازهـــر .
٨٨ ــ التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطى ــ مخطوط بالازهر .
٨٩ ــ أسماء شيوخ البخارى ومسلم لابن خلفون الأزدى ــ مخطـــوط بالأزهـــر .
٩٠ ــ غاية المرام فى رجال البخارى الى ســـيد الأنام للبازلى الكردى الحموى الشافعى ــ مخطوط بالأزهر .

٩١ — أحاديث الأحكام فيما اتفق عليه الامامان البخارى ومسلم « لم يعلم مؤلفه مخطوط بدار الكتب المصرية » .

٩٢ — الجمع بين الصحيحين للبخارى ومسلم — تأليف ابى محمد عبد الحميد الأسدى الأندلسى — مخطوط بدار الكتب .

٩٣ — عمدة الاحكام فيما اتفق عليه الامامان البخارى ومسلم لتقى الدين عبد الغنى — مخطوط بدار الكتب .

٩٤ — الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة للكتانى — مخطوط بدار الكتب .

٩٥ — معرفة علوم الحديث للنيسابورى — مخطوط بدار الكتب .

٩٦ — شرف أصحاب الحديث — مخطوط بدار الكتب .

٩٧ — المستدرك على الصحيحين للحاكم — مخطوط بدار الكتب .

فهرســت

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب

٨٢/٢٥٦٦

مؤسسة روزاليوسف